كلية الآداب - جامعة القادسية

قسم اللغة العربية

القزويني

في الدراسات البلاغية الحديثة

رسالة تقدمت بها الطالبة(سليمة فاضل حبيب) إلى مجلس كلية الآداب، قسم اللغة العربية، وهي جزء من متطلبات شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/ بلاغة

إشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

ياسر علي الخالدي

٢٠١٤م ١٤٣٥هـ

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المحتوى

المقدمة	أ ـ ت
التمهيد: البلاغة العربية و نظرة الدارسين المحدثين لتراث المتأخرين	١٦ـ٣
الفصل الأول: مصطلحات البلاغة عند القزويني في ضوء الدراسات البلاغية الحديثة	٧٧ ـ ١٦
المبحث الأول: مصطلح الفصاحة عند القزويني في ضوء الدراسات البلاغية الحديثة	٣٩ـ١٦
المبحث الثاني: مصطلحات البلاغة وعلومها الثلاث عند القزويني في ضوء الدراسات البلاغية الحديثة	٧٧ ـ ٤٠
المطلب الأول ـ المستوى الأول: بلاغة المتكلم	٤٨ـ٤٦
المستوى الثاني : بلاغة الكلام	٥٤ ـ ٤٨
المطلب الثاني ـ منهج القزويني في تقسيم المصطلحات	٧٧ ـ ٥٤
الفصل الثاني: استدراكات المحدثين على القزويني في ضوء الدراسات البلاغية الحديثة	١٤٥ـ٧٨
توطئة المبحث الأول: في (مقدمات الدرس البلاغي) و(علم المعاني) اولا: استدراك د. شوقي ضيف في (الفصاحة والبلاغة) ثانيا: استدراكات المحدثين في (علم المعاني) ١ـ استدراك الدكتور حلمي المرزوك في (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)	٨٠ ـ ٧٩ ١١٠ـ٨١ ٨٣ـ٨١ ٨٥ـ٨٤

www.manaraa.com

٢. استدراك الدكتور شوقي ضيف في (ابواب علم المعاني)	٨٥.
٣. استدراك د. شوقي ضيف في (احوال الاسناد الخبري والحاق القزويني للمجاز العقلي بعلم المعاني)	٨٩.٨٦
٤. استدراك الدكتور محمد مصطفى هدارة في (المجاز العقلي) ودخوله في علم المعاني	٩١ .٨٩
٥. استدراك الدكتور بسيوني عبد الفتاح في (الحقيقة العقلية والمجاز العقلي)	٩٣.٩١
٦. استدراك الدكتور رجاء عيد في (نماذج المجاز العقلي)	٩٥.٩٣
٧. استدراك الدكتور احمد مطلوب في (ذكر المسند اليه وحذفه)	٩٨.٩٦
٨. استدراك د. رجاء عيد في (اغراض تعريف المسند اليه)	١٠٠.٩٩
٩- في اعراب قوله تعالى : ((ذلك الكتاب لا ريب فيه)) البقرة: ٢	١٠٢.١٠٠
١٠. في تعليق الخطيب على قوله تعالى: ((قال ربّ اني وهن العظم مني)) مريم: ٤	١٠٣.١٠٢
١١. استدراك د. احمد مطلوب في (الجامع وأنواعه)	١٠٥.١٠٣
١٢. استدراك د. بسيوني عبد الفتاح في (مجيء الماضي لفظا مع (إن) الشرطية)	١٠٧.١٠٥
١٣. استدراك د. بسيوني عبد الفتاح في (حذف المفعول به)	١٠٨.
١٤استدراك د. بسيوني عبد الفتاح في (تحديد مفهوم الأمر)	١١٠.١٠٩
المبحث الثاني: استدراكات المحدثين على القزويني في علمي (البيان) و(البديع)	١١١.
توطئة	١١٢.١١١
أولا: في علم البيان	
١. استدراك د. بسيوني عبد الفتاح (في تعريف التشبيه)	١١٥.١١٢

www.manaraa.com

٢. استدراك د. بسيوني عبد الفتاح (في وجه الشبه الحسي)	١١٨.١١٥
٣. استدراك د. شوقي ضيف في (الاستعارة المكنية)	١٢١.١١٨
٤. استدراك د. شوقي ضيف في (تفريق الخطيب القزويني بين الكناية والمجاز	١٢٥.١٢١
ثانيا: في علم البديع	١٢٥.
توطئة	١٢٨.١٢٥
١. استدراك د. شفيع السيد في (التحول في معنى البديع وتشقيق الظواهر)	١٣٠.١٢٩
٢. استدراكات الدكتور احمد مطلوب على الخطيب في كتابه القزويني وشروح التلخيص(علم البديع)	١٣٧.١٣١
٣. استدراك د. جميل عبد المجيد في تعريف علم البديع	١٣٨.١٣٧
٤. استدراك د. جميل عبد المجيد في تذييل البديع	١٣٩.١٣٨
٥. استدراك د. جميل عبد المجيد في منهج القزويني	١٤٠.١٣٩
٦. استدراك د. الشحات محمد ابو ستيت في المطابقة	١٤٢.١٤٠
٧. استدراك د. الشحات في التورية	١٤٣.١٤٢
٨. استدراك د. علي الجندي في الجناس	١٤٥.١٤٣
الفصل الثالث: الملامح الاسلوبية لدى الخطيب القزويني	٢٠٤.١٤٧
توطئة	١٥٠.١٤٧
المبحث الاول المبدع والمتلقي	١٥١.
المبدع	١٦٤.١٥٥
المتلقي	١٧٢.١٦٥
المبحث الثاني النص	٢٠٤.١٧٣
الخاتمة	٢٠٩.٢٠٦
المصادر والمراجع	٢٢٣.٢١١
الملخص الانجليزي	١ – 4

www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

البلاغة قبل القزويني

مرّت البلاغة العربية منذ نشأتها وحتى يومنا هذا بمراحل متعددة، وسار البحثُ البيانيّ في الزمن, وتناقلته أقلام العلماء والأدباء والنقاد على حسب تصوّرهم لمعناه, وكان من مجموع ما كتبوا ذلك التراث الخالد؛ لذي سمي حيناً (بياناً) وسمي أحياناً (بديعاً) كما سمي بلاغةً وفصاحةً، وهي ألقاب أو مصطلحات لا تبتعد كثيرا في مدلولها؛ كما لا تبتعد كثيرا في موضوعها؛ إذ إنّها جميعا موضوعها الأدب، وهو ذلك المأثور من جيد المنظوم والمنثور[١].

وقد استأثرت البلاغة بنصيب وافر من مجهود المهتمين بالتراث العربي، كيف لا ! وهي نظريةٌ في فنّ القول تولّدت عن ممارسة النصّ من جهة بنيته اللغوية[٢]، قد أجاد الدكتور بدوي طبانة، حين وصف البلاغةبـ(التفكير)، في قوله:(دراسة تقوم على تتبع نشأة هذا اللون من التفكير عند العرب)[٣]، ولها صلة بأوجه النشاط الفكري الأخرى كالتفسير، والنحو والإعجاز؛ بل وحتّى الفلسفة السياسية[٤].

---

[١] .ينظر: البيان العربي، بدوي طبانة :١٨ .

[٢] .ينظر: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره الى القرن السادس ،حمادي صمود:١٢.

[٣] . البيان العربي : ٥ .

[٤] . التفكير البلاغي :١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي كما وصفها السيّد جعفر الحسيني: من أجل العلوم الأدبية قدرًا ومكانةً، وأعلاها منزلةً وشأنًا؛ لأنها(علمُ فنّ التعبير بالكلمة، وهي التي تكشف عن الذوق الإنساني وتثيره، بل وتربيه وتصقله وتشحذ المدارك، وتوسع آفاقها فتخلق علاقاتٍ جديدةً من الفهم والمعرفة[٥].

وقد تظافرت أسبابٌ وأهدافٌ كثيرة دفعت العرب إلى الخوض في الدراسات البلاغية ، تتمثل في الغرض الدينيّ: المتمثل بخدمة القرآن الكريم؛ لكي يبرهنوا على إعجازه ويفهموا آياته وأسلوبه؛ ليستنبطوا الاحكام منه[٦]، والغرض التعليمي: وهو تعليم الناشئة اللغة العربية ومعرفة أساليبها بعد أن اتصل العرب بأممٍ شتّى وأدى ذلك الاتصال إلى فساد اللغة ودخول اللحن فيها، يضاف الى ذلك أن كثيرا من المسلمين كانوا بحاجة الى تعلم العربية وبلاغتها؛ ليفهموا القرآن الكريم، والغرض النقدي: فالبلاغة تعين الناقد كثيرا؛ لأنها تقدم له الآلة التي تعينه على الفهم والحكم؛ لتمييز الكلام الحسن من الرديء والموازنة بين القصائد والخطب والرسائل[٧].

ويبدو أن أثر المتكلمين في نشأة البلاغة وتطورها، كان ملحوظا؛ لاسيما وأن القرآن كان له أعداءٌ يجتمعون؛ ليهاجموه في طريقة تعبيره ومعناه، فيتصدى لهم جماعة من أحرار الفكر الإسلامي[٨] تسلحوا بالفلسفة والأدب فيجادلونهم بالعقل ليقنعوهم أو يغلبوهم، وحاولوا أن يجتمع مع الإقناع الامتاع وذلك باختيار اللفظ أو العبارة التي توثر في النفس وتغزو القلب، هذا الدور الدفاعي عن القرآن نجد أصداء منه في كتب الجاحظ(ت٢٥٥هـ) وهي كلها دراسات بلاغية في علم المعاني، ولكنها مصطبغة بالصبغة الفلسفية وقد اختلط فيها كثير من موضوعات علم البيان وقليل

---

[٥] .ينظر: أساليب البيان في القرآن ، السيد جعفر الحسيني:٣.

[٦] .ينظر:البلاغة والتطبيق :أحمد مطلوب ،وكامل حسن البصير: ١٥ .

[٧] . ينظر : المصدر نفسه ، :١٦.

[٨] . ينظر : المصدر نفسه ،١٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من علم البديع وكان الجاحظ يسمي ذلك كله (البيان) مما جعل باحثا كالدكتور طه حسين يرى أن الجاحظ هو مؤسس علم البيان[٩]؛ على الرغم من أن رجال المدرسة الكلامية عاشوا في بيئات أعجمية فغلبت على كتبهم العجمة، ولم يكونوا أدباء بل كانوا من الفلاسفة والمتكلمين الا انهم شكلوا مدرسة كانت من العوامل المؤثرة في البلاغة فضلا عن المدرسة الأدبية[١٠].

ويعدّ الجاحظ مرحلة مهمة وحاسمة في تاريخ البلاغة فمؤلفاته تعدّ أقدم آثار وصلتنا، لها علاقة بأفانين التعبير، وهو صاحب أول تأليف يخصص لدراسة الكلام البليغ وضوابط المستوى الفني من اللغة، ولم يقتصر هذا المؤلف على الأحكام العامة والانطباعات الذوقية بل دعم ذلك بأسس نظرية مهمة وتفكير بلاغي يدلان على أن جهوده في الموضوع تجاوزت مجرد الرواية والجمع الى الخلق والابتكار[١١]، لقد عدت مؤلفات الجاحظ، خاصة (البيان والتبيين) أهم وثيقة تبيّن دور المتكلمين في إرساء أسس البلاغة وضبط مقاييسها شذّ عن هذا الرأي إسحاق بن وهب الكاتب (القرن الرابع) في كتابه (البرهان في وجوه البيان)؛ إذ يقول:(أما بعد، فإنك كنت ذكرت لي وقوفك على كتاب الجاحظ الذي سماه البيان والتبيين وأنك وجدته إنما ذكر فيه أخبارا" منتحلة وخطبا" منتخبة، لم يأت فيه بوظائف البيان، ولا أرى على أقسامه في هذا اللسان، فكان عندك ما وقفت عليه غير مستحق لهذا الاسم الذي نسب اليه)[١٢].

وقد أرجع الدكتور حمادي صمود هذا الرأي الى قضية التقليد المعروف في الحضارة العربية الإسلامية؛ فالمؤلف المتأخر يحاول أن يجد "مطعنا" على المتقدم

---

[٩] .ينظر: البلاغة والنقد بين التاريخ والفن : ٧ .

[١٠] . ينظر: البلاغة والتطبيق : ٣٠ و ٣١ .

[١١] .ينظر: التفكير البلاغي عند العرب :١٦ .

[١٢] . البرهان في وجوه البيان، إسحاق بن وهب الكاتب: ٥١ .

www.manaraa.com

حتى يقنع بضرورة كتابه، وإلا فإنه على اختلاف المقاصد من التأليف قد انساق وراء الجاحظ وقسم وجوه البيان قسمته وأكثر من النقل عنه[١٣]، وقد تفطن المحققان الى ذلك وأشارا اليه في أثناء التحقيق[١٤].

وإن دلّ هذا التحامل على شيء فإنه يدلّ دلالة تاريخية ذات قيمة مفادها: إنّ كتاب الجاحظ هو الكتاب الوحيد المختصّ بهذا الموضوع أو إنّ له من الخصائص ما حجب كل المحاولات الأخرى إن وجدت مما يوكد دور الجاحظ ومكانته في تاريخ التأليف البلاغي[١٥]، يقول صاحب الصناعتين:(وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وهو لعمري كثير الفوائد، جمّ المنافع؛ لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة، والفِقرِ اللطيفة والخطب الرائعة، والأخبار البارعة وما حواه من أسماء الخطباء وما نبّه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه الممتازة ونعوته المستحسنة)[١٦]، وليس ذلك بخافٍ على كل من انتهجوا طريق البحث البلاغي وتوغلوا في تاريخها الطويل.

ويبدو أنّ بيئة الجاحظ المتمثلة ببيئة المتكلمين والأصوليين هي البيئة التي نشأت فيها البلاغة وترعرعت، فما من عَلَمٍ من أولئك البلاغيين الجهابذة إلاّ له ارتباط أو مشاركة أو صلة ما بعلم الكلام أو علم الأصول، والجمهور الغالب منهم . فيما يبدو . كان على صلة واطّلاع على الفلسفة والمنطق، سواء أكانت الفلسفة العامة أم الكلامية، ويتفق ذلك في أدوار حياة البلاغة نشأة وتطورا وجمودا[١٧].

---

[١٣] .ينظر: التفكير البلاغي عند العرب :١٦ .

[١٤] .انظر: ص٣٢ من البرهان في وجوه البيان.

[١٥] . ينظر التفكير البلاغي عند العرب : ١٦ _١٧ .

[١٦] . كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري :١٠ . ١١ .

[١٧] .ينظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ،أمين الخولي:١٢٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبما أن دراستي تهتم بمكانة القزويني في الدراسات البلاغية الحديثة؛ رأيت أن أمهّد لرسالتي، بالبحث عن جذور نشأة البلاغة العربية، قبل القزويني؛ ابتداءً من الجاحظ بوصف علم البيان قد نبت في حجور المتكلمين، وقد كان نشاطهم واسعا، وكان لهم أثرٌ كبيرٌ في الحياة العقلية بعامة وفي البلاغة بخاصة[١٨]؛ لذلك وجدت من الحريّ بي أن أقف عنده مرورا بأقطاب البلاغة العربية الذين ذكرتهم بحسب الترتيب الزمني لظهورهم وصولا إلى المدة السكاكيّة التي برزت قبل ظهور القزويني.

تدرج مفهوم البيان في مؤلفات الجاحظ من (العلامية)[١٩] وهذا في بعض السياقات التي وردت في بعض مؤلفاته، إذ دلّ على وسائل التعبير الممكنة بين البشر ومختلف (الكيفيات) التي يؤدون بها المعنى بقطع النظر عن نوع العلامة المستعملة، وهذا معنى عام يتسع للغة و(لغيرها)، ويدخل في مشغل علامي تمخّض اليوم، عن علم قائم الذات يطلقون عليه (علم العلامات)[٢٠].

ويبدو أن تفكيره في القضية يتأسس على نظرة دينية رمزية تتنزل بموجبها المخلوقات منزلة الدوال لمدلول أسمى سرمدي يهتدى إليه بالتعقل وتأويل الرمز وهو حكمة العالم والمكون[٢١]، يتدرج الى تفكير اجتماعي يتحسس من خلاله مقتضيات المنزلة الإنسانية وأولاها حاجته ـ أي الأنسان ـ الى غيره طبعاً وخلقة وجوهرا؛ إذ (لم يخلق الله تعالى أحدا يستطيع بلوغ حاجته بنفسه)[٢٢] (فهو وبقدرة العقل، آلة التفكير والنظر، يدرك حاجته من قوام وقوت ولذة وامتاع، وبقدرة الاستدلال والبيان تتكشف تلك الحاجات، وينتهي إليها معامله ومعايشه فيتم التعاون والتآزر وتنعقد بينهما

---

[١٨] .ينظر: مناهج بلاغية ،أحمد مطلوب : ٢٥٥ .

[١٩] . مصطلح يطلق على العلامة اللغوية بمستوييها العادي والأدبي.

[٢٠] .ينظر: التفكير البلاغي عند العرب :١٤٣ .

[٢١] . ينظر المصدر نفسه: ١٤٤ .

[٢٢] الحيوان:١/ ٤٣ .

www.manaraa.com

الأسباب) [٢٣]، ومن هنا ارتبط مفهوم البيان، في مرحلة أولى، بغاية التعبير عن خفايا الحاجات والمعاني وهتك الحجاب دونها؛ ليتم للناس مرادهم من اجتماعهم ويدركوا حكمة الخلق وما أودع الكون من جليل الحكمة[٢٤]،(والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير)[٢٥].

وللدلالات أنواع عند الجاحظ، وهي خمسة:(اللفظ، والإشارة، والعقد، والخطّ، ثمّ الحال التي تسمى نصبة)[٢٦].

ورغم أنّ الجاحظ قد قرن هذا البيان بهذه الدلالات؛ فإنه لم يبخس اللغة حقها بوصفها أرقى أداة للتعبير عن مكنونات الأنسان وحاجاته، ترتقي كلما ارتقى مستوى إدراكه وتطلعه وتتطور كلما تطورت أساليب معرفته، بل قرنها بهذه الدلالات، اعتقادا منه أن الأنسان قد يعبّر عن نفسه بإحدى هذه الدلالات أو بمجموعها، والحقيقة أنّه أبدع فيما جاء به وكأنه يتحدث بلغة عصرنا التي انتشرت فيها المصطلحات الحداثية الكثيرة التي نجد جذورها في تراثنا القديم، مثل مصطلحات (تحليل الخطاب، الخطاب، والسيمياء(السيميوطيقا) إضافة الى مصطلح البنيوية) التي أصبحت محطّ الدراسات العربية بوصفها مصطلحات غربية وافدة على الثقافة العربية.

فعلى المستوى اللغوي البحت يشير مصطلح (خطاب) في معناه الأساسي الى (كلّ كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء أكانَ مكتوبا أم ملفوظا)، وتجاوز الاستعمال الاصطلاحي ذلك الى مدلول آخر أكثر تحديدا يتصل بما لاحظه الفيلسوف غرايس عام ١٩٧٥م من أنّ للكلام دلالاتٍ غيرَ ملفوظة يدركها المتحدث والسامع من دون

---

[٢٣] المصدر نفسه:٤٣/١ .

[٢٤] . ينظر: التفكير البلاغي عند العرب : ١٤٥ .

[٢٥] . البيان والتبيين: ١ /٧٦ .

[٢٦] . المصدر نفسه: ١/ ٧٦ .

www.manaraa.com

علامة معلنة أو واضحة وهو مما يصل هذا الحقل بحقل (السيمياء) أو(علم العلامات) نفسه الذي تحدث عنه الجاحظ؛ لكونه ايضا بحثَ في القواعد أو الأعراف التي تحكم إنتاج الدلالة[٢٧].

وما يهمنا من هذا القول إنّ الثقافة الإسلامية كان لها الأثر الكبير في إرساء قواعد الكثير من العلوم والمصطلحات التي تعد دائرة البحث والدراسات في وقتنا المعاصر.

ثم أصبح التأليف البلاغي في مرحلة تالية لمرحلة الجاحظ يسلك طريق الاستقلال بعد أن ظهر ابن قتيبة (٢٧٦هـ) والمبرد (٢٨٥هـ) وثعلب (٢٩١هـ) وابن المعتز (٢٩٦هـ)، عرفنا من آثارهم (أدب الكاتب)،و(الكامل)، و(تأويل مشكل القرآن) ،و(قواعد الشعر)، و(والشعر والشعراء)[٢٨]؛ فقد أجمع النقاد والدارسون، قديما وحديثا، على أن كتاب (البديع) لابن المعتز أول تأليف صنف في البديع ورسم حدوده[٢٩]، وغدا مؤلفه فضلا عن البيان والتبيين النواة لعلم (البلاغة العربية)[٣٠].

فلما كان القرن الرابع الهجري اتسع نطاق الدراسات الأدبية وأخذ التفكير البياني الذي وضعت أصوله في القرن الثالث طريقه نحو الازدهار والنضج وأخذ العلماء يتجهون الى تحديد المفاهيم البيانية بعد ذلك التعميم الذي كان يغلب على أسلوب التفكير فيما قبل[٣١]، على أن القواعد البلاغية ظلت في هذا القرن مختلطة بمسائل النقد الأدبي في اكثر الأحيان وعند أكثر المؤلفين على الرغم من ظهور كتاب البديع في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري ولم يكن في هذه الظاهرة،

---

[٢٧] .ينظر: دليل الناقد الأدبي ، ميجان الرويلي، وسعد البازعي : ١٥٥ .

[٢٨] .ينظر: البيان العربي: ١٠٦.

[٢٩] .ينظر: البلاغة تطور وتاريخ : ٧٥ .

[٣٠] .ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس :١٢١ .

[٣١] . ينظر: البيان العربي :١٣٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(ظاهرة اختلاط النقد بالبلاغة)، ما يدعو الى العجب؛ فإنّ موضوع البلاغة والنقد واحد، وهو (فنّ الأدب) وما يكون فيه من مظاهر الحسن وأسباب التأثير، وإن كانت البلاغة تنزع الى رسم أنجع الوسائل التي يعتمدها الأديب ليبلغ بصناعته ما يريد، وكان النقد ينظر الى العمل الأدبي إذا فرغ صاحبه منه، وتركه بين أيدي الخبراء وأذواقهم ليقولوا فيه كلمتهم، ويصدروا عليه حكمهم[٣٢].

ومن الآثار التي ظهرت في هذا القرن (عيار الشعر) لابن طباطبا(ت٣٢٢ هـ)، و(نقد الشعر) لقدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ)، و(الموازنة بين أبي تمام والبحتري)) للآمدي (ت٣٧٠ هـ)، و(الوساطة بين المتنبي وخصومه) للقاضي الجرجاني (٣٩٢هـ) ، وأخيرا كتاب (الصناعتين) لأبي هلال العسكري (بعد ٤٠٠هـ)[٣٣].

أمّا في القرن الخامس الهجري فقد بدأ الانتفاع بالغراس الذي زرعت نواته في القرن الثالث الهجري وشمخت دوحته وتفرعت أفنانه في القرن الرابع ثم كانت ثمرته الناضجة في القرن الخامس[٣٤]، ويتصدى عبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١هـ) للتيار البديعي الذي تمثل بابن المعتز الذي قرر أنّ البديع عرفه العرب في جاهليتهم وجاء في أدبهم طبعا، وبلا تكلف، فيبين، أي الجرجاني أن الجمال في الأدب هو في (نظمه)، في العلاقات الجمالية بين الألفاظ بعضها مع بعض وقد ترتبت وفق المعاني النحوية كما يقول، أي أنّ الجمال معنوي، واللفظ دليل عليه وبرهن على ذلك بنصوص من القرآن في كل موضع من مناقشاته في وهذا السبيل، وبهذا يسهم عبد القاهر في تأسيس علم المعاني ويضع له الأصول والنظريات[٣٥].

---

[٣٢] . ينظر: المصدر نفسه: ١٣٦ .

[٣٣] .المصدر نفسه:١٣٧ .

[٣٤] . ينظر: التفكير البلاغي:١٨٣ .

[٣٥] . ينظر: البلاغة والنقد بين التاريخ والفن ، مصطفى الصادي الجويني:٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ثمراته أيضا كتاب(العمدة) لابن رشيق القيرواني(٤٦٣هـ)، و(سرّ الفصاحة) لابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦ هـ)[٣٦].

ويأتي الزمخشري في القرن السادس الهجري فيطبق نظرية عبد القاهر الجرجاني في أن اعجاز القرآن وروعته الأدبية في نظمه، فقد صرف اهتمامه بالبلاغة القرآنية الى علم المعاني أولا، والبيان ثانيا، ثمّ علم البديع ويطبق ذلك على نصوص القرآن الكريم كلّه في أثناء تفسيره له، ويهتم بخاصة بعلم المعاني[٣٧].

وفي أوائل القرن السابع يجيء السكاكي مفيدا من جهود سابقيه ليحدد في قواعد جافة منطقية مجالات علوم البلاغة الثلاثة في كتابه (مفتاح العلوم) الذي عالج فيه البيان بعقلية أصح ما توصف به أنها عقلية ليست بيانية، وحسبُنا دليلا على ذلك إنه درس البيان في هذا الكتاب بالروح التي درس بها فيه الى جانبه علم النحو، وعلم الصرف، وعلم الاستدلال وهو علم المنطق وعلم العروض وعلم القوافي، وهذا ما لم يفعله احد من الذين سبقوه الى الكتابة في البيان، لا لأنهم كانوا يجهلون تلك العلوم التي أحصاها السكاكي، فربما كان فيهم من هو أكثر علما بها؛ ولكنهم نظروا الى طبيعة هذا الفنّ فألقوه علما جماليا، يبعد مجاله عن مجال تلك العلوم التي يبحث بعضها في صحة التركيب، أو صحة الوزن والقافية، أو صحة التفكير بخلاف البيان الذي يبحث في شيء وراء هذه الصحة، هو دراسة الأسباب والعوامل المؤدية الى المتعة الفنية وإحداث التأثير أو الإقناع في نفس قارئ الأدب وسامعه[٣٨]، ولا يسعني الاّ أن أقول عن السكاكي إنه قد ظلم بعض الشيء في اتهامه من قبل الدارسين بالجفاف والجمود وإنه انتهج النزعة العلمية في تقسيمه

---

[٣٦] . ينظر: التفكير البلاغي: ١٨٣، ١٨٩.

[٣٧] ينظر: البلاغة والنقد بين التاريخ والفن: ٨ .

[٣٨] . البيان العربي :٣٣٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للبلاغة وإنه قد أفسد البلاغة أو البيان العربي بتمحيصاته وتهذيبه وترتيبه[٣٩]، وإدخاله أساليب البحث المنطقي في دراسة الاساليب البيانية الأدبية[٤٠]؛ فالسكاكي قدم في عصره ـ وبكل إخلاص العالم الدائب المتأثر بروح العصر، وما كان له الا أن يتأثر ـ أقصى ما يمكن أن يقدمه عالم دارس في سبيل علم من العلوم[٤١]، فقد كان عصره عصر جمع وتبويب، عصر تقعيد وتقنين فجمع فنون البلاغة وكانت أشتاتا مفرقة في كتب كثيرة؛ يقول ابن خلدون:(تكلم الأقدمون أولا في علم البيان، ثم تلاحقت مسائل الفنّ واحدة بعد أخرى وكتب فيها جعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة وأمثالهم املاءات غير وافية، ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئا فشيئا الى أن محص السكاكي زبدته، وهذب مسائله، ورتب أبوابه على نحو ما ذكرنا آنفا من الترتيب، وألّف كتابه المسمى بـ(المفتاح) في النحو والتصريف والبيان، فجعل هذا الفنّ من بعض أجزائه، وأخذه المتأخرون من كتابه، ولخصوا منه أمهات هي المتداولة الى هذا العهد كما فعله السكاكي في كتابه (التبيان)، وابن مالك في كتاب(المصباح) وجلال الدين القزويني في كتاب (الإيضاح) و(التلخيص) وهو أصغر حجما من الإيضاح والعناية به الى هذا العهد عند أهل المشرق في الشرح والتعليم فيه أكثر من غيره، وبالجملة؛ فالمشارقة على هذا الفن أقوم من المغاربة، وسببه ـ والله أعلم ـ أنه كمالي في العلوم اللسانية، والصنائع الكمالية توجد في العمران، والمشرق أوفر عمرانا من المغرب)[٤٢]، فمنهج السكاكي كان خطوة مهمة لإصباغ البلاغة العربية بصبغة علمية ومنهجية، تؤتي ثمارها المرجوة في الدرس البلاغي والنقدي على السواء، فمحاولة الكشف عن قضايا العدول اللغوي، ومراعاة مقتضى الحال، وتباين المقامات

---

(٣٩) . ينظر: المصدر نفسه :٣٤٩ .

(٤٠) . ينظر: المصدر نفسه :٣٤٩ .

(٤١) . ينظر: البلاغة عند السكاكي، أحمد مطلوب ،١٢و١٣، ،وينظر: تيسير البلاغة في كتب التراث: د. بن عيسى باطاهر:٣٠ .

(٤٢) . المقدمة ،لابن خلدون : ٢٥٢.

www.manaraa.com

في استدعاء صور كلامية معينة، وارتباط القيم البلاغية والأسلوبية بالدلالات العقلية لا الوضعية، وانتظام حركتي المماثلة والمفارقة للصيغ البديعية وغيرها، وتجلياتها في (مفتاح العلوم)؛ لتشكل مجتمعة في نظر المحدثين أساس البحث الأسلوبي ـ اللساني، وهذا يقربنا من قواعد علم الأسلوب ويجعلنا نشعر بنوع من الاطمئنان إلى موروثنا البلاغي، وما يزخر به من قضايا حداثية أصيلة تصلح لأن تشكل نظرية أسلوبية عربية خالصة[٤٣].

عرف السكاكي البلاغة تعريفا دقيقا، بقوله:(هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا، له اختصاص بتوفية خواصّ التراكيب حقها، وايراد التشبيه والمجاز والكناية على وجهها)[٤٤] .

والملاحظ على التعريف أنه لم يشر إلى مباحث علم البديع، وهي وجوه يؤتى بها لتحسين الكلام لاحقا إياه بعلمي المعاني والبيان، ولم يكن ينظر اليه كعلم مستقل بذاته[٤٥].

ويرى السكاكي أن للبلاغة طرفين: أعلى وأسفل، يتباينان تباينا لا يتراءى له ناريهما، وبينهما مراتب . تكاد تفوق الحصر . متفاوتة، فمن الأسفل تبتدئ البلاغة وهو القدر الذي اذا نقص منه شيء التحق ذلك الكلام بما يشبه أصوات الحيوانات، ثم تأخذ في الزيادة الى أن تبلغ حدّ الأعجاز وهو الطرف الأعلى وما يقرب منه[٤٦].

---

[٤٣] .ينظر: البلاغة والأسلوبية عند السكاكي ، محمد صلاح زكي ابوحميدة :١٠، ١١ .

[٤٤] . مفتاح العلوم :١٧٥ .

[٤٥] . ينظر: أساليب البيان في القرآن:١٣٧ .

[٤٦] . مفتاح العلوم:١٧٦ .

www.manaraa.com

لم يجعل السكاكي الفصاحة لازمة للبلاغة، بل اكتفى بتقسيمها على قسمين: قسم راجع الى المعنى، وقسم راجع الى اللفظ[٤٧].

نظم السكاكي دراسة الفنون البيانية في علمين، علم المعاني وعلم البيان، وجعل علم البديع تابعا لهما علما أنه لم يسمِه بديعا كما سماه بدر الدين بن مالك والخطيب القزويني وانما سماه (محسنات)[٤٨]، وقسمها على قسمين: قسم يرجع الى المعنى وهو المطابقة، والمقابلة، والمشاكلة، ومراعاة النظير، والمزاوجة، واللف والنشر، والجمع، والتفريق والتقسيم، والايهام، وتأكيد المدح بما يشبه الذمّ، والتوجيه، وسوق المعلوم مساقَ غيره، والاعتراض، والاستتباع، والالتفات، وتقليل اللفظ ولا تقليله [٤٩] .

وقسم يرجع الى اللفظ وهو التجنيس، وردّ العجز الى الصدر، والقلب، والسجع ،والفواصل، والترصيع[٥٠]، وقال عن علم المعاني إنه(تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره؛ ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره)[٥١].

وقد بحث في هذا الفنّ: الخبر والانشاء، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والفصل والوصل، والإيجاز والاطناب، والقصر، وهو صنف يبحث فيه عن الهيآت والأحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال[٥٢].

---

[٤٧] .ينظر :اساليب البيان في القرآن:١٣٧.١٣٨ .

[٤٨] .ينظر : البلاغة عند السكاكي : ١٢٢ .

[٤٩]) ينظر: مفتاح العلوم: ١٧٦.

[٥٠] . ينظر مفتاح العلوم :٧٧ ،وينظر البلاغة عند السكاكي :١٢٢.

[٥١] . مفتاح العلوم :١٦١ .

[٥٢] . ينظر: البيان العربي :٣٤٤ .

www.manaraa.com

والمقصود بتراكيب الكلام، الذي ورد في تعريف السكاكي لعلم المعاني التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة، وهي تراكيب البلغاء عمّن سواهم؛ لنزولها في صناعة البلاغة منزلة أصوات حيوانات تصدر عن محالها بحسب ما يتفق، والمقصود بخاصية التركيب ما يسبق الى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللازم له؛ لكونه صادرا عن البليغ ،لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو أو لازما له، والمقصود بالفهم فهم ذي الفطرة السليمة[٥٣]، وللدكتور بدوي طبانة نظرٌ في تعريف السكاكي في علم المعاني أنه: كلام صحيح، إذا كان المراد به شاملا للدراسات البيانية، ولكنه غير صحيح إذا كان المقصود منه علما واحدا من علوم البلاغة، وهو ما يسمى (علم المعاني)؛ فإنّ (تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة ،وما يتصل بها من الاستحسان وغيره) من عمل البياني ؛لأنه هو الذي يتتبع خواص تراكيب الكلام، وكلّ أسلوب من الأساليب له دلالة خاصة تدل على المقصود به، ولا فرق في ذلك بين مباحث المعاني كما حصرها، ومباحث البيان كما حصرها، فللأساليب الخبرية دلالتها ،وللأساليب الإنشائية دلالتها ،ولكل من التقديم والتأخير دلالته المعنوية، كما أن لأساليب التشبيه والاستعارة والكناية وغيرها من موضوعات البيان دلالتها أيضا من الكشف، والإيضاح أو المبالغة والتوكيد، أو الستر والإخفاء، الى غير ذلك من الأغراض التي ذكرها العلماء السابقون[٥٤].

أما علم البيان فقد عرفه السكاكي أنّه:(معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان؛ ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه)[٥٥]، وهو صنف يبحث فيه عن الدلالة فيه على اللازم اللفظي وملزومه، فقد يدل باللفظ ولا يراد منطوقه، ويراد لازمه إن كان

---

(٥٣) .ينظر: مفتاح العلوم :٧٧ ، وينظر: البيان العربي:٣٤٠ ،٣٤١ .

(٥٤) .ينظر: البيان العربي :٣٤١ وينظر :البلاغة عند السكاكي :١٢٣ . ١٢٤ .

(٥٥) . مفتاح العلوم :٣٢٩.

www.manaraa.com

مفردا[٥٦]، ويرى الدكتور أحمد مطلوب أن منهج السكاكي في علم البيان أدق من منهجه في بحث المعاني[٥٧]، رغم أن فيه إغراقا في التكلف كما صرح السكاكي نفسه بذلك في قوله:(والمطلوب بهذا التكلف هو الضبط فاعلمْ)[٥٨]، فقد حصر البيان في المجاز والكناية لان دلالتهما عقلية، يقول:(اذا ظهر لك ان مرجع علم البيان هاتان الجهتان، علمت انصباب علم البيان على التعرض للمجاز والكناية، فان المجاز ينتقل فيه من الملزوم الى اللازم ....وان الكناية ينتقل فيها من اللازم الى الملزوم)[٥٩]، وهو بذلك يبدو مضطرا ـ على حد قول الدكتور أحمد مطلوب ـ الى التعرض للتشبيه باعتبار دلالته الوضعية، ولم يستطع أن يجعله مقدمةً لدراسة الاستعارة، وانما أصلا له[٦٠] من خلال قوله:(ثم إنّ المجاز أعني الاستعارة من حيث أنها من فروع التشبيه لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم الى اللازم، بل لا بد فيها من تقدمة تشبيه شيء بذلك الملزوم في لازم له تستدعي تقديم التعرض للتشبيه، فلا بد من أن نأخذه أصلا ثالثا ونقدمه)[٦١].

ويبدو ان الدكتور محمد صلاح زكي ابو حميدة، يعارض رأي الدكتور أحمد مطلوب في رأيه هذا؛ بحجة أن من يتأمل عبارات السكاكي، التي تتميز بالدقة والتركيز، ومن يتعود على التعامل مع أسلوبه في بناء عباراته وترتبها على بعضها البعض، يرى أنّ السكاكي لم يخرج التشبيه من موضوعات علم البيان صراحة بسبب دلالته الوضعية، ولم يشر الى أن طرق التشبيه لا تفاوت بينها في وضوح

---

[٥٦] .ينظر : البيان العربي: ٣٤٦ .

[٥٧] ينظر :البلاغة عند السكاكي :١٤٨ .

[٥٨] . مفتاح العلوم : ١٥٧ .وينظر: البلاغة عند السكاكي :١٤٨ .

[٥٩] . المصدر نفسه ، وينظر : البلاغة عند السكاكي :١٤٧ .

[٦٠] . ينظر البلاغة عند السكاكي :١٤٨ .

[٦١] . مفتاح العلوم :١٥٧ .

www.manaraa.com

الدلالة[٦٢]، وأن الدكتور أحمد مطلوب قد احتال بحسب وصفه . واصطنع طريقة فيها تكلف وجمود لإدخاله كلاما لا مبرر له[٦٣]؛ فالسكاكي لم يدّعِ أن دلالات التشبيه وضعية، وانما تحدث في عباراته عن الكلام المؤدى بدلالات وضعية لا التشبيه، وان الجملة التي مثّل بها السكاكي" خدّ يشبه الورد" كان على سبيل الشرح والتوضيح لا على سبيل اخراج التشبيه من علم البيان[٦٤]، وعلل صاحب هذا الرأي وهو الدكتور محمد صلاح زكي أبو حميدة أن السكاكي كان يدرك تمام الادراك ان هناك مراتبَ متعددة للتشبيه تتفاوت قوة وضعفا ،قربا وبعدا[٦٥]، وإنه التفت الى أن بابي المجاز الاستعارة والمجاز المرسل والكناية يتمتعان بقدرة اكبر في التفاوت الدلالي لاعتماد كل منها بشكل أساسيّ على الملازمات بين المعاني الأول والمعاني الثواني، وهي مكرُمة تحسب له لا عليه، وهي تكشف عن فطنته وسبقه في إرساء دعائم من النقد الحديث، الذي يركز في الوقت الحاضر بصفة أساسية على أشكال المجاز والاستعارة دون التشبيه.

وبهذا الرأي أجاد الدكتور محمد صلاح زكي في إثبات المباحث الاسلوبية لدى السكاكي، ومدى أهمية الصورة البلاغية وطبيعتها ووظيفتها، وحاول فهم التشبيه بوصفه صورةً بلاغيةً تقوم على التفاعل الدلالي بين أطرافها من ناحية، وبينها وبين السياق من ناحية أخرى[٦٦]، وهو بذلك يحاول بعث الروح من جديد في تراثنا الذي اتّهم بالجمود.

---

[٦٢] . ينظر : البلاغة والأسلوبية عند السكاكي: د. محمد صلاح زكي ابو حميدة :٢٣٢ .

[٦٣] . ينظر : المصدر نفسه :٢٣٢ .

[٦٤] . ينظر : المصدر نفسه:٢٣٢ .

[٦٥] . ينظر : مفتاح العلوم : ٣٥٥ ،والبلاغة والاسلوبية عند السكاكي:٢٣٢ .

[٦٦] .ينظر :البلاغة والاسلوبية عند السكاكي :٢٣٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و يُعدّ السكاكي (رحمه الله) في دراسته التشبيه من حيث أحواله (قريب أم غريب)،(مقبولٌ أو مردودٌ) بعد أن تحدث عن طرفيه، ووجهه والغرض منه، يراعي الذوق الفني نوعًا ما بالرغم من أنه من أعلام المدرسة الكلامية التي عرف عنها أن أحكامها بعيدة عن الروح الأدبية المعتمدة على الذوق الأدبي والاحساس الفني الصادق .وربما كان هذا السبب الذي جعل الدكتور أحمد مطلوب يصف تقسيمه للتشبيه أنه موفق الى حدّ ما، لولا انه اضطرب في بحث المطالب الأربعة ففرق بعض المسائل هنا وهناك[٦٧].

وقسم السكاكيّ المجاز وعقد له خمسة فصول هي: المجاز اللغوي الراجع الى معنى الكلمة غير المفيد، والمجاز اللغوي الراجع الى المعنى المفيد الخالي عن المبالغة في التشبيه ،والثالث في الاستعارة التي قسمها على ثمانية أقسام هي: الاستعارة المصرح بها التخييلية مع القطع، والاستعارة المصرح بها المحتملة للتحقيق والتخييل، والاستعارة بالكناية، والاستعارة التبعية، والاستعارة التجريدية، والاستعارة الاصلية، والاستعارة التجريدية، والاستعارة المرشحة[٦٨] .

والقسم الرابع في المجاز اللغوي الراجع الى حكم الكلمة في الكلام، واخيرا المجاز العقلي.

وقسم السكاكي الكناية على ثلاثة أقسام هي: الكناية المطلوب بها نفس الموصوف، والكناية المطلوب بها نفس الصفة، والكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف[٦٩].

---

[٦٧] . ينظر : البلاغة عند السكاكي : ١٤٨ .

[٦٨] .ينظر البيان العربي:٣٤٧،والبلاغة عند السكاكي :١٤٩.

[٦٩] .ينظر :البلاغة عند السكلكي:١٥٠ .

www.manaraa.com

ومما يؤاخذ السكاكي عليه أنه خصّ البيان بأداء المعنى بطرق مختلفة، فقوله: (في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان) ،لا يخص علم البيان وحده وإنما يشمل المعاني ايضا؛ لأننا نستطيع كذلك أن نؤدي المعنى بطرائق مختلفة بالزيادة في الوضوح أو بالنقصان في موضوعات المعاني المختلفة[٧٠]، وقد حصر موضوعاته حصرا منطقيا فيه تمحل وإغراق في الضبط، وبعد عن روح الأدب والفن[٧١].

والسكاكي نفسه يعترف أخيرا أن البلاغة بمرجعَيْها، والفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزين ويرقيه أعلى درجات التحسين، وهناك وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار اليها لقصد تحسين الكلام[٧٢]، ثم يورد بعد ذلك ما يدل على الوجوه المخصوصة التي يصار إليها لقصد تحسين الكلام، وهي التي أطلق عليها بدر الدين بن مالك (ت٦٨٦هـ) في كتابه (المصباح) اسم (البديع) وهو أول من تأثر به، ثم تلاه الخطيب القزويني(٧٣٩هـ) في كتابيه:(التلخيص والايضاح)، وتوالت الشروح والتلخيصات، وكان سعد الدين التفتازاني، والسبكي، وابن يعقوب المغربي، وغيرهم من أعلامها[٧٣].

أمّا البديع فقد قسمه السكاكي على قسمين: قسم يرجع الى المعنى، وقسم يرجع الى اللفظ .فمن القسم الأول المطابقة ،والمقابلة والمشاكلة، ومراعاة النظير، والمزاوجة واللف والنشر، والجمع والتفريق، والتقسيم، والجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق والتقسيم، والإيهام، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ،والتوجيه،

---

(٧٠) . البلاغة عند السكاكي :١٣٢ .

(٧١) .ينظر: المصدر نفسه: ١٤٧ .

(٧٢) . ينظر : مفتاح العلوم : ٢٠٠ ، وينظر : البيان العربي : ٣٤٤ .

(٧٣) . ينظر: جمهرة البلاغة ، أحمد مطلوب : ١١ . ١٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسوق المعلوم مساق غيره، والاعتراض، والاستتباع، والالتفات، وتقليل اللفظ ولا تقليله[٧٤].

ومن القسم الثاني التجنيس، وردّ العجز الى الصدر، والقلب، والسجع، والفواصل، والترصيع(وأصل الحسن في جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعاني، لا أن تكون المعاني لها توابع، أعني ان لا تكون متكلفة)[٧٥].

وأما ابن المعتز(٢٩٦هـ)، فقد بحث موضوعات البديع الى جانب الاستعارة والتشبيه، وأبو هلال(بعد ٤٠٠هـ) وابن رشيق(٤٦٣هـ) وابن سنان(٤٦٦هـ) وعبد القاهر(٤٧١هـ) وابن الاثير(٦٢٢هـ)، وغيرهم بحثوا البديع كما بحثوا مسائل البلاغة الأخرى، ولم يميزوا بينها، فلكل فنّ من هذه الفنون أثره وجماله، فمنها ما يكون أثره في المعنى واضحا، ومنها ما يكون أثره ضئيلا في المعنى؛ ولكنها تكون مؤثرة في الجرس وموسيقى الكلام[٧٦]، ولم يفرقوا بين محسّن معنوي ومحسّن لفظي، ويتبع الدكتور أحمد مطلوب كلامه هذا، أنّ ما كان من هذه الفنون له روعته أثبتوه وبحثوه، وما لم يكن له ذلك الجمال والأثر تركوه، ولم يفسد البلاغة شيء كما افسدها تقسيم المتأخرين واهتمامهم بأنواع بديعية جامدة، وتلاعبهم بالألفاظ، ويبدو أنّ الدكتور مطلوب يتّهم السكاكي أن تقسيمه للبديع لم يقم على اساس[٧٧]؛ وإن السكاكي نفسه صرح بنفسه من حيث لا يدري أن (أصل الحسن في جميع ذلك أن تكون الالفاظ توابع للمعاني لا ان تكون المعاني لها توابع، أعني أن لا تكون متكلفة) لذلك لم يكن به حاجة الى ذلك التقسيم ويقترح الدكتور أحمد مطلوب ان تبحث موضوعات البديع كما تبحث موضوعات البلاغة الاخرى على ان تهمل الأنواع التي ليس لها تأثير في

---

[٧٤] .ينظر: البلاغة عند السكاكي :١٥٠ .

[٧٥] .مفتاح العلوم :٢٠٤ .

[٧٦] .ينظر: البلاغة عند السكاكي :١٥٢ .

[٧٧] .ينظر المصدر نفسه :١٥٢ .

www.manaraa.com

التعبير ولا تبعث في الكلام رونقا وطلاوة وتضفي عليه جمالا وبهاءً، وترتب الباقية وتهذب مسائلها[٧٨].

وتعقيبا على ما سبق من كلام الدكتور احمد مطلوب ، اظن انه ليس من المرجح ان بحث السكاكي في البديع لا يقوم على اساس ، وقد جمعها من كتابة الذين سبقوه من العلماء وليس له شيء من الجهد في استخراجها ،ولا في الإشارة الى جدواها واثرها في تحسين المعنى ،او تجميل المبنى[٧٩] بل لم تتحد مصطلحات الأشكال البديعية، ولم تتحدد إلاّ على يديه[٨٠].

فضلا عن أنه قد حرص على ربط الوجوه التحسينية بالأصل الدلالي وعدم انفصالها عن جوهر العملية الإبداعية[٨١]، تلك الدلالة التي اتهم السكاكي بانه أفسد البلاغة باستخدامها في مباحثه البلاغية، وكأن كلمة (الاستدلال)، من غريب اللغة! وكأن علماء اللغة العربية المحدثين بشقيها، يتقبلون فكرة:(ضرورة المعرفة بمباحث الألفاظ كبحث من ابحاث المنطق الستة)[٨٢]، التي تدرس من قبل اللغوي والمنطقي سواء أكان ذاتا أو عرضا ولا يتقبلون فكرة وجود مصطلح كمصطلح (الاستدلال) في الدراسات البلاغية!، فقد عرف البلاغة عبد الله بن محمد بن جميل المعروف بالباحث أنها:(الفهم والافهام، وكشف المعاني بالكلام، ومعرفة الاعراب والاتساع في اللفظ، والسداد في النظم، والمعرفة بالقصد، والبيان في الأداء، وصواب الإشارة ،وايضاح الدلالة، والمعرفة بالقول، والاكتفاء، بالاختصار عن الاكثار، وإمضاء العزم

---

(٧٨) .ينظر:البلاغة عند السكاكي:١٥٢ .

(٧٩) .ينظر: البيان العربي:٣٤٨ .

(٨٠) . ينظر: البلاغة والاسلوبية عند السكاكي :٣٣٤ .

(٨١) .ينظر: البلاغة والاسلوبية:٣٣٤ .

(٨٢) . المنطق، للعلامة محمد رضا المظفر:٢٣ .

www.manaraa.com

على حكومة الاختيار)[٨٣]، وفحواه تدل على أهمية الدلالة في تحقق بلاغة المتكلم.

لعلّه تنبه إلى ذلك بعد أن رأى أن أشكال البديع قد ارتبطت في أذهان الشعراء والبلاغيين، بالصورة اللفظية الحسّية أكثر من الجانب الدلالي غير المحسوس، الذي تكفل بعنايته علم المعاني وعلم البيان، الأمر الذي أغرى الشعراء بالعناية بالصورة اللفظية على حساب المعنى، مما أفقد النصّ جديته وعمقه الفني[٨٤].

وفي القرن نفسه جاء بدر الدين بن مالك (ت٦٨٦هـ) الذي اختصر (المفتاح) في كتابه المعروف (المصباح في علم المعاني والبيان والبديع)[٨٥]، ثم ها هو القرن الثامن يطل علينا، وقد اتجه علماء البلاغة فيه الى وضع الشروح والتعليقات على كتاب (المفتاح)، وكان من أشهر تلك التلخيصات كتاب (تلخيص المفتاح) للخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، وفيه هذّب كثيرا من المصطلحات والمسائل البلاغية بأسلوب سهل وأصبح فيما بعد قطبا يدور حوله الكثير من الشروح والحواشي، وقام القزويني بوضع شرح لتلخيصه سماه (الايضاح)، إذ ضمنه كثيرا من آراء العلماء السابقين، ورتبه بطريقة جيدة تسهل على الدارس تعلم هذا العلم ومعرفة أصوله وأسراره[٨٦].

وهو قاضي القضاة أبو المعالي جلال الدين محمد بن القاضي سعد الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن إمام الدين عمر القزويني الشافعي[٨٧]، وأوّل ما يتبادر الى الذهن إنّ الرجل أعجميٌّ، والواقع . وان تكن له الى قزوين نسبة . فإنّه عربيّ الدم

---

[٨٣]. العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١/٤٣٠.

[٨٤]. ينظر البلاغة والاسلوبية عند السكاكي :٣٣٥ .

[٨٥] . ينظر :البلاغة العربية ، مقدمات وتطبيق، بن عيسى باطاهر :١٣ .

[٨٦] .ينظر المصدر نفسه :١٤ .

[٨٧] . ينظر: الدرر الكامنة: ٣ / ٤ .

www.manaraa.com

ربيب البيئة المصرية[٨٨]، وترجم له السيوطي في بغية الوعاة[٨٩]، فنسبه الى أبي دلف العجلي، وكان القزويني نفسه يذكر أنه من نسل هذا العربي الأصيل الكريم[٩٠]، ووصفه بقوة باعه في الأدب.

ولد بالموصل سنة (ت٦٦٦هـ) وسكن بلاد الروم مع والده وأخيه واشتغل بالعلم وتفقه على والده، وولي منصب القضاء في الروم والشام ومصر، واشتغل في الفنون واتقن الاصول والعربية والمعاني، توفي في الشام في سنة ٧٣٩ هـ، وللشعراء فيه مدائح كثيرة، وكان يرغب الناس في الاشتغال بأصول الفقه وفي المعاني والبيان ،وتصنيفه المسمى (تلخيص المفتاح) مشهور ونظمه السيوطي وسماه عقود الجمان.. وله ايضاح التلخيص أيضا.

وكتابه الايضاح من أكثر الكتب رواجا والتي سيطرت على الدراسات البلاغية[٩١]، ألّفه بعد التلخيص في بيئة عربية وهي مصر، ولهذا نجدهما يتسمان بطابع فيه جنوح الى الذوق لا سيما كتاب الايضاح الذي كان أثرا لحياته في البيئة المصرية الظاهرة الميل الى الطريقة الادبية في دراسة البلاغة[٩٢]، وكان الدافع الى تأليف التلخيص ما وجد في (مفتاح العلوم) من الحشو والاضطراب، يقول القزويني:(وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنفه الفاضل العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكي أعظم ما صنف فيه من الكتب المشهورة نفعا؛ لكونه أحسنها ترتيبا، وأتمها تحريرا، واكثرها للأصول جمعا؛ ولكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد قابلا للاختصار مفتقرا الى الايضاح والتجريد، ألّفت مختصرا يتضمن ما فيه من

---

[٨٨] .ينظر: مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب:٢٤١ .

[٨٩] . ينظر: المصدر نفسه: ٦٦.

[٩٠] . ينظر: الايضاح :١٤، والدرر الكامنة:٣/٤ ، ومفتاح السعادة:١/١٢٠١، والبدر الطالع ١٨٣/٢ ،وشذرات الذهب: ١٢٣/٦ ،وبغية الوعاة: ٦٦ .

[٩١] . ينظر: البلاغة عند السكاكي:٣٧٢ .

[٩٢] . ينظر: المصدر نفسه :٣٧٢ ،وتاريخ علوم البلاغة: ١٢٤، ومقالة مصر في تاريخ البلاغة للخولي:٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القواعد ويشتمل على ما يحتاج اليه من الامثلة والشواهد، ولم آل جهدا في تحقيقه وتهذيبه ورتبته ترتيبا أقرب تناولا من ترتيبه، ولم أبالغ في اختصار لفظه تقريبا لتعاطيه وطلبا لتسهيل فهمه على طالبيه، وأضفت الى ذلك فوائد عثرت في بعض كتب القوم عليها وزوائد لم اظفر في كلام أحد بالتصريح بها ولا الاشارة اليها، وسميته تلخيص المفتاح)[٩٣].

وما يميز القزويني إنه جمع في مؤلفيه (التلخيص) و(الإيضاح) خلاصة المفتاح، ودلائل الاعجاز، وأسرار البلاغة ، وسرّ الفصاحة لابن سنان الخفاجي[٩٤].

وقد أُلفت كتبٌ في فجر النهضة الحديثة وما قبلها بقليل تأثرت بكتاب الإيضاح للقزويني[٩٥]، وقد ظهر أنّ النقاد المحدثين درسوا الاتجاهات النقدية الحديثة في الادب العربي ونقده وبلاغته من طريقين: طريق اعتمد الترجمات والمصطلحات الأجنبية وأقحمها على دراسة الادب العربي، فكانت نتائجهم ظلما للأدب الممتد في التاريخ والحضارة، وقسم انتفع بالاتجاهات والمذاهب الاجنبية في تجلية جماليات فنّ القول العربي[٩٦]، ويمكننا أن نعدّ مناهج بحث البلاغة الحديثة التي حاول المحدثون أن يضعوها، مناهج جاءت لتجديد البلاغة بعد أن وضعها القزويني[٩٧]، ولي في ذلك نظر، سيأتي الحديث عنه في ثنايا البحث بمعونة الله (عزّ وجلّ).

المبحث الاول

مصطلح الفصاحة عند الخطيب القزويني

---

[٩٣] . التلخيص:٢٢، ٢٣.

[٩٤] .ينظر: علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع :أحمد مصطفى المراغي:١١ .

[٩٥] . ينظر: القزويني والبلاغة الحديثة، بحث في مجلة كلية الآداب جامعة بغداد: أحمد مطلوب.

[٩٦] .ينظر: فصول في البلاغة: ٩.

[٩٧] . ينظر: المصدر نفسه: ٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في ضوء الدراسات البلاغية الحديثة

توطئة

تناول دارسو العربية قضية المصطلحات النقدية والبلاغية واهتموا بها؛ لأنهم رأوا أنّ المصطلحات أساس الدراسات العلمية الدقيقة فهي ترسم معالمها وتوضح مبادئها، وتتضح أهمية دراسة المصطلح بصورة عامة في انه مهما كان بينه وبين أصله اللغوي من علاقة فله وضع اصطلاحي جديد يخرج به الى دلالة جديدة غير دلالته اللغوية الاصلية[٩٨].

ومصطلحاتنا البلاغية نشأت نشأةً عربية وأخذت دلالتها من الأدب العربي الذي تزخر فنونه بألوان كثيرة من فنون التعبير، إلا إنّها واجهت مشكلتين:

الاولى: إنّها لم تُدرسْ دراسة وافية تظهر تطورها التاريخي[٩٩]، خصوصا بعد ضياع أكثر ميراثها العلمي والادبي على يد المغول.

والثانية: اختلاف الآراء ووجهات النظر حول دلالة المصطلح البلاغي؛ خصوصا وان المصطلح يحيطه (السياق) بدلالات قد تختلف باختلاف زاوية النظر التي يتخذها الباحث، حتى وان كان المصطلح رمزا لغويا له دلالة محددة في حقل معين من حقول المعرفة يتفق عليه مجموعة من العلماء في ذلك الحقل، ليصف أو يشير إلى ظاهرة من الظواهر[١٠٠]، فما زال الهدف من دراسة المصطلحات هو تيسير التعامل مع المفاهيم الجديدة التي لا رموز لها في معجمات اللغة، واستيعاب تلك المفاهيم ودمجها مع الثقافة الجديدة[١٠١]؛ فلن تعدم دراسة المصطلح من شيء من الاختلاف. وما دامت البلاغة لم تنضج ولم تحترق، خلافا لأكثر فروع العربية ففي اعناقنا امانة النظر فيما قاله القدماء وانضاجه بالبحث والدراسة وتلافي ما ينقصها مما لم يهتدوا اليه او يقولوا فيه[١٠٢]؛ يرى صاحب هذا الرأي وقد درس مصطلحي البلاغة والفصاحة في كتابه : (البلاغة والفصاحة لغة واصطلاحا)، الا يؤخذ كل ما انتهى اليه العلماء الاعلام من البلاغيين المتأخرين من

---

[٩٨] . ينظر: تعريفات الاصطلاح، كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، تح: لطفي عبد البديع:١/٢٥٤ .
وينظر: المصطلح البلاغي في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: ١٩ .

[٩٩] . ينظر: مصطلحات بلاغية، احمد مطلوب: ٥ .

[١٠٠] . ينظر: المصطلح البلاغي في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: ١٨ .

[١٠١] . ينظر: المصدر نفسه: ٢٠ .

[١٠٢] . ينظر: البلاغة والفصاحة لغة واصطلاحا، محمد جابر الفياض: ٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غير ما فحص، وكأنه بديهية من البديهيات ، أو مسلمة من المسلمات! بعد الذي رأيناه من قولهم إن البلاغة لم تنضج ولم تحترق[١٠٣]، ويركز في بحثه هذا على قضيتين مهمتين في دراسة المصطلح البلاغي، وهما:

١/ دلالة المصطلح في السياق الذي ورد فيه، والقاء الضوء على تطوره الدلالي في مراحله المختلفة فيما تبرزه وجهة النظر الادبية او الفنية.

٢/ قضية المفاضلة او الترجيح او الامساك بخيط التطور الدلالي الذي يربط بين دلالات المصطلح المختلفة باختلاف العصور[١٠٤].

لقي مصطلحي (الفصاحة والبلاغة) مجالا واسعا من الدرس والبحث من قبل البلاغيين المحدثين؛ لأنهما من مقدمات البلاغة العربية، كما عدهما الخطيب القزويني الذي استقرت عنده فنون البلاغة ومصطلحاتها بعد السكاكي في كتابه (مفاتيح العلوم) واخذت دلالتها العلمية ومعناها الدقيق[١٠٥]، ولا يمكن لباحث أن يتجاوز دراسة هذين المصطلحين قبل فنون البلاغة الثلاثة (المعاني، والبيان، والبديع).

في (القزويني وشروح التلخيص) ظنّ الدكتور أحمد مطلوب أنّ القزويني قام بتقسيم البلاغة الى مقدمة ومقاصد[١٠٦]، و**المقدمة:** في الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة، و**المقاصد:** في تبيان المعاني والبيان والبديع، وانه بتقسيمه هذا قد أخرج الفصاحة عن المقاصد[١٠٧]، وفي رأيه ان الفصاحة من مقاصد القول لا من مقدماته[١٠٨]؛ لأنها تختصّ بالكلمة المفردة؛ والكلمة المفردة عنصر أساسي في أي عمل فني أداته الكلمة، فلا يجوز أن تعدّ الفصاحة الا من مقاصد القول لا من مقدماته[١٠٩]، فضلا عن كون البحث في مصطلحي الفصاحة والبلاغة ومعرفة خصائصهما لمن اوائل ما يبدأ به الدارس في تفهم البلاغة ونقد الكلام[١١٠]، وبذلك يعارض الدكتور احمد مطلوب القزويني في عده لهما من المقدمات لا من المقاصد.

---

[١٠٣] : ينظر: البلاغة والفصاحة لغة واصطلاحا، محمد جابر الفياض: ٨ .

[١٠٤] . ينظر: البلاغة والفصاحة لغة واصطلاحا، محمد جابر الفياض: ٨ .

[١٠٥] . ينظر: مصطلحات بلاغية، احمد مطلوب: ٦، ٧ .

[١٠٦] . ينظر: البحث البلاغي عند العرب ، احمد مطلوب: ٩٣.

[١٠٧] . ينظر: المصدر نفسه: ٩٣.

[١٠٨] . ينظر: المصدر نفسه: ٩٣.

[١٠٩] . المصدر نفسه، وينظر: القزويني وشروح التلخيص، احمد مطلوب: ٦٢٩ .

[١١٠] . ينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٦٢٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولشدة الاهتمام بالتلخيص والايضاح فقد جر تقسيم القزويني هذا الى نقاش واختلاف في معنى المقدمة، فقد ذهب الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة الى أن ذكر معنى الفصاحة قبل الشروع في مسائل المعاني والبيان والبديع ضروري لتوقف معرفة معانيها على معرفة معنى البلاغة والفصاحة وكل ذلك مما يرتبط بالمقصود[١١١]، ويبدو أن القزويني كان متنبّها لأمرٍ جعله يتخذ هذا التقسيم، وقد صرح به بقوله: إن السكاكي (قد جعل الفصاحة غير لازمة للبلاغة وحصر مرجع البلاغة في الفنين ولم يجعل الفصاحة مرجعا لشيء منهما)[١١٢]، ومن خلال قراءتي لمقدمة الايضاح، وتتبعي لمنهج القزويني يمكنني أن أعلل منهجه هذا بثلاثة أمور، هي:

١/ إنه قدم الفصاحة والبلاغة اهتماما منه بهذين المصطلحين وليس فصلا لهما عن فنون البلاغة.

٢/ انه كان على وعي تام بقضية (المصطلحات) التي تشكل ميدانا مهما ينبغي على كل باحث او مؤلف ان يكون مدركا لأهمية تقديمها، كمقدمة لدراسة اي علم من العلوم او أي فن من الفنون؛ فأراد الخطيب بذلك ان يبين لنا أن:(الفصاحة والبلاغة) مصطلحان بحاجة الى تعريف، والتفريق بينهما قبل الشروع في التأليف في علوم البلاغة الثلاث؛ لذلك ذكر في مقدمته:(للناس في تفسير الفصاحة والبلاغة أقوال مختلفة لم أجد فيما بلغني منها ما يصلح لتعريفها به، ولا ما يشير الى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام او كون الموصوف بهما المتكلم...)[١١٣]. ومن منظور قضية المصطلحات أيضا وبعد ان استقريْتُ كلام السكاكي عن(الفصاحة) التي لم يعطها تعريفا . كما سبق . وانه قسمها إلى:(قسم راجع الى اللفظ، وقسم راجع الى المعنى)[١١٤]، اظن ان القزويني قدم القول في الفصاحة على البلاغة؛ وكأن علمي (المعاني والبيان)، وحتى(البديع) يتشاركون المحاصصة فيها؛ وكل علم منها فيه حاجة في الاشتغال بها؛ باعتبار أن علم (المعاني) علم يهتم بمطابقة الكلام لمقتضى الحال (نحويا)، وهو اشتغال يخص اللفظ، وباعتبار أن البيان علم يهتم بإيراد المعنى الواحد بطريقة مختلفة في وضوح الدلالة

---

[١١١] . ينظر: تعليق د. محمد عبد المنعم خفاجة على الايضاح: ١٦/١

[١١٢] . الايضاح: ١/ ١٧ .

[١١٣] . المصدر نفسه: ١/ ١٧ .

[١١٤] . مفتاح العلوم: ٦٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليه[١١٥]، وهو اشتغال يخص المعنى، وكذلك الامر بالنسبة للبديع، يحوي الاشتغالين معا؛ وما دام القزويني قد عرف البلاغة أنها: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته[١١٦]، اعتقد ولست أظن أنه كان على إدراك منه في قضية تقديم الفصاحة والبلاغة على العلوم الثلاثة وفاقا لما سبق.

٣/ بما ان الخطيب القزويني رجل عالم بالفقه والاصول وعلم الكلام؛ فهذه الفئة من العلماء لديها قانون او ضابط يقول: إن مقدمة الواجب واجب، فلو نظرنا الى المسألة من الزاوية نفسها التي ينظر منها الخطيب القزويني، وفكرنا بالطريقة نفسها التي يفكر بها بوصفه عالما بالأصول؛ لاستطعنا ان نسوّغ له ذلك المنهج، وأدركنا انه لا يريد في تقسيمه هذا ان يفصل بين مصطلحي (الفصاحة والبلاغة) عن الفنون الثلاثة.

ومما يجدر ذكره أنّ مقدمة القزويني هذه في كتابه الايضاح قد وصفت أنها: كلام فيه مجازفة، وأن أبا هلال قد سبقه ببيان الفرق بين الفصاحة والبلاغة في (الصناعتين)، وكذلك ابن سنان الخفاجي في (سرّ الفصاحة)، وعبد القاهر الجرجاني في (أسرار البلاغة)[١١٧]، والظاهر لي إن الخطيب القزويني لم ينكر وجود من سبقه في التفريق بينهما؛ الا إنّه . كما اشرنا . كان على وعي بقضية (المصطلح)، والمصطلح البلاغي كان في زيادة ولم تستقر المصطلحات البلاغية حتى وصلت الى السكاكي وابن مالك والخطيب، حيث مرحلة الاستقرار واتخاذ الشكل الثابت[١١٨]، ويبدو إنّ هناك تناقض في آراء الباحثين؛ فمرة يتهمون تقسيم القزويني أنه غير دقيق[١١٩]؛ لأنه فصّل القول في الفصاحة والبلاغة في مقدمة كتابه(الايضاح)، في الوقت الذي يعيبون فيه على السكاكي عدم افراده فصلا للفصاحة، أو(أن يجعلها مقدمة للبلاغة كما فعل القزويني)[١٢٠]!!، ومرة يرون ان الفصاحة والبلاغة ترجعان الى معنى واحد، وإن اختلف أصلاهما[١٢١]، وانه لا

---

[١١٥] . الايضاح: ٤/ ٤.

[١١٦] . المصدر نفسه: ١/ ٤١.

[١١٧] ينظر: الايضاح: تعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي عليه: ١/ ١٧.

[١١٨] . ينظر: المصطلح البلاغي في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: ٢٧.

[١١٩] . ينظر: البحث البلاغي عند العرب: ٩٣ .

[١٢٠] . ينظر: البلاغة عند السكاكي: ١٥٣ .

[١٢١] . ينظر: فصول في البلاغة: ٨٣ ، والصناعتين: ١٣ ، والاسلوبية والاسلوب: ٤٨، وما بعدها، وفن القول: ٤٨وما بعدها ، والاسلوب: ٣٧.

www.manaraa.com

حاجة الى استعمال(الفصاحة) و(البلاغة) بل ينبغي التسوية بينهما[١٢٢]، كما عند الجاحظ وعبد القاهر؛ تقليلا للأقسام، في حين أنّ الخطيب القزويني أراد ان يتلافى بتفصيله أو إيضاحه ذلك الجفاف الذي طبع به كتابه (التلخيص) فعزم على شرحه وبسط الكلام فيه في(الايضاح)؛ ليكون أنفع وأجدى وأكثر تداولا وفائدة[١٢٣]، كما أنه أراد أن يعوض عدم اهتمام السكاكي ببحث الفصاحة كما اهتم به المتقدمون[١٢٤]، اذ قام السكاكي بذكرها في نهاية علم البيان وقسمها على قسمين: قسم راجع الى المعنى وقسم راجع الى اللفظ[١٢٥]، ولم يعرفها؛ ولذلك قال القزويني إنّه عمد الى ما خلا منه المختصر ممّا تضمنه المفتاح[١٢٦]، فقام القزويني بجعل(الفصاحة) و(البلاغة) مقدمة، وقد جرّ هذا الى نقاش واختلاف بين أوساط من جاء بعد القزويني من الشراح، في معنى المقدمة[١٢٧]؛ يقول السبكي:(فإن اراد انها مقدمة الكتاب فهي جزء منه، وان اراد انها مقدمة العلوم فهي ذريعة اليها بدليل انه سيذكر هذه العلوم مستقلة، ويجوز أن تكون جزءا لكل من الثلاثة، لذلك قدمها عليها، فالراجح إنها جزء على التقديرين خلافا لقول الخطيبي انها ذريعة)[١٢٨]، فما دامت قضية مقدمة الايضاح قد دخلت فيها التقديرات والاحتمالات فلا ينبغي أن يتهم الرجل بتهم تمسّ بنظرته البلاغية الى المصطلحات، وقول الخطيب بانه لم يجد في ما بلغه من أقوال الناس المختلفة في تفسير الفصاحة ما يصلح لتعريفها به ليس غريبا؛ ما دام تفسيرها بـ(الابانة والاظهار)، كان مبعث إشكال وحيرة وتساؤل لغير واحد من المعنيين بالبلاغة[١٢٩]، وما دام لم يستقر للحدود قرار على النحو الذي انتهت إليه عند متأخري البلاغيين، وان كانت دلالاتها العامة معروفة غير مجهولة حتى في العهود التي سبقت عهد الجاحظ وأبي هلال العسكري[١٣٠]، وكذلك الحال بالنسبة للبلاغة التي ظلت مرددة بين أن تكون صفة للفظ، أو صفة للمعنى، أو صفة للأسلوب، الذي يجمع بينهما، وبين

---

[١٢٢] . ينظر: مادة بلاغة المعارف الاسلامية(الطبعة العربية) ج ٤/ ٦٦، وينظر: البلاغة عند السكاكي: ٣٠٣.

[١٢٣] . ينظر: الايضاح: ١/ ١٦، والبلاغة عند السكاكي: ٣٧٤.

[١٢٤] . ينظر: البلاغة عند السكاكي: ١٥٣.

[١٢٥] . ينظر: مفتاح العلوم: ٦٥٣.

[١٢٦] : ينظر: الايضاح: ١/ ١٦.

[١٢٧] . ينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٦٢٩.

[١٢٨] . عروس الافراح: ج١ ،٦٧ .

[١٢٩] . ينظر: البلاغة والفصاحة لغة واصطلاحا: ١٠٤ .

[١٣٠] . ينظر البلاغة والفصاحة: ٨٠ .

www.manaraa.com

الصورة والنظم والأثر الادبي[١٣١]، واستعملت ردفا للفصاحة وللبراعة وللبيان وللبديع[١٣٢]، فتجاهلُ ما انتهى اليه البلاغيون المتأخرون وأعني بذلك القزويني، هو المجازفة بعينها، ولا بد لي في صدد هذا البحث أن أشير الى تلك الآراء القيمة التي ساقها الدكتور محمود شاكر في تقويمه للبلاغة العربية القديمة، وكتب التراث ورجاله بعامة؛ فقد ذكر في سياق ردّه على اولئك الذين يستهينون بما كتبه "البلاغيون بعد السكاكي" أن هذه الكتب جميعًا منذ السكاكي إلى الدسوقي كانت تقعيدًا لبعض ما كتبه عبد القاهر في كتابيه في البلاغة، فهو أول من أسّس علم البلاغة تأسيسًا بالغ الدقة، ومن طلب البلاغة منهما وحدهما، فقد وقع في بحر تتلاطم أمواجه، راكبه على غرر الغرق، الذي يضمن لراكبه النجاة هم الذين قعّدوا قواعد علم البلاغة، وكتبوا الكتب والحواشي وضمنوها درراً لا يُعرض عنها إلاّ جاهل، ولا يذمّها ويحثّ الناس على الإعراض عنها، إلاّ من استهان بالعلم والعلماء[١٣٣].

فكتابا (التلخيص) و(الايضاح) للخطيب القزويني، و(شروح التلخيص)، تبقى مصدرا أساسيا للبحث البلاغي؛ لأنّ فيها التقسيم العقلي والتحديد المنطقي والعرض الدقيق [١٣٤]، والخطيب القزويني برع في ترتيب المسائل وعرضها بأسلوب واضح[١٣٥] على النحو الذي جاء به.

يرى القزويني أن كل واحدة من البلاغة والفصاحة تقع صفة لمعنيين: أحدهما (الكلام) كما في قولك قصيدة فصيحة أو بليغة، ورسالة فصيحة أو بليغة، والثاني(المتكلم) كما في قولك شاعر فصيح أو بليغ، وكاتب فصيح أو بليغ، والفصاحة خاصة تقع صفة للمفرد فيقال: كلمة فصيحة، ولا يقال كلمة بليغة[١٣٦]، وتعريف القزويني للبلاغة أنها (مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته) تعليل لكلامه هذا؛ إذ لا تتحقق المطابقة لمقتضى الحال في المفرد.

---

[١٣١] . ينظر: فصول في البلاغة: ٨٨ .

[١٣٢] . ينظر: ينظر: البلاغة والفصاحة :٥٩ .

[١٣٣] . انظر مقدمة أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر:١٧.

[١٣٤] . ينظر البحث البلاغي عند العرب:٩٣.

[١٣٥] . ينظر: تيسير البلاغة في كتب التراث: ٦٦، وينظر مقدمة المحقق، شرح البديعية المسماة، عائشة الباعونية(ت ٩٢٢هـ): ١٥.

[١٣٦] .ينظر: الايضاح: ٢٠ .

www.manaraa.com

فالفرق بين الفصاحة والبلاغة عند الخطيب القزويني: إن الفصاحة صفة للمفرد والكلام والمتكلم، والبلاغة صفة للكلام والمتكلم فقط[١٣٧] ، وهو تفريق يحتسب له . على حدّ علمي . علما أنّ الفصاحة والبلاغة عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني مترادفتان، يجعلهما وصفا للكلام لا للفظ المفرد فلا تقول عنده كلمة فصيحة ولا كلمة بليغة[١٣٨]، يقول:(في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة، وكل ما شاكل ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا، وأخبروا السامعين عن الاغراض والمقاصد، ورامو أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم ...)[١٣٩]، وهذا سبب وجيه آخر جعل القزويني يقول:(إنّ للناس في تفسير الفصاحة والبلاغة أقوالا مختلفة لم اجد فيما بلغني منها ما يصلح لتعريفها به، ولا ما يشير الى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام وكون الموصوف بهما المتكلم)[١٤٠]؛حتى أن الدارسين المحدثين قد تنبهوا الى رأي الجرجاني الذي لم يفرق فيه بين الفصاحة والبلاغة؛ إذ يعلق د. محمد جابر الفياض على مقولة الجرجاني في الفصاحة والبلاغة:(بأنه ـ اي الجرجاني ـ هو وما آثره، فما آثر هذا الذي آثره إلا لأشعريته، لا لجهله بما بين لفظ الفصاحة والبلاغة من تباين لغة واصطلاحا ولا لعدم الحدود بينهما، فليس لمن هو أقل شأنا منه أن تختلط عليه حدودهما فضلا عنه، ومعروف من هو الشيخ عبد القاهر الجرجاني علمًا وفطنةً، وقد راينا أن الذين سبقوه كانوا فرقوا بين الفصاحة والبلاغة بما علمه علم خبير به وجادل فيه جدال القدير المتمكن)[١٤١].

فالجرجاني وهو أحد اكثر من لقيت شواهده ـ على وجه الخصوص ـ عناية خاصة من البلاغيين فتداولوها فيما بينهم لما كان له ولمنهجه وذوقه مكانة مميزة دفعتهم لاحتذائه[١٤٢]، في النهاية، قد آثر اشعريته على قضية مهمة لم تغب عمن سبقه أو عمن

---

[١٣٧] ينظر: الايضاح: ١٩، ٢٠

[١٣٨] . ينظر: دلائل الاعجاز:٣٥ وينظر: البلاغة والتطبيق: ٢٧ .

[١٣٩] . دلائل الاعجاز: ٣٥ .

[١٤٠] . الايضاح :١/ ١٧ .

[١٤١] . البلاغة والفصاحة: ٨

[١٤٢] . ينظر:البلاغة العربية قراءة اخرى، د. محمد عبد المطلب :٢٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تلاه، وهي قضية تخصّ أخطر مصطلحات البلاغيين وهما (الفصاحة والبلاغة)، فهما شرطان مبدئيان للولوج الى عالم الإبداع الادبي[١٤٣].

و الجدير بالذكر أن قضية مصطلحي (الفصاحة والبلاغة) ، من حيث أن البلاغة صفة راجعة الى اللفظ، والفصاحة صفة راجعة الى المعنى قادت إلى كثيرٍ من التوهم بوجود تناقض في كلام الشيخ عبد القاهر الجرجاني في دلائله، فقد ذكر في مواضع منه أن الفصاحة صفة راجعة الى المعنى والى ما يدل عليه اللفظ دون اللفظ نفسه، وفي بعضها أن فضيلة الكلام للفظه دون معناه[١٤٤]، حتى أن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها الاعجمي والعربي والقروي والبدوي...، ولا شك أن الفصاحة من صفاته الفاضلة فتكون راجعة الى اللفظ دون المعنى. وقد حاول أحد المحدثين اللغويين تلافي هذا التوهم، في أن وجه التوفيق بين الكلامين أن الشيخ أراد بالفصاحة معنى البلاغة كما صرّح به، وحيث أنه أثبت أنها من صفات الالفاظ أراد أنها من صفاتها باعتبار إفادتها المعاني عند التركيب، وحيث أنه نفى ذلك أراد أنها ليست من صفات الالفاظ المفردة والكلم المجردة من غير اعتبار التركيب، فليس هناك تناقض في كلام الشيخ[١٤٥]؛ لكن من يقرأ كتاب الشيخ ويمعن النظر في مباحثه، سيدرك واقعية كلام الدكتور محمد جابر الفياض؛ في أن الشيخ الجرجاني قد آثر أشعريته على حساب التفريق بين مصطلحي (الفصاحة والبلاغة)، وبشهادة محقق كتاب الدلائل: محمد محمود شاكر[١٤٦]؛ والسبب مشكلة التناقض الحاصل بين المذاهب الاسلامية، ورغبة أقطابها في الردّ على بعضها البعض.

المبحث الاول

الفصاحة عند الخطيب القزويني

في ضوء الدراسات البلاغية الحديثة

---

[١٤٣] .ينظر: المصدر نفسه:٤١.

[١٤٤] . ينظر: المطول: السعد التفتازاني: ٢٨،٢٩، والتركيب اللغوي للأدب: لطفي عبد البديع: ٨ .

[١٤٥] . ينظر: التركيب اللغوي للادب:٨ .

[١٤٦] . ينظر: دلائل الاعجاز: مقدمة المحقق:(ب ، ج).

www.manaraa.com

لم يعرف القزويني (الفصاحة) على الاطلاق؛ لتعذر جمع المعاني المختلفة غير المشتركة في أمر يعمها في تعريف واحد[١٤٧]، وقدم الكلام على الفصاحة قبل البلاغة؛ لأنّ البلاغة سواء أكانت بلاغة كلام أم بلاغة متكلم موقوفة على معرفة الفصاحة في الجملة[١٤٨].

المطلب الاول:(الفصاحة في المفرد)

تناول القزويني الفصاحة على ثلاثة مستويات: المستوى الاول: الفصاحة في المفرد(الكلمة)، وعرفها أنها: خلوص المفرد من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي[١٤٩]. ويشترط لها شروطا ثلاثة[١٥٠]:

أـ خلوها من تنافر الاصوات، وهو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها، والحكم في التنافر هو الذوق الصحيح الذي يدرك به لطائف الكلام ووجوه تحسينه فكل ما يعدّه الذوق الصحيح ثقيلا متعسر النطق به؛ فهو متنافرٌ سواء أكان من قرب المخارج أو من بعدها[١٥١]، وقد قدّم البلاغيون مجموعة من المسوغات الصوتية التي تحدد مفهوم التنافر سلبا وايجابا، وهذا ما لم يقم به القزويني في (إيضاحه)، إذ أرجعه بعضهم الى التباعد الشديد او القرب الشديد في المخرج، وقد قدم بهاء الدين السبكي ـ وهو أحد شراح (التلخيص) ـ تصورا تجريديا لمستويات الجمع بين المخارج، ومن خلاله يمكن الحكم بالقيمة رفضا أو قبولا، فالكلمة الثلاثية لها اثنا عشر تجريدا من حيث المخارج[١٥٢]، ومن خلال هذا التجريد يقدم السبكي قاعدته الصوتية لدخول دائرة الفصاحة؛ فالقزويني لم يشرح سبب التنافر في المثالين اللذين أعطاهما للاستشهاد على صفة التنافر[١٥٣]، وهما قول الاعرابي الذي سأل عن ناقته فقال: تركتها ترعى **الهعخع**، ولفظة (مستشزرات) في قول امرئ القيس:

---

[١٤٧] . ينظر: الايضاح: ١/ ٢١.

[١٤٨] .ينظر: تعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي على الايضاح:١/ ٢١.

[١٤٩] .ينظر: الايضاح: ١/ ٢١.

[١٥٠] .ينظر:البلاغة والنقد ، المصطلح والنشأة والتجديد، محمد كريم الكواز:٤١ .

[١٥١] . ينظر: تعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي على الايضاح: ٢٢.

[١٥٢] .ينظر: عروس الافراح: بهاء الدين السبكي :٣٧ وينظر: البلاغة العربية قراءة اخرى: ٤٣ ،٤٤ .

[١٥٣] . ينظر: مصطلحات بلاغية: احمد مطلوب:٣٤ .

www.manaraa.com

غدائرهُ مستشزراتٌ إلى العُلى تظلُّ العَقاصُ في مثنّى ومرسلِ[١٥٤]

ولم يذكر علّتها، وكان ابن سنان الخفاجي قد عللها بقوله:(وعلّة هذا واضحة وهي أن الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر ولا شكّ في أن الالوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة، ولهذا كان البياض مع السواد احسن منه من الصفرة، لقرب ما بينه وما بين الاصفر وبعد ما بينه وبين الاسود واذا كان هذا موجودا على هذه الصفة لا يحسن النزاع فيه كانت العلة في حسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة هي العلة في حسن النقوش اذا مزجت من الالوان المتباعدة)[١٥٥]، وعلل الدكتور احمد مطلوب، سبب التنافر الذي لم يذكره القزويني بقوله: قد جمعت لفظة(الهعخع) القبح من أطرافه؛ لأن جميع حروفها حلقية، وحرف حلقي واحد يبعث على الثقل فكيف اذا اجتمع الهاء والعين والخاء في كلمة واحدة؟ [١٥٦]، وأما لفظة (مستشزرات) فهي في رأي القزويني دون لفظة (الهعخع) في التنافر[١٥٧]؛ أي إنه قد فسح مجالا للنسبية في مدى فصاحة الكلمة، يؤكد ذلك تقسيم الدكتور أحمد المراغي التنافر على ضربين:

١. شديد متناءٍ في الثقل كالصمعمع[١٥٨]، والطساسيج[١٥٩]، والظش[١٦٠].

./ خفيف كالنقاخ[١٦١]، والنقنقة[١٦٢]،والمثغنجر[١٦٣] ،ومستشزرات[١٦٤].

لذلك اختلف النقاد فيما بينهم في مدى إخلال هذه الكلمة لصفة الفصاحة، اذ يرى بعضهم أن امرأ القيس لو قال(مستشرف)[١٦٥] أو(مستنفرات) أو(مستنكرات)[١٦٦] لزال

---

[١٥٤] . ينظر: ديوانه: ٥٦.

[١٥٥] . سر الفصاحة: ٦٦ .

[١٥٦] . ينظر: مصطلحات بلاغية :٣٤ .

[١٥٧] . ينظر :الايضاح:٢٣ .

[١٥٨] .الصغير الاذن. ينظر: الصحاح:١٢٤٥/٣(صمع)

[١٥٩] . جمع طسوج: وهي الناحية، معربة. الصحاح: ١/ ٣٢٧ (طسج).

[١٦٠] . الموضع الخشن. تاج العروس: ١٣٦/٩ (ظشش).

[١٦١] . الماء العذب، والامر المهذب. ينظر: العين: ٥٠/٣، مقاييس اللغة: ٤٦٧/٥.

[١٦٢] . النقيق صوت الضفدع، فإذا رجع صوته قيل نقنق. النهاية في غريب الحديث والاثر: ١١٠/٥.

[١٦٣] . قال ابن جني: السائل من ماء او دمع. تاج العروس: ٣٢٤/٧ (غنجر).

[١٦٤] . ينظر: علوم البلاغة: ١٦ ،والشزر من الفتل، خلاف دور المغزل، يقال حبل مشزور. الصحاح: ٦٩٦/٢(شزر).

[١٦٥] . ينظر: مصطلحات بلاغية:٣٤ .

www.manaraa.com

الثقل، فكلمة مستشزرات غير فصيحة؛ لثقلها على اللسان، وهذا الثقل إنّما جاء من تقارب مخارج حروف هذه الكلمة[١٦٧]، وليس غريبا على شاعر بدوي أن يصدر عنه مثل هذه الالفاظ التي ربما أراد التعبير بها عن معنى يناسب قوتها الصوتية، فالألفاظ ليست إلا رموزا تعبّر عن المعاني الكامنة في النفس؛ فالمعنى يظل حائرا في الذهن، حتى يستقر في الكلمة المناسبة وحينئذٍ يتحدد المراد منه ويثبت ويتضح[١٦٨]، فما بالنا من شاعر كإمرئ القيس، الذي شاء ان يتضح مقصده في هذه اللفظة دون سواها، فالشاعر يقول الشعر وعلينا نحن أن نتأوّل ما يقول! ولا شكّ إن البلاغيين قد تنبهوا لملابسات التحول من الداخل الذهني الى الخارج الصياغي، وذلك بتبنيهم مقولة النحاة في: (قوة اللفظ لقوة المعنى)[١٦٩]، القوة التي جلبها ذلك التنافر والثقل والعسر في النطق؛ بدليل أن بعض البلاغيين تجاوزوا التحكم المطلق في استعمال الأوزان ومدى خفتها وثقلها، وربطوا بين كم الحروف والناتج الدلالي، فاستعمال الكلمات الاقل حروفا قد يكون أنسب لما فيها من خفة، هذا اذا لم يكن هناك "هدف دلالي يتنافى مع هذه البنية (الخفيفة)، كالتهويل وما يستدعيه من إشغال السمع بكثافة صوتية ممتدة، وهذا ما أظنّ أنه السبب من وراء نطق ذلك الاعرابي لتلك الكلمات المتنافرة والمعقدة؛ لغرض تهويل الناس الذين اجتمعوا حوله، عن موقف سقوطه الذي تسبب له بحرج أراد أن يعالجه بتهويلهم بتلك الكلمات وشغلهم عنه بها، وهذا الامتداد يتساوى فيه الأصول والزوائد[١٧٠]؛ ولذلك يرى الدارسون ان العلاقات اللغوية داخل القصيدة تسلك نسقا خاصا تحدده انفعالات الشاعر ومؤثرات التجربة الوجدانية، فتوضع الكلمات والجمل على نحو يحمل أنفاس الشاعر، وروح الموقف الوجداني، فاذا الاصوات تردد صداها من خلال علاقات صوتية لغوية بلاغية خاصة، لا تقبل أي تبديل فيها؛ لأن ذلك يؤدي الى خلخلة النظام الشعري في القصيدة والى تغيير معناها[١٧١]. وكذلك امرؤ القيس أراد أن يقول إن غدائر الشعر مرتفعة، فقد حركته الريح فبقي بعضه . كما هو. مرسلا، وتثني بعضه الاخر كما تفطن لذلك الدكتور محمد الصادق

---

[١٦٦] . ينظر: البلاغة العربية ،قراءة اخرى:٤٦ .

[١٦٧] . ينظر: البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد:٤١ .

[١٦٨] .ينظر: المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: د. رمضان عبد التواب: :١٣٧ .

[١٦٩] . البلاغة العربية قراءة اخرى:٤٦ .

[١٧٠] . ينظر: الاقصى القريب: التنوخي: ، ١٣٢٧ هـ:٣٧،وينظر:البلاغة العربية قراءة اخرى:٤٦ .

[١٧١] . ينظر: الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي:د. ابتسام محمد حمدان٦:١.

www.manaraa.com

عفيفي[١٧٢]، وهو لا يرى في هذه الكلمة (مستشزرات) من تنافر، بل يصرّ على أن في هذه الكلمة لهذه الصورة التي جاءت عليها من شدة تقارب حروفها مع بعضها البعض، وتداخل هذه الحروف عند النطق بها والمعاناة؛ إذ فيه تصوير للمعاناة التي تتعرض لها الفتاة العربية، في الصحراء، من عناد بين ريح الصحراء الشديدة، ومدافعة شعرها الطويل المسترسل لتلك الريح، وبهذا تكون صورة الشعر متداخلة متقاربة مختلفة، تتقارب مع صورة تقارب حروف الكلمة صعوبةً ومعاندةً وثقلا وعسرا[١٧٣]، وقضية التنافر في الكلمات شغلت تفكير علماء اللغة المحدثين، مثل الدكتور تمام حسان إذ يعتقد أن شرط الخلو من تنافر الحروف يعود الى الاصوات، وإن الشروط الثلاثة الاخرى التي اشترطها القزويني[١٧٤] في فصاحة المفردة لا يعود واحد منها الى أصل بلاغي صِرف[١٧٥]، وله رأي في الشروط التي وضعها القزويني لفصاحة المفردة، ويصف هذا التحديد أنه مطعون فيه من جهتين:

أـ إنه سلبي، والتحديد بالسلب ضعيف، فلا يحدد المصري مثلا أنه من ليس صينيا، ولا يابانيا، ولا هنديا.

ب ـ إنّ من الصعب أن يعتمد النقد الاسلوبي هذا التحديد؛ إذ قد يكون من المطلوب أسلوبيا أن يستعمل الأديب كلمة فيها تنافر الحروف، أو فيها غرابة أو مخالفة للقياس أو كراهة في السمع كما في لفظ (المناخر)[١٧٦]، واذا كان مطلوبا كان مؤشرا أسلوبيا ذا دلالة معينة في سياق الموقف المناسب.

فكلمة (مستشزرات)غير فصيحة[١٧٧] في نظر القزويني و هو لم يذكر لنا سوى هذين الشاهدين؛ ولعل السبب في ذلك؛ أن مسألة التنافر كانت محدودة في الواقع اللغوي، على معنى أن الذوق الصياغي كان يتجنب هذه الظاهرة الصوتية وإن كان هناك توجيه في أن بعض المختصين في لغة العرب، والذين لديهم إلف بالعربية، وجهاز النطق عندهم

---

[١٧٢] . ينظر: النقد التطبيقي والموازنات ، د. محمد الصادق عفيفي:٦٧.

[١٧٣] . ينظر: فصول في البلاغة، د. محمد بركات حمدي أبو علي: ٦٠ .

[١٧٤] . ورد في كتاب مقالات في اللغة والادب أن صاحب الايضاح هو (التبريزي) في ص ١٥١ و١٥٦ ، وهو سهو.

[١٧٥] . ينظر: مقالات في اللغة والادب، تمام حسان : ١٥١/٢.

[١٧٦] . ينظر: المصدر نفسه: ١٤٩ و١٥٠ و١٥١.

[١٧٧] . ينظر: البلاغة والنقد:٤١ .

www.manaraa.com

سليم، لا يجدون صعوبة في نطقها، بل يجدون متعة في استعمالها خاصة إذا كانوا ممن يتعاملون بالغريب، ويحتفلون به[١٧٨]، كالذي نطق به عيسى بن عمرو النحوي عندما سقط عن حماره، واجتمع الناس عليه، فقال للمجتمعين حوله (ما لكم تكأكأتم علي كتكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عنّي)[١٧٩] اي ما لكم اجتمعتم حولي مثل اجتماعكم حول مجنون، ابتعدوا عني. فعيسى بن عمرو عندما نطق هذه العبارة هي الاولى في تفكيره التي تحمل ما يريد أن يدفع به هذا الموقف المضحك من المجتمعين حوله لما رأوه يسقط عن حماره، فالمنظر جعل المجتمعين ينظرون اليه كما لو كان الساقط على الارض مجنونا!، ولهذا فعباراته كانت تحمل معانيه وهي من موروثه اللغوي، ومخزونه من المفردات التي يستعملها[١٨٠]؛ لأن البلاغيين العرب قد اشترطوا الناحية الصوتية[١٨١]؛ لذلك نلحظ أن نماذج التنافر كانت قليلة يتوارثها البلاغيون خلفا عن سلف[١٨٢]، كما فعل القزويني، لذا على المشتغلين بالبلاغة العربية أن يعيدوا النظر في أمثلة البلاغة العربية واستعمالها من عصر الى آخر، ثمّ شرحها وتقريبها الى أبناء عصرهم، حتى لا تموت البلاغة العربية أو تلحقها صفة الجمود والتعقيد[١٨٣].

لكن المحدثين تنبهوا في الوقت نفسه الى أن تدخل الفصاحة في النتاجات الادبية، يأتي من جهة الاختيار، وان البلاغيين القدماء رغم انهم لم يتركوا للمبدع حرية مطلقة في التعامل مع الدوالّ، لكنهم ادركوا في الوقت نفسه أن دائرة الاختيار هذه لها مسوغاتها الصوتية التي تمثل تحولا لمستوى الحركة الذهنية من الداخل الى الخارج، وأن هذا التحول من الداخل الذهني الى الخارج الصياغي يرافقه ملابسات، لذلك فقد تبنوا مقولة النحاة عن(قوة اللفظ لقوة المعنى)الذي ورد ذكره[١٨٤].

ولنا ان نتساءل، فشاعر كامرئ القيس في بيته الذي استشهد به القزويني على تنافر الحروف في كلمة (مستشزرات)، هل يجوز ان نستدل بشعره في هذه المواضع كما

---

[١٧٨] . ينظر: فصول في البلاغة، محمد بركات حمدي :٥٧ .

[١٧٩] . المزهر للسيوطي: ١/١٨٦ .

[١٨٠] . ينظر: فصول في البلاغة :٥٨ .

[١٨١] . ينظر: المصدر نفسه:٦٠ .

[١٨٢] .ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى: ٤٣ .

[١٨٣] . ينظر: فصول في البلاغة: ٦٢ .

[١٨٤] . ينظر: البلاغة العربية قراءة اخرى: ٤٢ ، ٤٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فعل القزويني تبعا لاسلافه، وكما هو عند اكثر الكتب المعنية بالبلاغة حديثا، او لا؟، دون أن ندرس المسوغات والظروف الزمانية والمكانية والاجتماعية التي جعلت الشاعر يستعمل هذه اللفظة دون غيرها؟ وهل نؤيد الدارسين المحدثين الذين أدركوا أن محاصرة الابداع بهذه المحاذير فيه حجرٌ على القدرة الابداعية؟، وأن الواقع اللغوي قد أعفى المبدعين من تجاوز هذا المحذور؛ لأن الذوق الصياغي للغة قد ابتعد عنه تلقائيا بالإضافة الى أن البلاغيين، تركوا مساحة لحرية الاختيار، عندما أتاحوا (للذوق) ان يتدخل بالقبول أو الرفض، وبما ان الذوق مسألة نسبية كان الاختيار نسبيا أيضا، وهنا يمكن للمبدع ان ينتقي ويختار، او يتجنب بدافع ذاتي له ركائز موضوعية[١٨٥]، ناهيك كون التنافر في المفردة وحدها، يختلف عن تنافر الكلمة مع الكلمة، ففي التركيب إذا لم يجد الاديب من سبيل الى تجنب تنافر اللفظين فلا عليه، لا سيما أن الالفاظ في النصّ تحتمل ان تتصل بها الضمائر وغيرها من اللواصق وما لا غنى عنه للمعنى[١٨٦]، في الوقت الذي يرى فيه أحد الباحثين ان للبلاغيين مواصفاتهم الصوتية بالنسبة للتركيب كما كانت لهم مواصفاتهم الصوتية بالنسبة للمفردة، وقد جاء إلحاحهم عن الابتعاد عن التنافر، بل كان إصرارهم على هذا الشرط في التراكيب أشد[١٨٧]، لكنه يعقب أن معالجة المسألة على صورتها التراثية لم تفقد صلاحيتها الحداثية، بل ربما كانت الظاهرة ألصق بالتعامل الحداثي، إذ أصبحت لازمة من لوازم الشعرية، واذا كانت بعض نماذج الخطاب الشعري التراثي قد استدعت تنبّه النقاد والبلاغيين الى هذه الظاهرة (الصوتية)، فإنّ الخطاب الحداثي يكتنز بها، بل إنه تجاوز ما كان عليه القدماء أحيانا، فهناك ربط بين هذه الظاهرة وبين الناتج الدلالي، أي أن الصوتية كانت موظفة لخدمة الدلالية[١٨٨]؛ فضلا عن أن الشاعر هنا قد وفق أيما توفيق في اختيار هذه الكلمة المصورة لاضطراب الشعر، كما هو الحال في اضطراب اللسان بهذه الحروف المتنافرة، وقد ذهب صاحب هذا الرأي الى أنّ النقاد والبلاغيين قد جاروا على امرئ القيس حينما عدّوا هذه الكلمة غير فصيحة[١٨٩]، وما

---

[١٨٥] . ينظر: البلاغة العربية قراءة اخرى: ٧٥ .

[١٨٦] . ينظر: مقالات في اللغة والادب: ١٥٤ .

[١٨٧] . ينظر: البلاغة العربية قراءة اخرى:٨٣ .

[١٨٨] . ينظر: البلاغة العربية، قراءة اخرى :٨٣ . ٨٤ .

[١٨٩] . ينظر: البلاغة العربية، بن عيسى باطاهر: هامش : ١٨ ، والبلاغة في ثوبها الجديد، بكري شيخ أمين(علم المعاني) ،٢٩، ٣٠.

www.manaraa.com

يذكر للقزويني أنه لم يعدها متناهية في الثقل وترك مساحة لوجود نسبية في عدّ هذه اللفظة ثقيلة على اللسان، ولم يحكم عليها بالثقل مطلقا.

ب . الغرابة: وهي على حدّ قول الخطيب القزويني أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفته الى أن ينقّب عنها في كتب اللغة المبسوطة، ولذلك سببان[١٩٠]:

١ــ احتياجها الى بحث وتفتيش في كتب اللغة، ثم يعثر على معناها بعدُ كمسحنفرة[١٩١]، وبعاق[١٩٢]، وجردحل[١٩٣]، وجحيش بمعنى فريد مستبد برأيه في قول تأبط شرا يصف ابن عم له بكثرة الترحال:

يظلُّ بِموماةٍ، ويمْسي بِغَيرِها جَحِيشًا، ويعْروري ظُهورَ المَسالِكِ[١٩٤]

وهمرجلة[١٩٥] وزيزم[١٩٦] في قول بن جحدر:

حلفت بما أرقلت حوله همرجلة خلقها شيظم

وما شَبْرقتْ منْ تنوفيّةٍ بِها منْ وحْي الجنِّ زيزَمْ[١٩٧]

٢ـ احتياجها إلى التخريج على وجه بعيد حتى يفهم منها المعنى المقصود[١٩٨]، وذكر القزويني مثالا[١٩٩] على ذلك، وهو قول العجاج:

ومقلةً وحاجبًا مزجّجا وفاحِمًا ومرسّنا مسرّجا[٢٠٠]

---

[١٩٠]. ينظر: علوم البلاغة، احمد مصطفى المراغي:١٧ .

[١٩١]. اسحنفر الرجل اذا مضى مسرعا، وبلد مسحنفر أي متسع. الصحاح: ٦٧٩/٢(سحفر).

[١٩٢]. المطر يفاجئ بوابل, لسان العرب: ٢٢/١٠ (بعق).

[١٩٣]. جردحل من الابل الضخم. الصحاح: ١٦٥٥/٤(جردحل) اللسان: ١٠٩/١١.

[١٩٤].المومأة المفازة ، ويقال للمستبد برأيه: جحيش وحده بالتصغير عند ارادة الذم، واعروري الفرس ركبه عريانا. والبيت في ديوان الحماسة بشرح التبريزي:٢٢/١. ٢٣.

[١٩٥] . الهمرجل : الجواد السريع، وناقة همرجلة: سريعة. العين : ١٣٠/٤(همرجل).

[١٩٦] . الماء يكون بين الملح والعذب. ٢٦٤/١٢، وفي التاج: الارض المرتفعة: ١٦٧/٨، أو محاكاة صوت الجن. اللسان. ٩٨/٥.

[١٩٧] . الشيظم: الشديد الطويل من الابل والخيل الصحاح: ١٩٦٠/٥(شظم)، وشبرقت : قطعت وتنوفية: المفازة، يريد انه حلف بما سارت حوله الناقة الشديدة السير العظيمة الخلق، وبما قطعت من مفازة لا يسمع بها غير صوت الجن.

[١٩٨] : ينظر: علوم البلاغة: ١٨ .

[١٩٩] . ينظر: الايضاح: ١/ ٢٤. و ذكره عبد القاهر في اسرار البلاغة: ٤٨ مع الاستعارات القبيحة في قوله: مرسنا .

www.manaraa.com

وجاءت غرابة الكلمة من خفاء معناها الذي يقصده الشاعر[٢٠١]؛ فالواضح المفلج، والطرف الابلج، والحاجب المزجج، كل ذلك واضح المعنى، قريب المنال، سهل المعرفة، أمّا المرسّن المسرج، والمرسن هو الانف، فما معنى ان يكون الانف مسرجا؟![٢٠٢].

وقد اختلف في تخريج هذا البيت ولم يعرف ما أراد بقوله:(مسرجا)[٢٠٣]، ولم يعِبِ العربُ التعقيد المعنوي في الكلمة إلاّ لذهاب التفكير في أكثر من معنى لدلالة الواحدة؛ وحجتهم في ذلك أن الجهد الذي يبذله السامع أو الناقد أو القارئ للنص يتبدد بين المعنى الواحد والمعاني الاخرى للنقطة ذاتها[٢٠٤]، فقال بعضهم إنّ (مسرجا) من السراج الذي يعطي الاضاءة والنور، فكأنه يصف انفها بالضوء واللمعان، وقال بعضهم: إنه منسوب الى السيف السريجي، فهو وصف للأنف بالدقة[٢٠٥]، ويرجع الدكتور تمام حسان هذا الشرط الى فقه اللغة، ويعد مطابقة الألفاظ للمعاني مطلب من مطالب هذا الفقه[٢٠٦]، وهذا المثال الذي استشهد به القزويني في هذا الموضع تناقله المؤلفون واحدا بعد آخر، مع أن هناك أمثلة كثيرة قد تكون أكثر خفاءً من هذا فهي أولى منه بالنقل[٢٠٧]، كالأمثلة التي ذكرها د. أحمد مصطفى المراغي في علوم البلاغة[٢٠٨]، التي أوردناها آنفا.

ج/ مخالفة القياس اللغوي: وهو أن تكون الكلمة على خلاف قانون مفردات الالفاظ الموضوعة، فالموافقة للقياس أن تكون الكلمة على وفق ما ثبت عن الواضع سواء وافقت القانون التصريفي أم خالفته ولكن ثبتت عن الواضع كذلك، والمخالفة أن تكون الكلمة على خلاف ما ثبت عن الواضع سواء خالفت القانون الصرفي أيضا أم لا، فنحو: آل، وماء، وأبى يأبى، وعور يعور فصيح؛ لأنه ثبت عن الواضع كذلك[٢٠٩]، كقول الراجز أبي النجم بن قدامة، من رجاز الاسلام:

---

(٢٠٠) . ينظر: ديوان العجاج: ٣٦٠. ٣٦١، وسر الفصاحة:٥٦, والمزهر:٢٥١/١.

(٢٠١) . ينظر:البلاغة والنقد: ٤١ .

(٢٠٢) . ينظر:البلاغة والنقد:٤١ .

(٢٠٣) . ينظر: الايضاح: ٢٥ .

(٢٠٤) . ينظر: فصول في البلاغة : ٦٠ .

(٢٠٥).ينظر: الايضاح :٢٥، والبلاغة والنقد: ٤٢، فصول في البلاغة:٦١،٦٠ ،اساليب بلاغية:٤٥ .

(٢٠٦) . ينظر: مقالات في اللغة والادب: ١٥١، ١٥٢.

(٢٠٧) . ينظر: البلاغة والنقد : ٤٢ .

(٢٠٨) . ينظر: علوم البلاغة: ١٧.

(٢٠٩) . ينظر: هامش الايضاح : ٢٦ .

www.manaraa.com

الحمدُ للهِ العليّ الأجللِ الواهبِ الفضلَ الكريمِ المجزلِ[٢١٠]

فإن القياس (الاجلّ) بالإدغام.

ولم يوضحِ القزويني مخالفة القياس[٢١١]، ووضع قاعدة للفظة الفصيحة فقال:(ثم علامة كون الكلمة فصيحة ان يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثيرا أو أكثر من استعمالهم ما بمعناها)[٢١٢]، وقد وصف الدكتور احمد مطلوب، الخطيب القزويني بانه في حده الذي حده بين الفصاحة والبلاغة، ممثلا صادقا لمفاهيم البلاغة التقليدية في نقد الكلام، ويتساءل: أيكون المقصود بالقياس المشروط لفصاحة المفرد الظاهرة الصرفية في الالفاظ فقط، دون الظاهرة النحوية في التركيب؟ وهل للتركيب قياس ايضا؟ وان على دارس البلاغة ملاحظة هذين المجريين معا، وعنده لا أثر لمخالفة القياس الصرفي والنحوي في اخفاء المعنى، كما في فك الادغام في كلمة (الأجلل) في قول الراجز: (الحمد لله العلي الأجلل), فليس لها أثر في رأيه في إخفاء المعنى، بل ربما كان لفك الادغام والرجوع الى وزن أفعل بعض الأثر في الإفصاح عن معنى التفضيل[٢١٣].

وختم القزويني كلامه على مخالفة القياس بقوله:(قيل هو خلوصه من التنافر والغرابة ومخالفة القياس ومن الكراهة في السمع بان تمج الكلمة ويتبرأ من سماعها كما يتبرأ من سماع الاصوات المتكورة؛ فإنّ اللفظ من قبيل الأصوات، والأصوات منها ما تستلذ النفس سماعه ومنها ما تكره سماعه)[٢١٤]؛ كلفظ الجرشي في قول أبي الطيّب المتنبي:

مباركُ الاسمِ أغرّ اللقبْ كريمُ الجرشى شريفُ النسبْ[٢١٥]

من قصيدة يمدح بها المتنبي سيف الدولة، والشاهد:(الجرشى) فإنها لفظ غير فصيح لكراهته في السمع، او لغرابته على من رأى من عداه من البلاغيين[٢١٦].

---

(٢١٠) . ينظر: خزانة الادب للبغدادي: ٣٤٤/٢، وفي الصحاح نسبه الى العجاج: ١٦٦٠/٤.

(٢١١) . ينظر: أساليب بلاغية :أحمد مطلوب:٤٦ .

(٢١٢) . ينظر: الايضاح:٢٧ ،وأساليب بلاغية: ٤٦ .

(٢١٣) . ينظر: أساليب بلاغية: ٤٦، الضرورة الشعرية، دراسة لغوية نقدية، د. محمد عبد الوهاب العدواني:٢٣.٢٢

(٢١٤) : الايضاح: مج ١ :٢٧ .

(٢١٥) . شر ح ديوان المتنبي:١ / ٢٢٧ .

(٢١٦) . ينظر: هامش الايضاح:٢٧ .

www.manaraa.com

والجرشى هي(النفس)[٢١٧]، وقد ظن د. محمد كريم الكواز بأن هذا الشرط لم يعجبِ القزويني لذلك قال: وفيه نظر[٢١٨]، اي في ان تكون كراهة الكلمة في السمع سببا لعدم فصاحتها، ووجهة النظر في:

١ـ أن تكون الكراهة في السمع إنما هي من جهة الغرابة المفسرة بالوحشية مثل: تكأكأتم، وافرنقِعوا، ونحو ذلك.

٢ـ وإن الكراهة في السمع وعدمهما يرجعان الى عدم طيب النغم، أو إلى طيبهما إلى نفس اللفظ[٢١٩]؛ لذلك أرجع البلاغيون المحدثون معايير الجودة في الفصاحة، وما يستلزمه البلاغي من وعي لسلاسة البلاغة، في عدم تنافر الحروف، أو الكلمات أو غرابتها، أو مخالفة القياس النحوي أو الصرفي أو ضعف التأليف، أو التعقيد اللفظي أو المعنوي، إلى ما توافره من خفّة وسهولة، متصلة بطبيعة العبارة والصورة الشعرية، وتركيب الحروف والاصوات وتتابعها في نسق خاص، لا بوصفها مجرد مقاييس ومعايير فحسب[٢٢٠]

وضع القزويني قاعدة للفظة الفصيحة[٢٢١]، فقال:(ثمّ علامة كون الكلمة فصيحة ان يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم عملها كثيرا او أكثر من استعمالهم ما بمعناها)[٢٢٢].

ولو نظرنا الى هذه الشروط التي وضعها القزويني في اللفظة المفردة بعين النقد الأسلوبي، قد يكون من الصعب اعتماده هذا التحديد؛ فمن المحتمل ان يستعمل الاديب كلمة فيها تنافر الحروف أو فيها غرابة او مخالفة للقياس او كراهة في السمع، كما في لفظة (مناخر)[٢٢٣]. التي أشرت اليها سابقا، في قول الرسول(صلى الله عليه واله وسلم): (وهل يكبّ الناس في النار على مناخرهم يوم القيامة إلا حصائد ألسنتهم)[٢٢٤]؟! فالموقف

---

[٢١٧] . ينظر: الصحاح ٩٩٨/٣

[٢١٨] . ينظر:البلاغة والنقد: ٤٢ .

[٢١٩] . ينظر: هامش الايضاح:٢٧ .

[٢٢٠] . ينظر: فصول في البلاغة: ٢٠١.

[٢٢١] . ينظر: أساليب بلاغية:٤٦، ومصطلحات بلاغية: ٣٥ .

[٢٢٢] . الايضاح:٢٧ .

[٢٢٣] . ينظر: مقالات في اللغة والادب: ١٥٠ .

[٢٢٤] . الكافي ١١٥/٢، وينظر في توجيه هذا الحديث: المجازات النبوية: ١٥٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

موقف استهجان للغو وتحذير من مغبة الانزلاق الى ممارسته، ومن هنا جاء (الاختيار) مبنيا على الاسباب الاتية[٢٢٥]:

١/ إن كلمة (الأنف) مألوفة، والانف يذهب بالطاقة التعبيرية للكلمة؛ أما(المناخر) فلا.

٢/ تشير كلمة (المناخر) الى داخل الانف، فتذكر بالإفرازات الكريهة؛ اما الانف فهو جزء من ظاهر الوجه وحسنه، يضيف الى جمال الوجه حسنا.

٣/ تقدم لفظ (يكب) يتطلب ضميمة كالمناخر تنافي معنى التكريم.

٤/ يوحي مخرج الخاء من لفظ (المناخر) أن هذا العضو أداة الشخير؛ وهو صوت كريه أيضا؛ ولعل هذه الملاحظة الاخيرة ترتبط بحكاية الصوت للمعنى.

ولكل هذه الأسباب، مضافة الى سياق الموقف، فكان اختيار لفظ (المناخر) أفصح من اختيار (الأنف) او (الأنوف)[٢٢٦].

المطلب الثاني (فصاحة الكلام)

شكّل بحث القزويني في (فصاحة الكلام)، المستوى الثاني من مستويات الفصاحة عنده، وقد اشترط شروطا إن وجدت فيه عدّ فصيحا، وهي:

١/ خلوص الكلام من ضعف التأليف، وضعف التأليف يكون بمخالفة القوانين النحوية المشهورة عند جمهور النحاة[٢٢٧]، ومثل له بـ(ضرب غلامه زيدا)؛ فإنّ رجوع الضمير الى المفعول المتأخر لفظا ممتنعٌ عند الجمهور؛ لئلا يلزم رجوعه الى ما هو متأخر لفظا ورتبة، ومن أمثلته في الشعر[٢٢٨]، التي لم يوردها القزويني:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمّار[٢٢٩]

فالضمير في (بنوه) في الشطر الاول من البيت عائد على (أبي الغيلان)، وهو متأخر في اللفظ، ومتأخر في الرتبة؛ لأنه مفعول به. وقيل يجوز[٢٣٠] لقول الشاعر:

---

[٢٢٥] . ينظر: مقالات في اللغة والادب:١٥٠ .

[٢٢٦] . ينظر: المصدر نفسه: ١٥٠.

[٢٢٧] . ينظر: البلاغة العربية، بن عيسى باطاهر: ٢٠ ، وتاريخ البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق:٣٠٤ .

[٢٢٨] . ينظر: المصدر نفسه: ٢٠.

[٢٢٩] . قائله: سليط بن سعد، وانظر: قصة المثل والشاهد فيه، الشنقيطي: "الدرر اللوامع": ٤٥/١، وشروح التلخيص: ١/ ٩٧، ٩٨.

[٢٣٠] : ينظر: الايضاح: ٢٩ و البلاغة والتطبيق ، أحمد مطلوب، وكامل حسن البصير: ٦٧ ٦٨ .

www.manaraa.com

جزى ربّه عنّي عديّ بن حاتم جزاءَ الكلاب العاوياتِ وقد فعلْ

وعقب القزويني أنه قد أجيب عنه بأن الضمير لمصدر (جزى)، أي (جزى) ربّ الجزاء، وفي هذا تكلف وحمل للأسلوب على ما لا يفيد هو، إن كان أخف من حمل البيت على ضعف التأليف[٢٣١]، كما في قوله تعالى:چ ۆ ۈ ۈ ۇچ[٢٣٢] ، أي العدل.

٢/ التنافر: منه ما تكون الكلمات بسببه متناهية في الثقل على لسان وعسر النطق بها متتابعة [٢٣٣]، وان تكون الكلمات ثقيلة على اللسان ولو كانت فصيحة[٢٣٤]، كما في البيت الذي انشده الجاحظ :

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفر وليسَ قربَ قبرِ حربٍ قبرُ [٢٣٥]

والتنافر في الشطر الثاني من البيت، فكلماته منفردة : فصيحة، خفيفة النطق، لا يجد فيها السامع عيبا، لكن بضم بعضها البعض هو الذي اكسبها الثقل [٢٣٦]، كما مثل القزويني له ببيت ابي تمام:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي وإذا ما لمته لمتهُ وحْدي[٢٣٧]

ووصفه القزويني أنه ما دون ذلك من التنافر، أي البيت الأول الذي استشهد به على التنافر في الكلام، واكتفى الخطيب القزويني بقوله:(فإنّ في قوله: أمدحه ثقلا لما بين الحاء والهاء من التنافر)، ويرى د. محمد الكواز الثقلَ في هذا البيت أخف من سابقيه؛ لأن مخرجهما واحد، وهو الحلق[٢٣٨]، وأرجع د.. احمد مطلوب التنافر في هذا البيت إلى سبب آخر؛ وهو تكرار الكلمة، في الشرط والجزاء[٢٣٩]، ويبدو أن المتأخرين من العلماء قد اختلفوا في قضية التنافر في بيت أبي تمام ومنهم السعد (ت٧٩١هـ) صاحب اثنين من

---

(٢٣١) . ينظر: هامش: ٢٩ .

(٢٣٢) . المائدة: ٨.

(٢٣٣) . ينظر: الايضاح: ٣٠ .

(٢٣٤) . ينظر: الايضاح : هامش ص ٣٠ .

(٢٣٥) . حرب: اسم رجل. القفر: الخالي من الماء والكلأ.... يقول القزويني الرحالة في (عجائب المخلوقات): ان هاتفا من الجن صاح بحرب بن امية فمات فرثاه ذلك الجن بهذا البيت، ينظر: البيان والتبيين: ٦٩/١، شروح التلخيص: ٩٩/١، معاهد التنصيص: ٣٥/١، وسر الفصاحة: ٩٨.

(٢٣٦) . ينظر: البلاغة والنقد:٤٣ .

(٢٣٧) . ينظر: ديوان أبي تمام: ٢٩٠/١، ومعاهد التنصيص: ٣٥/١، ٣٦.

(٢٣٨) ينظر:البلاغة والنقد: ٤٣ .

(٢٣٩) : ينظر: أساليب بلاغية: ٤٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشروح التي جاءت على تلخيص القزويني للمفتاح، وهما(شرح تلخيص المفتاح المختصر) و(شرح تلخيص المفتاح المطول)، الذي يقول إن .... بين المثالين فرقا وهو أن منشأ الثقل في الاول نفس الكلمات[٢٤٠]، وفي الثاني[٢٤١]حروف منها)[٢٤٢]، وكان رأي د. أحمد هنداوي البلاغيين المحدثين في هذه القضية[٢٤٣]، ترجيح رأي السبكي . صاحب(عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح)، في هذا إذ يرى أن (أمدحه) دون تكرير فصيح، ولا أثر فيه للثقل المؤدي الى التنافر[٢٤٤]، لأنّ اجتماع حرفين من حروف الحلق في أمدحه أولهما ساكن ـ لا ثقل فيه. وقد عدّ السعد كلمة (أعهد) فصيحة[٢٤٥] مع أن فيها ثلاثة حروف حلقية، دون أن يذكر أن في هذه الكلمة ثقلا، وهذا تأييد لرأي السبكي، وتقوية له[٢٤٦].

٣/ التعقيد: وهو أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به، وله سببان: ما يرجع إلى اللفظ: وهو أن يختل نظم الكلام ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه[٢٤٧]، وذلك أن لا يكون ترتيب الالفاظ على وفق ترتيب المعاني، بسبب تقديم أو تأخير أو حذف أو اضمار أو غير ذلك، مما يوجب صعوبة فهم المراد، وإن كان ذلك في الكلام جاريا على قواعد النحو[٢٤٨]، كقول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلاّ مملكا أبو أمّه حيّ أبوه يقاربُه[٢٤٩]

فقد فصل بين المبتدأ وهو(مثل)، وخبره، وهو (حي)، وفصل بين الموصوف، وهو (حيّ)، وبين الصفة، وهي (يقاربه)، وهذا لا يجوز[٢٥٠]، ثم فصل بين المبتدأ الثاني، وهو (أبو أمه)، وبين خبره، وهو (أبوه) بكلمة (حيّ)، لان التقدير: أبو أمه أبوه، أي أبو أم

---

(٢٤٠) . في قول الشاعر : وقبر حرب.. البيت.

(٢٤١) . في بيت أبي تمام: كريم متى امدحه.. البيت.

(٢٤٢) . المطول، لسعد الدين التفتازاني: ٢١.

(٢٤٣) . ينظر: استدراكات السعد على الخطيب في المطول ، دراسة بلاغية تحليلية، احمد هنداوي هلال:٤٥.

(٢٤٤) . ينظر: عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح: ١/ ١٠١ .

(٢٤٥) . ينظر: المطول: ١٧ .

(٢٤٦) : ينظر: عروس الافراح: ١/ ١٠١ .

(٢٤٧) . ينظر: الايضاح:مج١ /٣٢ .

(٢٤٨) . ينظر: الايضاح : هامش:٣٢ .

(٢٤٩) . يريد المملك هشام بن عبد الملك، والممدوح هو إبراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك، وكان يجزيه أن يقول: خاله، ينظر: العمدة: ٢٦٧/٢.

(٢٥٠) . ينظر: البلاغة والنقد:٤٣ .

www.manaraa.com

الخليفة أبو الممدوح، ثمّ قدم المستثنى، وهو (مملكا) على المستثنى منه، وهو (حيّ يقاربه)[٢٥١].

ويرى الدكتور تمام حسان أنّ (التعقيد اللفظي) لا يختلف عن (ضعف التأليف) ويعطي مثالا لما يعدّ من (الأوّل)، إذ تتوالى الضمائر وتتشابه إفرادا وتثنية وجمعا وتذكيرا وتأنيثا، وتتعدد المراجع بحيث لا يتم إرجاعها إلا بعد إطالة التأمل[٢٥٢]، مثل قولنا: وتخاصم زيد وعمرو، فقال زيد كذا فقال عمرو كذا، ثمّ كذا، فقال كذا فنهض قائما وذهب غاضبا، وقد تطول العبارة فلا يدري من الذي قال، ولا من الذي نهض وذهب، وهذا ضعف تأليف وتعقيد لفظي في الوقت ذاته؛ إذ لا يمكن أن يكون التعقيد اللفظي إلا نتيجة من نتائج ضعف التأليف [٢٥٣].

وضع القزويني قاعدة للكلام الخالي من التعقيد اللفظي[٢٥٤]، وقال انه: (ما سلم نظمه من الخلل فلم يكن فيه ما يخالف الاصل من تقديم او تأخير او اضمار او غير ذلك الا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية او معنوية)[٢٥٥]، اما النوع الثاني من انواع التعقيد فهو:(التعقيد المعنوي)، وهو:(أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الاول الى المعنى الثاني ـ الذي هو لازمه والمراد به ـ ظاهرا)[٢٥٦]. كقول العباس بن الاحنف:

سأطلبُ بعدَ الدارِ عنكُم لتقربوا وتسكبُ عيناياَ الدموعَ لتجمَدا[٢٥٧]

وتعليق الخطيب عليه مأخوذ من عبد القاهر في دلائله، ومعناه: اني اليوم أطيب نفسا بالفراق والبعد، واوطنها على مقاساة الاحزان والاشواق، واتجرع غصصها واتحمل لأجلها حزنا تفيض به الدموع من عيني، لأتسبب بذلك لوصل يدوم؛ فإنّ الصبر مفتاح الفرج، ولكل بداية نهاية ومع كل عسر يسر[٢٥٨]؛ فالكلام هنا غير واضح في الدلالة على المعنى، بسبب الخلل في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم إلى الثاني الذي يقصده

---

[٢٥١] . ينظر: الايضاح:٣٢ ، والبلاغة والنقد: ٤٣ .

[٢٥٢] . ينظر: مقالات في اللغة والادب: ١٥٤ .

[٢٥٣] . ينظر: المصدر نفسه: ١٥٤.

[٢٥٤] . ينظر: مصطلحات بلاغية :٣٦ ،والبلاغة والتطبيق: ٦٨ ،و اساليب بلاغية: ٤٧

[٢٥٥] . الايضاح: ٣٣ .

[٢٥٦] . المصدر نفسه :٣٣ .

[٢٥٧] . ينظر: ديوان العباس بن الأحنف: ١٠٦، وانظر: دلائل الإعجاز: ٢٦٨– ٢٧١.

[٢٥٨] . ينظر: الايضاح: هامش:٣٤ ودلائل الاعجاز: ٢٠٨ .

www.manaraa.com

المتكلم، بحيث يكون إدراك الثاني بعيدا وبحاجة الى تكلف وجهد كبير، بسبب الخفاء الشديد في هذا المعنى[٢٥٩].

ثمّ ذكر القزويني قول الحماسي:

أبكاني الدهرُ ويا ربّما أضحكني الدهرُ بما يرضِي[٢٦٠]

فأراد أن يكني عمّا يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود، لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء في حال ارادة البكاء منها، فلا يكون كناية عن المسرة، وانما يكون كناية عن البخل[٢٦١]، كما قال الشاعر:

الا أنّ عينا لم تجدْ يومَ واسط عليكَ بجاري دمعها لجمودُ[٢٦٢]

وعلق الخطيب القزويني قائلا(ولو كان الجمود يصلح أن يراد به عدم البكاء في حال المسرة لجاز أن يدعى به للرجل، فيقال: لا زالت عينك جامدة، كما يقال: لا أبكى الله عينك، وذلك مما لا يشك في بطلانه)[٢٦٣].

ويورد الخطيب القزويني استدلالا بكلام اهل اللغة وهو قولهم: سنة (جماد) لا مطر فيها، وناقة جماد: لا لبن لها، فكما لا تجعل السنة والناقة جمادا الا على معنى ان السنة بخيلة بالقطر، والناقة لا تسخو بالدر، لا تجعل العين جمودا الا وهناك ما يقتضي إرادة البكاء منها، وما يجعلها إذا بكت محسنة موصوفة أنها جادت، واذا لم تبكِ مسيئة موصوفة بأنها قد ضنت[٢٦٤].

وبما ان الكلام الخالي من التعقيد المعنوي ما كان الانتقال من معناه الاول الى معناه الثاني ــ الذي هو المراد به ـ ظاهرا، حتى يخيل الى السامع انه فهمه من حاق اللفظ[٢٦٥]، فقد يؤدي بنا هذا البيت الى مؤشر نفسي؛ إذ إنّ هذا القائل لهذا البيت، فقير يبعد عن أهله ويسافر ليحصل ما يوجب لهم القرب، وتسكب عيناه الدموع في بعده عنهم لتجمدا عند وصوله اليهم[٢٦٦]، وقد يكون احيانا مطلوبا لذاته، كالذي يكون عند ارادة

---

[٢٥٩] . ينظر: البلاغة العربية: ٢٢ .

[٢٦٠] . البيت لحطان الخارجي، ينظر: شرح الحماسة: ٥٤/٢.

[٢٦١] :ينظر: الايضاح:٣٥ .

[٢٦٢] . ينظر: خزانة الأدب ٩/ ٥٤٠ . ٥٤١، وللمزيد ينظر: ٢٣٦/١٣ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

[٢٦٣] : الايضاح:٣٥ .

[٢٦٤].ينظر: الايضاح:٣٥ ـ ٣٦ .

[٢٦٥]. ينظر: المصدر نفسه:٣٦.

[٢٦٦]. ينظر: فصول في البلاغة: ٧١ ، ومعاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص::١/ ٥٢ .

www.manaraa.com

التعمية والالغاز[٢٦٧]، لكن البيت فيه مخالفة لموارد استعمال البلغاء؛ لانّ تعارف البلغاء على خلافه، فهو مخطئ في نظر البلغاء، وان صحّ أن يكون لكلامه وجه من التأويل، الا ان فيه بعدا وتعقيدا[٢٦٨]، ففي قوله(وتسكب عيناي الدموع لتجمدا) عيب؛ لأن الشاعر يريد ان يقول: سأظل ابكي، تذرف عيناي الدموع، وتسكب العبرات، حتى نلتقي، فتتوقفان عن البكاء، فعبر عن فرحة اللقاء، والتوقف عن البكاء بجمود العينين وهنا موطن الخطأ والعيب[٢٦٩]؛ لأن الجمود ليس عدم البكاء عند لقاء الحبيب، انما الجمود داء يصيب العينين فلا تستطيعان البكاء مع شدة الحاجة اليه، وهنا يكون الجمود ليس كناية عن السرور بل كناية عن البخل[٢٧٠].

ويتابع القزويني كلامه على فصاحة الكلام فيقول:(قيل فصاحة الكلام هي خلوصه مما ذكر، ومن كثرة التكرار وتتابع الاضافات)[٢٧١]، كما في قول المتنبي:

وتسعدُني في غمرةٍ بعدَ غمرة سبوحٌ لها منْها عليْها شواهدُ[٢٧٢]

كما في قول ابن بابك:

حمامة جرعا حومةِ الجندل اسجعي فأنتِ بمَرأى منْ سعادٍ ومسمعِ[٢٧٣]

ففي البيت كثرة الاضافات المتتابعة، ففيه اضافة حمامة الى (جرعا) و(جرعا) الى (حومة)، و(حومة) الى (الجندل).

يقول القزويني: وفيه نظر، إذ يرى أن هذا الشرط لا يؤخذ به دائما[٢٧٤]؛ لأن كثرة التكرار وتتابع الاضافات؛ إن أفضى باللفظ الى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه[٢٧٥]، وإلا فلا تخل بالفصاحة، وقد قال النبي(صلى الله عليه واله وسلم) ـ (الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم)[٢٧٦]، ونظر القزويني في عدم

---

(٢٦٧) . ينظر: مقالات في اللغة والادب: ١٥٤ .

(٢٦٨) . ينظر: تعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي في الايضاح: هامش:٣٥ .

(٢٦٩) .ينظر: البلاغة والنقد:٤٤ .

(٢٧٠) . ينظر: البلاغة والتطبيق: ٦٩ .

(٢٧١) . الايضاح: ٣٦ .

(٢٧٢) . ديوان المتنبي: ١٣٢/١.

(٢٧٣) . ينظر: معاهد التنصيص ٦٧/١.

(٢٧٤) . ينظر: البلاغة والتطبيق: ٦٩ .

(٢٧٥) . الايضاح: ٣٧ .

(٢٧٦) .ينظر: البلاغة والتطبيق:٦٩، وفي تخريج الحديث ينظر: صحيح الترمذي: ٣١١٦، البحار: ٢١٨/١٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجود (إخلال في الفصاحة) في باب كثرة التكرار وتتابع الاضافات، ملمح أسلوبي سأشير اليه في فصل:(الملامح الاسلوبية في بلاغة القزويني)؛ خصوصا وإن الشيخ عبد القاهر قال:[٢٧٧] قال الصاحب[٢٧٨]: إياك والاضافات، فإنها لا تحسن، وذكر أنها تستعمل في الهجاء، كقول القائل:

ياعليّ بن حمزة بن عماره أنت واللهِ ثلجةٌ في خياره[٢٧٩]

ثم قال الشيخ عبد القاهر: ولا شك في ثقل ذلك في الاكثر، لكنه إن سلم من الاستكراه ملح ولطف، ومما حسن فيه قول ابن المعتز أيضا :

وظلت تدير الراح أيدي جآذر عناقٌ دنانيرُ الوجوه، ملاحُ[٢٨٠]

ومما جاء فيه حسنا جميلا قول الخالدي يصف غلاما له:

ويعرفُ الشعرَ مثلَ معرفَتي وهو على أن يزيدَ مجتهدُ[٢٨١]

وصيرفيٌّ القريض وزان دينار المعاني الدقاق، منتقد[٢٨٢]

وقد نظر البلاغيون المحدثون إلى ما قدمه القزويني من معايير الجودة في الفصاحة، وما يستلزمه البلاغي من وعي لسلاسة البلاغة، في عدم تنافر الحروف، او الكلمات أو غرابتها، أو مخالفة القياس النحوي أو الصرفي او ضعف التأليف، أو التعقيد اللفظي او المعنوي، متصلة بطبيعة العبارة والصورة الشعرية، وتركيب الحروف والاصوات وتتابعها في نسق خاص، لا بوصفها مجرد مقاييس ومعايير أوجدها البلاغيون فحسب[٢٨٣].

المطلب الثالث: (فصاحة المتكلم)

ويمثل البحث في(فصاحة المتكلم)، المستوى الثالث من المستويات التي تناولها القزويني في بحثه للفصاحة، ولم يسترسلِ القزويني في الكلام على مفهومها، واقتصر على

---

[٢٧٧] . دلائل الاعجاز:٨٢ ، الايضاح: ٣٨ .

[٢٧٨] .هو الصاحب بن عباد(ت٣٨٥ هـ) والبيت يتهكم فيه بعلي بن حمزة البصري اللغوي (ت ٣٩٠).

[٢٧٩] . ينظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: ٧٧/١.

[٢٨٠] . ينظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص:٢٢/١.

[٢٨١] . ينظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص:٢٢/١.

[٢٨٢] . ينظر: المصدر نفسه:٢٣/١.

[٢٨٣] . ينظر: فصول في البلاغة: ٢٠١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعريفها[٢٨٤]، على أنها ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح[٢٨٥]، وهي القدرة على التعبير عما يجول في النفس من أفكار وخواطر، تعبيرا صحيحا مؤديا غرضه من الفهم والافهام[٢٨٦]، وهذه الملكة تكون في البداية استعدادا عند الانسان، ثمّ تربّى من خلال الأساليب البلاغية الصحيحة، والأثر الأدبي السليم[٢٨٧]؛ لكنّ في تفريق القزويني بين (فصاحة الكلام)، و(فصاحة المتكلم)، وتفريقه بين (بلاغة الكلام)، و(بلاغة المتكلم)، ملمحا أسلوبيا آخر سأعرض له في الفصل الثالث من البحث.

المبحث الثاني

مصطلحات البلاغة عند القزويني في ضوء الدراسات البلاغية الحديثة

البلاغة . لغةً . الانتهاء والوصول، وفي لسان العرب بلغ: بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى. تبلغ بالشيء: وصل الى مراده. البلاغ: ما يتبلغ به ويتوصل الى الشيء المطلوب، البلاغ: ما بلغك والكفاية، الابلاغ: الايصال، بلغت المكان بلوغا وصلت اليه، وكذلك اذا شارفت عليه[٢٨٨].

---

[٢٨٤] .ينظر: البلاغة والنقد: ٤٤ .

[٢٨٥] . ينظر: الايضاح: ٤٠ .

[٢٨٦] . ينظر: البلاغة العربية بن عيسى باطاهر: ٢٣ .

[٢٨٧] . ينظر: فصول في البلاغة٧٤ .

[٢٨٨] .ينظر: لسان العرب:ج٨ :٤٩٩ ،مادة "بلغ"

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أشار ابن منظور إلى المعنى الاصطلاحي فقال: البلاغة: الفصاحة والبَلَغ والبِلغ: البليغ من الرجال، ورجل بليغ وبَلْغ : حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، والجمع بلغاء، وقد بَلُغ بلاغة: صار بليغا[٢٨٩].

وليس في هذا القول غير المعنى العام للكلمة، فهي أولا الانتهاء والوصول الى الغاية، وهي الفصاحة ثانيا، اي أن الكلمتين مترادفتان، وهذا رأي معظم اللغويين والبلاغيين الأوائل[٢٩٠].

ولا بدّ لي أن أفرش على طاولة البحث أهم التعريفات والآراء التي وصلتنا من تراثنا الاصيل في تعريف البلاغة قبل أن أستقري تعريف القزويني لها, ثمّ استعرض آراء الدارسين المحدثين في هذا الامر؛ لأنّ أولئك البلاغيين القدامى أنفسهم قد نبهونا الى أن البلاغة لم تنضج، ولم تحترق، خلافا لأكثر فروع العربية، التي تمّ على أيديهم نضجها واحتراقها، وكأنهم قد حملونا أمانة النظر فيما قالوه فيها، وإنضاجها بالبحث والدراسة وتلافي ما ينقصها مما لم يهتدوا إليه أو يقولون فيه[٢٩١]، ورغم أن البلاغة لغةً لا تخرج عن معنى الانتهاء والوصول[٢٩٢]، بينما المعنى الاصطلاحي في تطور دلالي مستمر، فضلا عن دلالته في السياق الذي ورد فيه، وترتيب النصوص التي تضمنته، بحسب تسلسلها الزمني، إضافة الى وجهة النظر الأدبية أو الفنية فيه[٢٩٣]؛ فدائرة البحث البلاغي مستمرة في عصرنا الحديث عند دارسي البلاغة ؛ لدرجة يقل فيها ايجاد من يتفهم البلاغة العربية القديمة، ويعطيها حظها الذي تستحق من العلمية كونها علما، أو من الذوق كونها فنا؛ لما رأيت من خلال رحلة بحثي هذه من تعدد الآراء واضطراب وجهات النظر واختلافها، ومحاولة التيسير والتسهيل على حساب هذا الإرث العظيم الذي تستل منه الدراسات الغربية معظم مناهجها الجديدة التي تصاغ بطريقة توهمنا أنها مناهج بديلة وحديثة، وهي في الحقيقة لا تعدو أن تكون بضاعة تسرق منا في الخفاء وتباع علينا تحت مسميات لم نعهدها، أو نحاول أن نقنع انفسنا أنها كذلك!.

---

(٢٨٩) .ينظر: لسان العرب:ج٨: ٥٠٠ ، وينظر: مصطلحات بلاغية:٤١ .

(٢٩٠) . ينظر: مصطلحات بلاغية:٤١ .

(٢٩١) . ينظر: البلاغة والفصاحة، لغة واصطلاحا: ٨.

(٢٩٢) . ينظر: مصطلحات بلاغية:٤١ .

(٢٩٣) . المصدر نفسه: ٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والشاهد على ذلك، وجود حالة النقض والاعتراض، كالنقود التي وجهها الأستاذ الدكتور عبده عبد العزيز قلقيلة[٢٩٤]، للأستاذ الدكتور بدوي طبانة الذي الف كتاب (معجم البلاغة العربية)، وقد اتهمه بأنه صاحب علم لا صاحب فنّ من وجهة النظر العامة، وأستاذ في البلاغة لا في الأدب من وجهة النظر الاكاديمية، وانه . على حد قوله . لم ينتفع بكلام الاقدمين، واتهمه بالحشو، وتسمية مصطلحات كثيرة تحت مسمى واحد، واقترح عليه أن يدرس ترادف المصطلحات في تراثنا البلاغي بعامة وفي معجمه البلاغي بخاصة[٢٩٥].

وشاهد اخر الاختلاف الكبير في وجهة النظر بين الدكتور محمد جابر الفياض، في كتابه(البلاغة والفصاحة لغة واصطلاحا)، والدكتور أحمد مطلوب في كتابه(مصطلحات بلاغية)، إذ لم يشر (الأول) صراحة إلى نقض(الثاني)، بل استنتجت الاختلاف فيما بينهما في قضية المعنى اللغوي والاصطلاحي للبلاغة التي هي مدار بحثي في هذا الفصل، اذ قرر الدكتور احمد مطلوب في هذا الكتاب الذي طبع للمرة الاولى في سنة١٩٧٢م، أن المعنى اللغوي للبلاغة لا يعدو ان يكون الانتهاء والوصول، وقد اكتفى بترجمة ابن منظور لهذه الكلمة لغويا[٢٩٦]، ولم يستطلع المعجمات الاخرى، ولم يحاول إيجاد العلاقة الخصوصية بين المعنى لغة وبين معناه اصطلاحا، كما فعل د. محمد جابر الفياض، والذي ظهر كتابه في طبعته الاولى عام ١٩٨٩، فقد استطلع المعجمات الاخرى؛ لكي يتوصل الى نتيجة رائعة في حق البلاغة العربية، وهي ان البلاغة من الفعل (بلُغ) ـ ككرُم ـ حصرا، وليست من الفعل بلَغ ـ كقعَد ـ خلافا للبلوغ بمعنى الوصول[٢٩٧]، الذي لم ينته الى سواه الدكتور احمد مطلوب؛ إذ تفطن الدكتور محمد جابر الفياض الى أنه لم يرد في كل هذه المعجمات والتي أوردها[٢٩٨] في محاولة الاستدلال هذه بلغ ـ بالفتح ـ بلاغة[٢٩٩]، فضلا عن كونها لم تؤخذ من الفعل (بلَغ) ـ

---

[٢٩٤] . أستاذ النقد الادبي والبلاغة في جامعة طنطا.

[٢٩٥] . ينظر: معجم البلاغة العربية ، نقد ونقض ، عبده عبد العزيز قلقيلة: ١٢.

[٢٩٦] . ينظر: مصطلحات بلاغية:٤١ .

[٢٩٧] . ينظر: البلاغة والفصاحة لغة واصطلاحا: ١٨ .

[٢٩٨] . ينظر: المقاييس في اللغة: ابن فارس :مادة بلغ، والمفردات : الراغب الاصفهاني: مادة بلغ، والعين: مادة بلغ ، والتهذيب، والصحاح، واللسان ، والاساس، والقاموس المحيط، والمصباح.

[٢٩٩] . ينظر: البلاغة والفصاحة، محمد جابر الفياض: ١٨ .

www.manaraa.com

بالفتح ـ لا يعني انها من غير البلوغ، فهي منه وإليه، ولكنها ـ ليست من دلالته على مجرد الوصول، وإنما ما يتطلبه الوصول ويقتضيه من تميّز وتفوق الواصل على المنقطع، ولولا هذا التميز والتفوق ما كان للواصل أن يصل، والأسباب قبل مسبباتها او نتائجها[٣٠٠]؛ فالبلوغ والوصول في رأي الفياض، كل منهما دليل التميز والاكتمال والتفوق؛ إذ يرى البلوغ بمعنى النضج، وإلا ما كان البالغ ليكلف ويكتب عليه لولا نضجه واكتماله[٣٠١].

فبلاغة الكلام في رأيه، جودته وتميزه، وبلاغة المتكلم قدرته على الإجادة وتميزه على غيره بصنع الكلام الجيد المتميز؛ ولهذا فسرت البلاغة بالحسن والفصاحة وطلاقة اللسان، والبليغ بحسن الكلام فصيحه، الذي يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه أو ضميره[٣٠٢]، ويمكنني أن أضيف على كلامه هذا، إن البليغ بحسن الكلام فصيحه، الذي يبلغ بعبارة لسانه **كنه ما في قلبه او ضميره، ويبلغ به كنه وضمير السامع والمتلقي حتى يبلغ من ضمير ذلك المتلقي مبلغا، يجعله يستحق ان يطلق عليه بليغا؛ لما اوجده في النفس من انتهاء المعنى الى الطرف الاخر، بصوره مؤثرة ومكتملة**؛ فالبليغ كما يذكر صاحب (المبهج): مَنْ إذا تكلم أضحك القطوب، واذا خطب دفع الخطوب[٣٠٣]؛ **فليس القطوب هو نفس (المتكلم)؛ حتى يقتصر معنى البلاغة على بلوغه كنه ما يعتمل في قلبه؛ بل يمثل طرفا آخر يشارك المتكلم في العملية البلاغية؛ لذلك اقترح وبالاستعانة بتحليل الدكتور الفياض للأصل اللغوي للبلاغة، والذي يعني (الاكتمال والنضوج)، بان يشارك المتلقي المتكلم في العملية البلاغية ويدخل ضمن تعريف البليغ،** فجاءت البلاغة نعتا حميدا خاصا بكلام دون سواه، واناس دون آخرين[٣٠٤]، ولا بد لي ان اشير الى رأي الدكتور تمام حسان، الذي رجع الى تعريف القزويني للبلاغة وقد أوحى له ذلك التعريف ان المعنى اللغوي للفظ (البلاغة) فرع على معنى (الابلاغ) أو التوصل الذي هو موضوع من موضوعات علم الاتصال[٣٠٥]، واستنادا الى ما اوحى به تعريف القزويني

---

(٣٠٠) . ينظر: المصدر نفسه: ١٨.

(٣٠١) . ينظر: البلاغة والفصاحة: ١٨.

(٣٠٢) . ينظر: المصدر نفسه: ١٨ .

(٣٠٣) . ينظر: المبهج : الثعالبي (ت٤٢٩ هـ) : ٤٤ .

(٣٠٤) . ينظر: البلاغة والفصاحة لغة واصطلاحا:١٩.

(٣٠٥) . ينظر: مقالات في اللغة والادب:١٥٦ .

www.manaraa.com

رجع الى الأنموذج الذي وضعه (جاكبسون) لأركان عملية الاتصال، فلربما ـ على حدّ قوله ـ كان ذلك عونا لنا على فهم المقصود بالبلاغة، والنموذج على النحو الاتي:

السياق

ا

المرسل ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـالرسالة ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ المرسل إليه

ا

القناة

ا

الشفرة

ففسّر السياق جدلا أنه (المقام) والرسالة بالنص أو العبارة، وقناة الاتصال مثلها بالمشافهة، والشفرة بـ(المعنى المقصود)، وقام في ضوء تعريف القزويني لمصطلح البلاغة وفي ضوء مخطط (جاكبسون) بتحديد البلاغة على أنها:(عمل المتكلم على ايصال الشفرة الى السامع بوساطة رسالة منطوقة خلال قناة اتصال مسموعة في مقام معين وأضاف جهد السامع في حل الشفرة)[٣٠٦]، وهذا تعريف البلاغة لغة وما انتجه من تعريف لها اصطلاحا، والملاحظ على هذه التعريفات اختلافها وعدم اجتماع الرأي في الاصطلاح عليها، لكننا يمكن أن نستشف منها أركان عدة لوجود صفة البلاغة في الكلام.

عرف البلاغة أبرز من انتجوا البلاغة، على رأسهم سيّد البلغاء، الامام علي ابن أبي طالب (عليه السلام):(البلاغة إيضاح الملابسات، وكشف عوار الجهالات، بأسهل ما يكون من العبارات)[٣٠٧].

---

[٣٠٦] . مقالات في اللغة والأدب: ١٥٦ .

[٣٠٧] .كتاب الصناعتين: ٥١ ، ٥٢ .

www.manaraa.com

وقد روى الجاحظ(٢٥٥هـ) عن إبراهيم بن محمد (ت١٣٢هـ) قوله: (يكفي من حظ البلاغة ان لا يؤتى السامع من سوء افهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع)[٣٠٨].

أما الشيخ عبد القاهر الجرجاني؛ فقد أوضح ما كان آثره الجاحظ من الاقوال في البلاغة من غير ما اشارة للجاحظ[٣٠٩] فقال:(... فان قلت: فيجب ـ على هذا ـ ان يكون التعقيد والتعمية وتعمد ما يكسب المعنى غموضا مشرفا له، وزائدا في فضله، وهذا خلاف ما عليه الناس، ألا تراهم قالوا: خير الكلام ما كان معناه الى قلبك أسبق من لفظه الى سمعك؟ فالجواب اني لم ارد هذا الحد الزائد من الفكر والتعب، وانما اردت القدر الذي يحتاج اليه في نحو قوله(فانّ المسكَ بعضُ دم الغزال).

ويرى السكاكي(٦٢٦هـ): ان البلاغة، بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وايراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها. ولها ـ أعني البلاغة ـ طرفان أعلى وأسفل متباينان تباينا لا يتراءى له ناراهما، وبينهما مراتب تكاد تفوت الحصر متفاوتة، فمن الاسفل تبتدئ البلاغة وهو القدر الذي إذا انقص منه شيء التحق ذلك الكلام بما شبهناه في صدر الكتاب من أصوات الحيوانات، ثمّ تأخذ في التزايد متصاعدة الى أن تبلغ حدّ الاعجاز، وهو الطرف الاعلى، وما يقترب منه)[٣١٠]، وكلها تعريفات يشترك فيها الطرفان(المتكلم والسامع)، في بلوغ المعنى واكتماله من الأول إلى الثاني.

ذهب القزويني إلى غير ما انتهى إليه السكاكي[٣١١]؛ إذ يعدّ الخطيب آخر من وقف عند البلاغة من المتأخرين وميّز بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم[٣١٢]، فقال عن الأولى:(وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته)[٣١٣]، والحال هو الداعي للمتكلم الى ايراد الكلام على وجه مخصوص، أي إلى أن يعدّ مع الكلام الذي يؤدى به أصل المعنى خصوصية ما ، وهي مقتضى الحال، ومعنى مطابقته له أن الحال

---

[٣٠٨] . البيان والتبيين: ١/ ٨٧ .

[٣٠٩] . ينظر: البلاغة والفصاحة:٥٠ .

[٣١٠] . مفتاح العلوم: ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

[٣١١] . ينظر: البلاغة والفصاحة: ٥٦ .

[٣١٢] . ينظر: مصطلحات بلاغية: ٤٨ .

[٣١٣] . الايضاح:٤١ .

www.manaraa.com

إن اقتضى التأكيد كان الكلام مؤكدا وإن اقتضى الاطلاق كان الكلام عاريا من التأكيد[٣١٤]، وقد شاع بين الناس تعريف البلاغة المنسوب إلى الخطيب[٣١٥].

فمقام كلّ من التنكير والاطلاق والتقديم والذكر عنده، يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ومقام الإيجاز يباين خلافه، وكذا خطاب الذكي مع الغبي[٣١٦]، ويرى القزويني أن تطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه عبد القاهر بالنظم[٣١٧].

فسّر الخطيب رأي الشيخ عبد القاهر في أنّ النظم كلّ شيء، ولا مزية للفظ من غير تركيب[٣١٨]، أن البلاغة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى بالتركيب؛ فالبلاغة . عند الجرجاني . طرفان: أعلى وهو حدّ الاعجاز وما يقرب منه، وأسفل وهو ما إذا غير الكلام عنه إلى ما دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات[٣١٩]، وبينهما مراتب كثيرة، وتتبعها وجوه أخر تورث الكلام حسنا[٣٢٠].

وفي سياق الحديث عن مراتب البلاغة ، يرد سؤال وهو: هل في طاقة البلغاء ـ بالطبع أو الاكتساب ـ الوصول الى حدّ الإعجاز، ولو بأن يأتوا بمثال أقصر سورة من القرآن؟[٣٢١].

يجيبنا محقق كتاب الايضاح، د. محمد عبد المنعم خفاجي: أن علوم البلاغة لا تؤدي الى الوصول لحد البلاغة؛ لأنها لا تعرفنا المقامات بل الخصوصيات وحدها، ولو فرضنا جدلا انها تعرفنا مع الخصوصيات المقامات ايضا، فلا تسلم الاحاطة بها لو فرضنا الاحاطة بها فإنها لا تعطيك قدرة على إنشاء كلام بليغ، بدليل أنّ كثيرا من علماء البلاغة لم يستطيعوا الإتيان بكلام بليغ[٣٢٢].

---

[٣١٤] . ينظر: تعليق د. عبد المنعم خفاجي في هامش : ٤١ .

[٣١٥] . ينظر: البلاغة العربية، مقدمات وتطبيق: ٢٧ .

[٣١٦] . ينظر: تاريخ البلاغة العربية: عبد العزيز عتيق: ٣٠٤ .

[٣١٧] .ينظر: الايضاح:٩ ، التلخيص:٣٣ ، مصطلحات بلاغية: ٤٩ .

[٣١٨] . ينظر: دلائل الاعجاز: ،والقزويني وشروح التلخيص:٢٨٤ .

[٣١٩] . ينظر: الايضاح:٤٧ .

[٣٢٠] . ينظر: المصدر نفسه: ٤٨ .

[٦]. ينظر: المصدر نفسه: هامش: ٤٧.

[٣٢٢] . ينظر: المصدر نفسه هامش ص٤٨ .

www.manaraa.com

وبلاغة الكلام متفاوتة؛ لأنّ الالفاظ إذا ركبت لإفادة المعاني المرادة منها حصل لها بالتركيب صور مختلفة لا يحصرها العد، وهذا التفاوت في[٣٢٣]:

١ـ العبارة التي ينشئونها.

٢ـ ترتيب المعاني.

٣ـ بسط الألفاظ او إيجازها.

فالعبارة والغرض منها، وترتيبها مع عبارات أخرى، وتأثرها بمقتضى الحال، فيبسط فيها القول أو يوجز، هي من تتحكم في تفاوت البلاغات، وقد أشار القزويني إلى أن مطابقة الكلام على مقتضى الحال هو ما يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم، إذ يقول: النظم تآخي معاني النحو في ما بين الكلم، على حسب الاغراض التي يصاغ لها الكلام[٣٢٤].

وحين حاولت بحث العلاقة بين (الفصاحة والبلاغة) عند القزويني؛ بوصفهما مقدمتين مهمتين لدراسة البلاغة الحديثة، استوقفتني، اربعة احتمالات بين الفصاحة والبلاغة لا تعدوها العلاقة، وهي: **التساوي**، فتكون كل فصاحة بلاغة، وكل بلاغة فصاحة، **ونسبة العموم والخصوص من وجه**، ويكون بعض الفصيح بليغا وبعض البليغ فصيحا، **ونسبة العموم والخصوص مطلقا**، ويكون ليس كل فصيح بليغا وليس كل بليغ فصيحا، والنسبة الرابعة هي **نسبة التباين**[٣٢٥]، وهي نسبة منفية عن هذه العلاقة لوجود العلاقة البديهية بين الفصاحة والبلاغة.

فلما كان كل كلام بليغا لا بدّ أن يكون فصيح المفردات والجمل؛ كان كلّ كلام بليغ كلاما فصيحا، وكان كل متكلم بليغ متكلما فصيحا[٣٢٦].

و قد يكون الكلام فصيحا ولا يكون بليغا؛ لان الفصاحة أعم، والبلاغة أخص دائما، فكل بليغ فصيح، كلاما او متكلما، وليس كل فصيح بليغا، اذ بين الفصاحة

---

[٣٢٣] . ينظر: علوم البلاغة: أحمد مصطفى المراغي:٣٢ .

[٣٢٤] .ينظر: أسرار البلاغة:٥٦.

[٣٢٥] . في هذه النسب ينظر مبحث الالفاظ في: المنطق للمظفر: ٤٥/١، والمعجم الاصولي، لمحمد صنقور البحراني: ٢٤٣/٢.

[٣٢٦] .ينظر: البلاغة العربية، اسسها وعلومها وفنونها، عبد الحمن حسن جنكة الميداني: ١ :١٣١ .

www.manaraa.com

والبلاغة عموم وخصوص مطلقا، بحسب اصطلاح علماء المنطق[٣٢٧]. وهذا ما قررهُ القزويني، وسيكون الكلام على البلاغة عند القزويني في مطلبين:

المطلب الاول، ويتضمن مستويين:

المستوى الأول: بلاغة المتكلم

عرّف القزويني بلاغة المتكلم أنها: ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ؛ فهو يرى أن: كلّ بليغ ـ كلاما كان أم متكلما ـ فصيح، وليس كلّ فصيح بليغا، وأن البلاغة في الكلام مرجعها الى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، والى تمييز الكلام الفصيح من غيره[٣٢٨]، وفي ضوء كلام القزويني عن هذه الملكة، فُسّرت الملكة عند د. عبد العزيز قليقلة بأنها تكون في البداية استعدادا عند الانسان، ثم تربى من خلال الأساليب البلاغية الصحيحة، والأثر الأدبي السليم؛ لذا فالملكة تزداد وتتضح بالدرس والموازنة والصبر على الاطّلاع الطويل في عيون الاخبار، والشعر والشعراء، وفي البيان والتبيين، وفي فرائد الأدب وعقوده، ومن نظرات النقاد والادباء والموازنات والوساطات بين الادباء والشعراء والمقارنات بين فن القول العربي وبلاغات الامم الاخرى، والامر في اكتساب ملكة البلاغة كالأمر في اكتساب ملكة الفصاحة وكلاهما رهن بتشرب الكلام البليغ لدرجة التشبّع به[٣٢٩].

وبعد التدقيق في كلام القزويني، توصلت إلى هذه نتيجة، فكأنه يريد القول إنّ: البلاغة في الكلام مرجعها الى الاحتراز **عن ايراد كلمة وإن كانت فصيحة، أو مجموعة كلمات وإن كانت كذلك لا تؤدي المعنى المراد والمطابق لمقتضى الحال**، وإن صحّ ظنّي في تقدير كلام القزويني، حينئذٍ يمكن الاطمئنان لوجود الاختلاف بين معنى الفصاحة والبلاغة عنده؛ لأنّ البلاغة كما جاءنا سابقا تعني (البلوغ والايصال) في تأدية المعنى، والسؤال المطروح هنا هو: هل يشترط أن يكون الكلام المتكون من مجموعة كلمات فصيحة بشكل تام، الذي يصدر عن لسان فصيح، كلاما بليغا بنسبة تامة؟؟؟

وهل يمكن أن يكون الكلام بليغا بدون مكونات فصيحة؟

---

[٣٢٧] .ينظر: المصدر نفسه: ١ :١٣١ .

[٣٢٨] . ينظر: أساليب بلاغية:٦٠ .

[٣٢٩] . ينظر: البلاغة الاصطلاحية: عبده عبد العزيز قلقيلة: ٣١.

www.manaraa.com

والجواب عن السؤال الأول هو كلا؛ إذ يمكن أن نسمع كلاما فصيحا تمام الفصاحة لكنه لا يصل الى حد الابلاغ والوصول الى ضمير السامع ليؤدي الرسالة المرجوة، بمعنى ان تلك الفصاحة قد أبانت وافصحت **عن المعنى في داخل ضمير المتكلم نفسه** ، وباعتبار وجود "**النسبية**" في درجات الفصاحة كما جاء في بداية الكلام عن شروط الفصاحة عند القزويني، لا يشترط أن تكون تلك الفصاحة قد أبانت المعنى المراد في نفس السامع والذي قد تفوق درجة فصاحته درجة فصاحة المتكلم، فالكلمة المنطوقة أو المكتوبة، تمثل لونا من الوان الاتصال وذلك بافتراض مسبق لوجود نشاط مرسل من المتكلم، ونشاط مستقبل من المرسل اليه، وقد يكون هذا الاتصال موضوعيا خالصا، ولكنه ـ غالبا ـ ما يضاف اليه الرغبة في التأثير على المرسل اليه[٣٣٠]، وتختلف تبعا لذلك درجة مقتضى الحال، وهنا تظهر أهمية كلام الخطيب على الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وتمييز الكلام الفصيح من غيره، لكنّ بعض القدماء يجعلون البلاغة شيئا يبتدئ من المعنى وينتهي الى اللفظ، والفصاحة شيئا يبتدئ من اللفظ وينتهي الى المعنى[٣٣١].

وأشار القزويني إلى أنّ كل بليغ ـ كلاما كان أو متكلما ـ فصيح، وليس كل فصيح بليغا[٣٣٢]؛ لان الفصاحة مأخوذة من تعريف البلاغة مطلقا، اي بلاغة كلام أو متكلم، أخذها في بلاغة الكلام صراحة وفي بلاغة المتكلم بوساطة[٣٣٣]، وهذا يعود إلى قضية ارتباط الفصاحة بالمعنى والبلاغة باللفظ، ولا يفصل بعض المحدثين بين اللفظ والمعنى، الا من حيث الدراسة الموضوعية، وفي مجال التطبيق فهما وحدة واحدة كشِقّي المقراض، لا يقطع حدّ دون الاخر، بل هما ينفعان في وقت واحد[٣٣٤]، ويرى صاحب هذا الرأي أن القزويني عندما ألّف كتابه (التلخيص) ما قصد أن يفصل بين مصطلحي الفصاحة والبلاغة، وانه قد أبرز هذه الصلة في الناحية التطبيقية في كتابه الايضاح[٣٣٥]، كما يدعي أن أحمد مطلوب يقول إن التفريق بين الفصاحة والبلاغة عند القدماء لم يكن لأجل

---

(٣٣٠) . ينظر: البلاغة والاسلوبية: محمد عبد المطلب:٣٧٥ .

(٣٣١) . عروس الافراح: السبكي(٧٧٣ هـ) :١٤٣/١ .

(٣٣٢) . الايضاح: ٤٩ .

(٣٣٣) . ينظر: المصدر نفسه :هامش:٤٩ .

(٣٣٤) . ينظر: فصول في البلاغة : ٧٥.

(٣٣٥) . ينظر: فصول في البلاغة: ٧٣ .

www.manaraa.com

الفصل الصريح؛ إنما لغاية تعليمية من قبل السكاكي ومن جاء بعده من اصحاب الشروح والحواشي؛ لكني عندما رجعت للكتاب لم أجد فيه مثل هذه العبارة، بل إن الدكتور أحمد مطلوب نفسه يقول في كتابه البلاغة عند السكاكي، إن السكاكي يفرق بين البلاغة والفصاحة[٣٣٦].

المستوى الثاني: بلاغة الكلام

وللقزويني رأيٌ في أنّ البلاغة في الكلام مرجعها الى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، والى تمييز الكلام الفصيح من غيره[٣٣٧]، و إن ما يحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى هو علم المعاني، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي هو علم البيان، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته هو علم البديع[٣٣٨].

وفي ضوء كلام القزويني على هذه الملكة، فُسّرت الملكة عند أحد الباحثين أنها تكون في البداية استعدادا عند الانسان، ثمّ تربى من خلال الاساليب البلاغية الصحيحة، والاثر الادبي السليم؛ لذا فالملكة تزداد وتتضح بالدرس والموازنة والصبر على الاطلاع الطويل في عيون الاخبار، والشعر والشعراء، وفي البيان والتبيين، وفي فرائد الادب وعقوده، ومن نظرات النقاد والادباء والموازنات والوساطات بين الادباء والشعراء والمقارنات[٣٣٩] بين فن القول العربي وبلاغات الأمم الأخرى[٣٤٠]، والأمر في اكتساب ملكة البلاغة كالأمر في اكتساب ملكة الفصاحة، وكلاهما رهن بتشرب الكلام البليغ لدرجة التشبع به، يستشهد عبده عبد العزيز قليقلة في هذا المعنى بإبراهيم المازني الذي كان يقرأ ويقرأ حتى إذا امتلأ فاض وفاض[٣٤١]؛ إذ كان (رحمه الله) يشبه نفسه بعربة رشّ الشوارع بالمياه، ويرى أنه خزان ضخم يمتلئ ليفرغ ويفرغ ليمتلئ، يقول: احس الفراغ في رأسي فاسرع الى الكتب، فالتهم منها وأحشو بها دماغي، حتى اذا شعرت بالكظة، وضايقني الامتلاء، رفعت يدي عن ألوان هذا الغذاء، وقمت متثاقلا متثائبا مشفقا من التخمة، فلا

---

[٣٣٦] . ينظر: البلاغة عند السكاكي:٣٠١ .

[٣٣٧] . الايضاح: ٤٩ .

[٣٣٨] . المصدر نفسه: ٥٠ .

[٣٣٩] . ينظر: الادب المقارن: محمد غنيمي هلال: ١٧٦.

[٣٤٠] . ينظر: فصول في البلاغة:٧٤ .

[٣٤١] . ينظر: البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيلة: ٣١ .

www.manaraa.com

ينجيني إلا أن أفتح الثقوب، وأسح وهكذا دواليك)[٣٤٢]، ونبّه القزويني إلى أن بعضًا من الناس يسمي الجميع علم البيان وبعضهم يسمي الأول علم المعاني، والثاني والثالث علم البيان، والثلاثة علم البديع[٣٤٣].

وقد قسم القزويني البلاغة على مصطلحات ثلاثة، هي: علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع.

١. علم المعاني

من المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية متصلة بالجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير، أو حذف، او ذكر أو تعريف، أو تنكير أو قصر أو خلافه أو فصل و وصل أو أيجاز أو إطناب ومساواة[٣٤٤]، عرفه القزويني أنه:(علم يعرف به احوال اللفظ العربي التي يطابق بها مقتضى الحال)[٣٤٥]، بعد أن رفض تعريفه: بـ(تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره؛ ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره)[٣٤٦]، ناقدا تعريف السكاكي هذا؛ بنقطتين:

أ. إنّ التتبع ليس بعلم ولا صادق عليه، فلا يصح تعريف شيء من العلوم به. ب . إنّ السكاكي قال:(وأعني بالتراكيب تراكيب البلغاء) ولا شكّ أن معرفة البليغ من حيث هو بليغ متوقفة على معرفة البلاغة، وقد عرفها في كتابه بقوله:(البلاغة: هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدا له اختصاص بتوفية خواصّ التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها)؛ فإن اريد بالتراكيب في حدّ البلاغة تراكيب البلغاء، وهو الظاهر، فقد جاء الدور، وإن أراد غيرها فلم يبينه[٣٤٧]، وكان قصد القزويني أن السكاكي ان كان يقصد بالتراكيب في حده للبلاغة تراكيب البلغاء، فإنّ بلاغة الكلام عند القزويني غير بلاغة المتكلم[٣٤٨].

---

[٣٤٢] . ينظر: المصدر نفسه : ٣١ ، و: قبض الريح: لإبراهيم عبد القادر المازني:٢.

[٣٤٣] . الايضاح:٥١ .

[٣٤٤] . ينظر: المصطلح البلاغي في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص:٨٠ .

[٣٤٥] . الايضاح: ١/ ٥٢.

[٣٤٦] . مفتاح العلوم: ٣٤١.

[٣٤٧] . الايضاح: ١/٥٤.

[٣٤٨] . ينظر: تعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي على الايضاح: ١/ هامش: ٥٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم يغبْ عن الدارسين المحدثين أن أحوال اللفظ في تعريف القزويني تشمل أحوال (الجملة) كالقصر والفصل والوصل والمساواة والإيجاز والاطناب، كما تشمل احوال (أجزائها) كأحوال الاسناد، وأحوال المسند اليه، وأحوال المسند، واحوال متعلقات الفعل[٣٤٩]، ومهما كان هناك من لحمة جامعة بين البلاغة والنحو؛ بوصف أن (أئمة النحو أحق بأن يتلبس بهم أرباب المعاني ويتشبث، وتشاهد أحوالهم؛ لأن أرباب المعاني من أئمة النحو آخذون مستفيضون محكمون، وعلى المفسرين مفيضون باذلون حاكمون)[٣٥٠]، وهذا ما صرح به السعد التفتازاني باللحمة الجامعة بين النحو والبلاغة[٣٥١]، الا ان المحدثين فهموا: ان تقييد احوال اللفظ بما يطابق مقتضى الحال في تعريف القزويني، هو للاحتراز عن الاحوال التي ليست كذلك مما يدرس في علمي النحو والصرف بل مما يدرس في العلمين الاخرين للبلاغة وهما (علم البيان)، و(علم البديع)؛ لان مباحثهما لا ينظر فيها الى ناحية المطابقة أو عدمها[٣٥٢]، وقد فضل بعض المحدثين تعريف القزويني على تعريف السكاكي؛ لأن تعريفه موجز وواضح[٣٥٣], إلا أن أحد المحدثين ينتقد السكاكي والخطيب أنهما قد أغفلا الفرق بين نظر علم المعاني في الالفاظ ونظر علم النحو فيها، فأدخلا كثيرا من المعاني النحوية في مباحث علم المعاني، كما ذكراه في أحوال التعريف وان التعريف بالإضمار يكون لأن المقام للتكلم أو الخطاب أو الغيبة[٣٥٤]، كقول بشّار:

أنا المرعّث لا أخفى على أحدٍ ذرّت بي الشمسُ للقاصي وللداني[٣٥٥]

وقول أمامة الخثعميّة صاحبة ابن الدمينة:

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمتّ بي من كان فيك يلومُ[٣٥٦]

وقول القاسم بن حنبل المُرّي:

---

[٣٤٩] . ينظر: البلاغة الاصطلاحية: ١٢٣.

[٣٥٠] . شرح المفتاح للتفتازاني:١٨١، والتفتازاني وآراؤه البلاغية، ضياء الدين القالش: ١٣٦ .

[٣٥١] . ينظر: التفتازاني وآراؤه البلاغية: ١٣٦.

[٣٥٢] . ينظر: البلاغة الاصطلاحية: ١٢٣.

[٣٥٣] . ينظر: المصدر نفسه: ١٢٣.

[٣٥٤] . ينظر: البلاغة العالية، علم المعاني، عبد المتعال الصعيدي: ٤٠.

[٣٥٥] . ينظر: ديوان بشار بن برد، شرح ألفاظه الأستاذ مهدي محمد ناصر الدين: ٢٥٤.

[٣٥٦] . ينظر: كتاب الاغاني: ١٠/٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من البيض الوجوه بني سنان لو أنك تستضيء بهم أضاؤوا

هم حلو من الشرف المعلى ومن كرم العشيرة حيثُ شاؤوا[٣٥٧]

لقد عدت هذه الأمثلة في نظر المحدثين وأشباهها معانيَ نحوية، وليست هي شيئا من وجوه الفصاحة والبلاغة واذا كان علم النحو ينظر في بعض ما ينظر فيه علم المعاني من الذكر والحذف والتقديم والتأخير وغير ذلك الى هنا، فإنما ينظر فيها من جهة بيان وجوه صحتها وامتناعها، وأما علم المعاني فإنما ينظر فيها من جهة بيان الوجوه التي ترجح بعضها على البعض[٣٥٨]، ولا أظن أن السكاكي والقزويني قد أغفلا حقا مسألة الفرق بين علمي النحو والمعاني .كما مر آنفا. والا لِمَ سميا علم المعاني بهذا الاسم ولم يطلقا عليه اسم علم النحو، كما أن مسألة تداخل مباحث النحو مع مباحث علم المعاني، لا مناص منها ؛ فالنحوي وصاحب علم البيان وإن اختلف نظرهما، الا انهما يشتركان في أن الأول ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع، وتلك دلالة عامة، والثاني ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة[٣٥٩]، لذلك عدّ أحد الدارسين الاثر الذي يتركه التزام قواعد النحو أساسا لفهم معاني التراكيب مع رعاية التذوق الفني والادبي، هدفا تحقيقه يحتاج الى نوع من الدراسات التي تتجاوز الاهتمام بالجانب التقنيني المعني بتمييز صحيح الكلام من فاسده[٣٦٠]؛ ومن يقرأ كلام الجرجاني:(علم ان ليس النظم الا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه واصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها، وذلك إنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه)[٣٦١]، يدرك صدق الرأي الذي يقول: إنّ عبد القاهر الجرجاني امتلك الاحقية في أن تتجاور مباحثه مع احدث ما تناولته الدراسات الاسلوبية الحديثة[٣٦٢]، فمن خلال

---

(٣٥٧) . ينظر: شرح ديوان الحماسة: ١٠٥/٢.

(٣٥٨) . ينظر: البلاغة العالية: ٤٠.

(٣٥٩) . ينظر: البلاغة العالية: ٣٩.

(٣٦٠) . ينظر: أساليب البيان في النحو العربي، دراسة دلالية من خلال القرآن، خديجة الصبان: ١.

(٣٦١) . دلائل الاعجاز: ٨١.

(٣٦٢) . ينظر: البلاغة والاسلوبية: ٦.

www.manaraa.com

عباراته هذه نتوصل الى أن عملية (النظم) تمرّ بسلسلة من الخطوات أولها تطبيق قواعد علم النحو في الكلام، ثم تصور ما يرمي اليه الناظم من خلال الصورة التي يرسمها وفق تلك الضوابط، والتي يمكن من خلالها معرفة غرض كلّ أسلوب يسلكه الناظم، ثم يمكن وفق وجهة نظر أسلوبية حداثية ان نميز بين الاساليب البلاغية التي قد ينحو بعضها للانزياح عن تلك الضوابط؛ للتعبير عما يرمي اليه الناظم من غرض أيضا، ومن ينظر في (وجوه كلّ باب وفروقه)؛ يمكنه بيسر إدراك تلك الاساليب كما يمكن أن يميز المرء بين اللونين الابيض والاسود، وهنا تكمن أهمية تداخل مباحث علمي النحو والمعاني، يدعم رأيي في إدراك القزويني للفرق بين علمي المعاني والنحو؛ قوله تعقيبا على تعريفه لعلم المعاني:(قيل(يعرف) دون يعلم، رعاية لما عدّه بعض الفضلاء من تخصيص العلم بالكليات والمعرفة بالجزئيات)[٣٦٣]، وهذا يعني ان علم المعاني عند القزويني هو: الملكة التي يقتدر بها على ادراكات جزئية، ويجوز ان يراد به الاصول والقواعد المعلومة[٣٦٤]، ويمكنني ويمكنني أن أفسر التعريف أنه: العلم الذي يعرف به أحوال التراكيب العربية المستنبطة، من فهم المعاني التي يمنحها إيانا علم النحو، ومعرفة علم المعاني هو إدراك جزء من تحقق البلاغة عن طريق علومها الثلاثة(المعاني، والبيان، والبديع).

تكمن أهمية علم المعاني في البلاغة؛ في أنه العلم الذي يحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، فنعرف السبب الذي يدعو إلى التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإيجاز حينا والإطناب آخر، والفصل والوصل إلى غير ذلك[٣٦٥]، ومقتضى الحال ومطابقته للكلام من الأمور التي كانت وما زالت ضمن الموضوعات التي تهم الدارسين، وكان بشرٌ من اوائل الذين كتبوا في وجوب تلك المطابقة، فلا عبرةَ عنده بشرف المعنى، ولا بشرف اللفظ، إذا لم يقعا موقعهما، ويقول في ذلك (إن

---

[٣٦٣] . الايضاح: ١/ ٥٣.

[٣٦٤] . ينظر: تعليق د. عبد المنعم خفاجي على الايضاح: ١/ هامش: ٥٢.

[٣٦٥] . ينظر: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع: أحمد مصطفى المراغي:٣٦ .

www.manaraa.com

مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكلّ مقام من المقال)[٣٦٦].

ويجعل بشرُ أقدارا للمعاني ويشدد على ملاءمتها لأقدار المستمعين؛ إذ يقول:(وينبغي للمتكلم ان يعرف اقدار المعاني ويوازن بينها وبين اقدار المستمعين، وبين اقدار الحالات) [٣٦٧]، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، ويقسم اقدار الكلام على اقدار المعاني، ويقسم اقدار المعاني على اقدار المقامات، واقدار المستمعين على اقدار تلك الحالات[٣٦٨]، ويرى احد علماء اللغة المحدثين، وهو الدكتور تمام حسان: إن مفهوم (الحال) يتضمن الثبات والسكون وعدم التحول الا الى حال اخرى مغايرة تماما. ولعل القول المشهور:(دوام الحال من المحال) يشتمل على نوع من الضيق بثبات الحال وسكونها والتعزي بالأمل في تحولها؛ فالحال تدل على (state)، ومن ثم يكون مفهومها(static) أي سكوني[٣٦٩]، و يفطن هذا الباحث الى قول الخطيب القزويني أنّ (مقتضى الحال مختلف؛ فإن مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الاطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذلك خطاب الذكي يباين خطاب الغبي)[٣٧٠]، وبهذا يتّضح له أمور عدة ، وهي:

١ـ إن (مقتضى الحال) فكرة معيارية؛ لأنّ مراعاتها هي معيار البلاغة.

٢ـ إنها لهذا السبب تسبق في وجودها إنتاج الكلام وسماعه أو قراءته؛ لأنها هي التي يصاغ الكلام بحسبها.

٣ـ إن فكرة (المقام) عنده إطار نوعي وليس واقعة عملية؛ ولهذا السبب يختلف المقام عما يعرف في علم الاسلوب باسم سياق الموقف(context of

---

[٣٦٦] . ينظر: البيان والتبيين: ١/ ١٣٩ ، والبلاغة والنقد: ١٨١ ..

[٣٦٧] . المصدر نفسه:١/ ١٣٩.

[٣٦٨] . ينظر: البلاغة والنقد: ١٨١ .

[٣٦٩] . ينظر: مقالات في اللغة والادب:١٦٣ .

[٣٧٠] . الايضاح: ٨٠ .

www.manaraa.com

situation) وهو يتكون من جملة عناصر واقعية متزامنة، أحدها واقعة(المقال)؛ فالفرق بين المقام وسياق الموقف إن المقال منفصل عن المقام ويقال بحسبه؛ إذ لكل مقام مقال، ولكن المقال جزء لا يتجزأ من سياق الموقف.

ولا يُعرف أحدٌ قبل السكاكي استعمل مصطلح المعاني[٣٧١]، وكان لنظرية النظم الأثر الأكبر في ظهور هذا اللون من الدراسات؛ إذ وضع عبد القاهر الجرجاني نظرية (علم المعاني) في كتابه (دلائل الاعجاز)[٣٧٢]، فيعرفه أنه تعليق الكلام بعضه ببعض وجعل بعضه بسبب من بعض[٣٧٣]؛ فالنظم عنده ليس إلاّ توخي معاني النحو وأحكامه بين الكلمة، ولا يقصد بالنحو معناه الضيق الذي فهمه المتأخرون؛ وإنما يريد المعاني الإضافية التي يصورها النحو، وبذلك رسم في دلائل الإعجاز طريقا جديدا للبحث النحوي تجاوز أواخر الكلمات.

وموضوع علم المعاني هو اللفظ العربي من حيث إفادته المعاني الثواني، التي هي الأغراض المقصودة للمتكلم، والمعاني الأُوَل هي مدلولات التراكيب، والألفاظ التي تسمى في علم النحو أصل المعنى، والمعاني الثواني الأغراض التي يساق لها الكلام[٣٧٤]، والذي يدلّ على المعاني خمسة أشياء: اللفظ، والاشارة، والكتابة، والعقد، والحال[٣٧٥]، ومع أنّ موضوع علم المعاني هو الجملة العربية، إلاّ إنه لا يقتصر على البحث في كلّ جملة مفردة على حدة، ولكنه يبحث أيضا في علاقة الجملة بأختها، والنظر في النص بكامله، والبحث في السياق الذي قيل فيه، وفي مباحث الإيجاز والإطناب، والفصل والوصل ما يرشد إلى ذلك[٣٧٦]، ويعدّ د. تمام حسان جهد البلاغيين في علم المعاني في طابعه العام دراسة تنظيرية لا تطبيقية، وهي تبدو أقرب الى الدراسة اللغوية منها إلى النقد الأدبي، وأقرب إلى النحو منها الى أي فرع آخر من فروع الدراسات اللغوية او العربية عموما، وإنه إذا

---

(٣٧١) . ينظر: القزويني وشروح التلخيص:٢٨٧ .

(٣٧٢) . ينظر: المصدر نفسه:٢٨٧ ، والمصطلح البلاغي في معاهد التنصيص: ٨٠ .

(٣٧٣) . ينظر: دلائل الاعجاز: ١ .

(٣٧٤) . ينظر: جواهر البلاغة، احمد الهاشمي:٥٦ .

(٣٧٥) . جواهر البلاغة، احمد الهاشمي:٥٦.

(٣٧٦) . ينظر: البلاغة العربية، بن عيسى باطاهر:٤١ .

www.manaraa.com

ما أردنا نسبة هذا الجهد إلى النحو؛ فإن خير ما نصفه به إنه من نوع النحو الاجرائي، وهو في مقابل النحو التقعيدي الذي جاء به النحاة، وبذلك فالبلاغيون يحددون اجراءات والنحاة يحددون قواعد، ونشاط كليهما نظري[٣٧٧]؛ لأنهم لم يراعوا حال المخاطب في حدود اختيارات الأديب وقد نبهوا في علم المعاني إلى مراعاة المخاطب وفكروا في تعدد استعمالات الأنماط التركيبية، فتكلموا في أمور مثل تنزيل المعلوم منزلة المجهول، واستعمال ألفاظ الاستفهام في غير الاستفهام، ووقوع الخبر موقع الإنشاء وفي الإطناب والإيجاز والمساواة، وكلّ ذلك يقع في إقليم الوسائل التعبيرية للغة فقط[٣٧٨].

المطلب الثاني

منهج القزويني في تقسيم المصطلحات

يرى الدكتور أحمد مطلوب أنّ الخطيب القزويني قد خطا بالبلاغة خطوة أخرى بعد السكاكي، فرتب كتابه ترتيبا أدق من ترتيب السكاكي[٣٧٩]، وان منهج القزويني اسلم من منهج السكاكي؛ لأنه حاول ان يجمع الاشباه وينسق الموضوعات فتحدث عن الايغال، والتتميم، والتكميل، والاعتراض، والالتفات في علم المعاني[٣٨٠]، ولم يعدها من علم البديع كما فعل السكاكي، حيث ذكر الالتفات في المعاني مرة، وفي البديع تارة اخرى[٣٨١]، ووصف د.عبد العزيز عتيق الخطيب القزويني أنه لم يقف في تلخيصه من كتاب(مفتاح العلوم) موقف الملتزم كما فعل غيره، وانما تصرف فيه، بمعنى أنه ترك ما لم يستحسنه وأبقى على ما استحسنه منه، وأضاف إليه من آرائه وآراء من سبقوه، فهو في تلخيصه قد استبعد منه تعقيد السكاكي وتطويله كما وضّح غامضه بالشرح والأمثلة، واستبدل ببعض مصطلحاته وتعريفاته الملتوية مصطلحاتٍ وتعريفاتٍ أخرى أكثر وضوحا ودقة وسمح لنفسه فرتب مباحثه ترتيبا قريبا يجعله أيسر منالا، ولم يكتف بذلك بل أضاف إليه . كما يقول القزويني[٣٨٢] . فوائد عثر عليها في كتب المتقدمين، وزوائد لم يظفر بها أحد لا

---

[٣٧٧] . ينظر: مقالات في اللغة والادب:١٦٢ .

[٣٧٨] . ينظر: المصدر نفسه:١٦٢.

[٣٧٩] . ينظر: البلاغة عند السكاكي: ٣٧٢.

[٣٨٠] . ينظر: الايضاح: ٣/ ٢٠٢ـ ٢١٥.

[٧]. ينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٦٤٧.

[٣٨٢] . ينظر: الايضاح: ٢٢.

www.manaraa.com

بالتصريح ولا الاشارة، وكل ذلك قد صاغه صياغة حسنة العبارة، واضحة الدلالة[٣٨٣]، والحقيقة ان البلاغة قد وقفت عند كتاب القزويني(الايضاح)، ولم يكتب لها بعده التطور والتجديد[٣٨٤].

حصر القزويني علم المعاني في ثمانية أبواب:

١ـ احوال الإسناد الخبري.

٢ـ أحوال المسند اليه.

٣ ـ أحوال المسند.

٤ ـ أحوال متعلقات الفعل.

٥ ـ القصر.

٦ ـ الإنشاء.

٧ـ الفصل والوصل.

٨ ـ الإيجاز والإطناب والمساواة.

وللدكتور أحمد مطلوب رأيٌ في تقسيمات القزويني في علم المعاني يذكر فيه: ولعل احسن ما في بحث علم المعاني عند القزويني موضوعات المساواة والايجاز والاطناب، ويمكن ان نستفيد من تقسيماته في بلاغتنا الحديثة ونضيف إليها ما استجد من أساليب التعبير مع تعمق في التحليل، ونظرة شاملة تأخذ الكلّ أساسا لدراستها لا الجزء الذي لا يجدي في دراسة الفنون الادبية كثيرا[٣٨٥]، وقال مقيّما دراسة القزويني لعلم مقارنة بالسكاكي(ومهما يكن من شيء فقد استطاع القزويني ان يحلق في بحث موضوعات علم المعاني اكثر مما فعل السكاكي، وأن ينسقها تنسيقا فيه دقة ووضوح)[٣٨٦].

---

[٣٨٣] . ينظر: تاريخ البلاغة العربية: ٣٠٢.

[٣٨٤] . ينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٦٣٩.

[٣٨٥] . ينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٣١٨. ٣١٩.

[٣٨٦] . المصدر نفسه: ٣١٩.

www.manaraa.com

٢. علم البيان

البيان لغة: هو الايضاح، والفهم، والابانة، والبيان: الفصاحة، والبين من الرجال: الفصيح[٣٨٧].

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى چ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ چ [٣٨٨] وتدل لفظة (البيان) في الآية على المنطق الذي فضل به الانسان على الحيوان، وهي تلك الملكة المركبة في طبع الانسان[٣٨٩]، وقد وصف القرآن بأنه بيان للناس، قال تعالى چ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ چ[٣٩٠] ، قال الباقلاني(القرآن أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه وطرقه وأبوابه، من تعديل النظم وسلامته وحسنه وبهجته، وحسن موقعه في السمع، وسهولته على اللسان، ووقوعه في النفس موقع القبول، وتصوره تصور المشاهد)[٣٩١].

ولقد كان البيان يتقلب في وجوه القول كافة، ويواكب فنون البلاغة بعامة، ويختلط بالمعاني حينا، ويستوعب جملة من علم البيان حينا آخر[٣٩٢]، وخلص الجاحظ الى (أن البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى، وهتك الحجب دون الضمير، حتى يفضي السامع الى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان، ومن اي جنس كان ذلك الدليل؛ لان مدار الامر والغاية التي اليها يجري القائل والسامع انما هو الفهم والافهام، فبأي شيء بلغت الافهام واوضحت عن المعنى، ذلك هو البيان في ذلك الموضع)[٣٩٣].

لكن هذا الاتساع الفضفاض في صفة البيان لا يعطي دلالة اصطلاحية، ولا يفضي إلى ضبط علمي دقيق عند الجاحظ، وانما يُعنى بأهمية البيان أكثر من تحديده وبقيمته عند القدامى والمعاصرين له بشكل يوحي بعدم ارادته للمصطلح بل البيان بمعناه العام[٣٩٤]، وإنما كان في نظره قسيما للفظ (التبيين)؛ إذ جعل البيان معنى عاما، وجعل

---

[٣٨٧] . لسان العرب،٣/٩٠ مادة (بين).

[٣٨٨] الرحمن:١. ٤.

[٣٨٩] . ينظر: البلاغة العربية، مقدمات وتطبيق:٢١١ ، ومقالات في اللغة والادب:١٦٥ .

[٣٩٠] . آل عمران: ١٣٨

[٣٩١] . إعجاز القرآن، الباقلاني: ٢٧٦ .

[٣٩٢] . ينظر: البيان العربي: ١٦ .

[٣٩٣] .البيان والتبيين:١/ ٧٦ .

[٣٩٤] . ينظر: أصول البيان العربي، رؤية بلاغية معاصرة:١٦ .

www.manaraa.com

التبيين هو نتيجة الجهد الفني للإنسان، فاذا تأملنا الفرق في المعنى بين لفظي (البيان) و(التبيين) فربما وجدنا (التبيين) اقرب اللفظين إلى المقصود بالبلاغة؛ فلا يفرق بينهما على ظل من ظلال المعنى هو ايصال المعنى إلى السامع، او جعله في متناوله فحسب؛ اما البيان فيضع في حسبانه المتكلم دون السامع؛ لأنّ المتكلم يبين والسامع يتبين[٣٩٥]، وقال الرسول:(صلى الله عليه وآله وسلم): (إن من البيانِ لسحرا)[٣٩٦] ومعنى البيان هنا: إظهار المقصود بأبلغ لفظ[٣٩٧]، والقدرة على الإقناع، وشدة تأثير الكلام في النفوس؛ فاذا كانت (من) تفيد التبعيض فإن مفهوم المخالفة يدلّ على أن منه كذلك ما ليس سحرا[٣٩٨]، وظلت كلمة البيان تحمل معاني البلاغة، والفصاحة، والقدرة على الحجاج وإقناع الاخرين حتى جاء السكاكي فحدد معالمه، وجعله علما مميزا من علوم البلاغة، فاستقر على يديه ومن سار على منهج مدرسته البلاغية، وكان له مدلول خاص[٣٩٩]، وقام بتضييق معناه وتحديد مباحثه بقوله:(أما علم البيان فهو معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه)[٤٠٠]، وهي ثلاثة مباحث: فقد حصر علم البيان في الدلالات العقلية، فكانت مباحثه تشمل المجاز والكناية؛ لانهما يمكن ايراد المعنى الواحد بهما في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان؛ اما التشبيه فدلالته وضعية فلا يدخل في تعريف السكاكي[٤٠١]، ويصفه احد الباحثين بانه قد أخرج التشبيه من علم البيان بهذه الطريقة التي وصفها بانها ملتوية، ثم كرّ على الموضوع فادخل التشبيه فيه بطريقة ملتوية ايضا، وعلى حدّ قول هذا الباحث: لِمَ التجأ السكاكي الى هذا الالتواء وهو عند التطبيق نجده قد قدم حديثه على التشبيه ثم المجاز ثمّ الكناية[٤٠٢].

---

[٣٩٥] . ينظر: مقالات في اللغة والادب: ١٦٦ .

[٣٩٦] . صحيح البخاري، ٣١/٧، الموطأ، الامام مالك: ٩٨٦/٢.

[٣٩٧] . ينظر: النهاية في غريب الحديث والاثر، ابن الاثير الجزري: ١٧٤/١، وينظر: البلاغة العربية، بن عيسى باطاهر: ٢١٢.

[٣٩٨] . ينظر: مقالات في اللغة والادب: ١٦٥ .

[٣٩٩] . ينظر: البلاغة عند السكاكي:٣٠٩ ، و: البلاغة العربية:٢١٢ .

[٤٠٠] . مفتاح العلوم: ٧٧.

[٤٠١] . ينظر: البلاغة عند السكاكي: ٣١٠ .

[٤٠٢] . ينظر: أصول البيان العربي:٢٢ .

www.manaraa.com

وجاء الخطيب القزويني فعرفه أنه:(علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه)[٤٠٣]، وقد وصف هذا التعريف أنه تعريف ناقص؛ لأن هذا العلم يهتم أيضا بما في الطرق التي يبحثها من عناصر جمالية وإبداعية، ويهتم بتربية الذوق الفني لإدراك نسب الجمال والابداع، والتمييز بين مستويات الصور ودرجاتها جمالا وابداعا، وإدراك الصور المبتذلة والصور المرذولة المحرومة من الابداع أو من الجمال[٤٠٤]، لكن من وجهة نظر بحثت في مقاييس البلاغة بين الادباء والعلماء، بدا أن تعريف القزويني للبلاغة على انها(مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته)[٤٠٥]، وتعليقه عليه بان:(البلاغة صفة راجعة الى اللفظ باعتبار افادته المعنى عند التركيب وكثيرا ما يسمى ذلك فصاحة ايضا، وهو مراد الشيخ عبد القاهر بما يكرره في دلائل الاعجاز، من ان الفصاحة صفة راجعة الى المعنى دون اللفظ...)[٤٠٦]، ما يدل على أنه كان على وعي بان معنى البلاغة لا يتحقق الا بشرطي: المطابقة والفصاحة، ويترتب على هذا ان علم المعاني حين يتولى رعاية المطابقة وإبراز مقوماتها، فينبغي حينئذٍ أن يتولى(علم البيان) رعاية (الفصاحة) على اعتبارها صفة للدلالة أيا كان نوع تلك الدلالة[٤٠٧]، كما عدّ تعريف القزويني لعلم البيان ومن وجهة نظر أسلوبية، بانه:(اكثر تمثيلا لوجهة نظر البلاغيين) على المنهج الفكري لعلم الاسلوب[٤٠٨]، وقد وضع هذا اللغوي، الذي نظر الى بلاغة القزويني نظرة جدية، مستبعدا ما شيع عن جفاف البلاغة على يديه؛ ليستنبط من اقواله ما يغني الدرس البلاغي الحديث، وهو الدكتور تمام حسان الذي فكّ شفرة تعريف القزويني للبلاغة، حين وضعها على طاولة التشريح، وعرضه لأدواته اللغوية لاستنباط مقصود القزويني منه، ومحاولة معالجته معالجة حداثية فخرج أن[٤٠٩]:

---

[٤٠٣] . الايضاح: ج٤ / ٤ .

[٤٠٤] . ينظر: البلاغة العربية، اسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حبنكة الميداني: ١٢٦. ١٢٧.

[٤٠٥] . الايضاح: ١/ ٤١.

[٤٠٦] . الايضاح: ١/ ٤٥.

[٤٠٧] . ينظر: مقاييس البلاغة بين الادباء والعلماء، د، حامد صالح خلف الربيعي: ٦١٩ .

[٤٠٨] . ينظر: مقالات في اللغة والادب: ١٦٦ .

[٤٠٩] . ينظر: المصدر نفسه: ١٦٦ ـ ١٦٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١ـ في قوله (إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة) اعتراف بالفرق بين القياس والانحراف.

٢. لكن البيان في رأي القزويني سابق على ايراد المعنى؛ أي أن الطرق ممهدة قبل الكلام لمن يختار أيها يسلك. اما في نظر علم الاسلوب ففكرتا التعدد والسبق غير واردتين إلا من خلال مفهوم الانحراف؛ وهو لا يعرف إلا بعد الاستقراء من النصّ الذي سبق في الوجود.

٣. إنّ القزويني يعلق وظيفة علم البيان بمفهوم "وضوح الدلالة"، مع أن الوضوح او "الإفادة" وهي من وظائف النحو والمناسبات بين حقول المعجم، أمّا على الأسلوب فيجعل الوضوح وجها من وجوه القياس الذي يكون عنه الانحراف إلى التعمية والألغاز.

٤ـ قول القزويني "بطرق مختلفة" يذكرنا بتقسيم دلالة اللفظ لدى البيانيين على النحو الآتي:

دلالة اللفظ: تقسم على وضعية(تسمى المطابقة)، وعقلية.

وهذه الدلالة العقلية تقسم على جزء المعنى(تضمنية)، وعلى لازم المعنى(لزومية). ثم يتساءل د. تمام حسان: هل يقصد صاحب الايضاح بالطرق المختلفة هذه الدلالات الثلاث او طرق التركيب التي تنم عن هذه الدلالات؟ او بعبارة أخرى: هل يرى القزويني هذه الطرق المختلفة طرقا للفظ او للمعنى؟ لان هذا غير واضح من كلامه، على أن تحديد هذه الطرق مقدما يضع قيودا على حرية المبدع الذي قد يكشف لنا عن طرق اخرى[٤١٠]، وتساؤلات الدكتور تمام حسان فيها ما يشعر بالمتعة الفكرية، والعقلية، على حدّ سواء؛ مما جرني الى متابعة تعريف القزويني للبيان، والنظر في ما طرح فيه فامكنني التوصل لنتائج أوجزتها بنقاط بحسب تساؤلات هذا العالم اللغوي، وهي:

١. في قول د. تمام حسان اعتراف باقتراب رؤية القزويني من خلال تعريفه، لعلم البيان، من وجهة نظر المنهج الأسلوبي؛ واستنتاج وجود اعتراف بالفرق بين القياس والانحراف، في قول القزويني:(إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة)، شيء يحتسب للقزويني في ضوء الدراسات البلاغية الحديثة.

٢ـ ربما يعدّ تعريف القزويني لعلم البيان ناقصا من وجهة نظر د. عبد الرحمن الميداني، وهي وجهة نظر تتوخى الشمولية في صياغة التعريف اصطلاحا؛ لكنني بعد

---

[٤١٠] . ينظر: مقالات في اللغة والادب: ١٦٦ . ١٦٧ .

www.manaraa.com

التتبع لكلام القزويني، الذي تلا التعريف، وجدت أنه أجاب عن بعض تساؤلات د. تمام حسان والذي عامل تعريف القزويني بما يتيح له منطق اللغة؛ مثال على ذلك قول القزويني في سياق كلامه عن الدلالات الثلاث(المطابقة، والتضمن، والالتزام)، وفي خصوص كلامه عن دلالة الالتزام:(ولا يشترط في هذا اللزوم ان يكون مما يثبته العقل، بل يكفي ان يكون مما يثبته المخاطب، اما لعرف او لغيره لإمكان الانتقال حينئذ من المفهوم الاصلي الى الخارج)[٤١١]، وفيه تعويض للنقص الذي وصف به التعريف؛ فالقزويني يجيب على د. عبد الرحمن الميداني . الذي رأى في تعريف الاول نقصا . بانه يمكن لعلم البيان ان يهتم بما في الطرق التي يبحثها من عناصر جمالية وابداعية، ويمكنه ان يهتم بتربية الذوق الفني لإدراك نسب الجمال والابداع، بدليل عدم تناسي القزويني لـ(اعتقاد المخاطب)، والذي يمكن له ان يتغير وفقا لمتغيرات يحدثها (العرف) او (غيره)، في قبالة (ما يثبته العقل) . على حد تعبير القزويني . ويمكننا بنظرة حداثية لمقصود القزويني ان نفهم معنى (ما يثبته العقل) بما يشبه مصطلح (القياس)؛ بدليل تصريح القزويني أن: (الانتقال) ممكن وفق هذه التغيرات من (المفهوم الاصلي) إلى(المفهوم الخارجي)، وقد يكون اعتقاد المخاطب المتأثر بالعرف او غيره . الذي سبق الاشارة اليه في كلام القزويني . يملي عليه ان يتقبل الانحراف الذي قد ينتج لإيصال صورة ابداعية ما، من الممكن ان يتأثر بها ذلك المخاطب، ويستجيب لها لدرجة أنه يمكن بوساطة علم البيان، إدراك الصور المبتذلة والصور المرذولة المحرومة من الإبداع أو من الجمال . على حدّ تعبير الدكتور عبد الرحمن حنبكة الميداني[٤١٢].

٣ـ أما فيما يخصّ رأي د. تمام حسان في تعليق القزويني علم البيان بمفهوم(وضوح الدلالة)، بعلة أن وضوح الدلالة أو الإفادة هي من وظائف النحو والمناسبات بين حقول المعجم، فليس متناهيا في الدقة؛ لأن مقصود القزويني من (وضوح الدلالة) هو (المعنى)، والمعنى يعدّ عاملا مشتركا بين البلاغة والدلالة، خاصة في علمي البيان والبديع، وهذا المعنى، او المعاني في كليهما تطرأ عليها تبدلات، او تغييرات تأخذ اشكالا عدة، ولها اسباب متنوعة في غاية الاهمية لعلمي الدلالة والبلاغة؛ باعتبار اهتمام علم البيان بالطرق التي يرد بها المعنى التي تختلف تبعا؛ لأسباب عدة منها: **الاجتماعية**

---

[٤١١] . الإيضاح: ٤/ ٩.

[٤١٢] . ينظر: البلاغة العربية ، اسسها وعلومها وفنونها: ١٢٦. ١٢٧.

www.manaraa.com

كالبحث عن استعارات اجتماعية، تؤدي إلى انتقال في إطارها الدلالي، أو **نفسية**؛ كالبحث عن التعبيرية في ظل المحرمات، والتوريات، والانفعالات، وحالات الابداع[٤١٣]، ولو افترضنا أن القزويني قد علق، وظيفة(علم البيان)، بمفهوم (وضوح الدلالة)، وأن الوضوح من وظائف علم النحو، الذي تكفل به علم المعاني، إلا أننا لا يمكن أن نغفل عن كون علمي (المعاني والبيان) يسيران في خطين متوازيين يتكاملان بالرغم من انهما لا يلتقيان[٤١٤]، كما ينبغي أن لا ننسى، حقيقة ما يمنحه علم النحو لعلم الدلالة من معطيات، تمنح التركيب أو النصّ هالة مشعة من الوضوح الدلالي.

وفي ضوء ما سبق من طرح، يمكن أن أجيب عن تساؤل د. تمام حسان، في أيهما يقصد القزويني بالطرق المختلفة؟ هل هي طرق للفظ او للمعنى؟، بانه يقصد طرقا لـ(المعنى)؛ بدليل قوله:(وما يحترز به عن التعقيد المعنوي، هو علم البيان...)[٤١٥] في اطار حديثه عن بلاغة المتكلم، وما دام مقصود القزويني في علم البيان هو البحث في ايراد المعنى الواحد، تتعلق بالمعنى؛ فلن يكون تحديد هذه الطرق يضع قيودا على حرية المبدع الذي قد يكشف لنا عن طرق اخرى.

قسم الخطيب القزويني، مباحث علم البيان على ثلاثة مباحث: التشبيه، والمجاز، والكناية[٤١٦].

التشبيه

عرف القزويني التشبيه بانه:(الدلالة على مشاركة امر لآخر في معنى ، وهو ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ، ولا الاستعارة بالكناية، ولا التجريد)[٤١٧]، وهو تعريف وصفه المحدثون أنه تعريف منطقي، وفق منهج شكلي كما وصف بانه أشمل من تعريف عبد القاهر؛ لكنه رغم هذا لا يمنع من دخول نحو: قاتل زيد عمرا، وجاءني زيد وعمرو مما جمع فيه بصيغة المشاركة، أو العطف، ولا يعد مثل ذلك من التشبيه؛ لخلوه من الوصف الجامع بين الطرفين[٤١٨]، وهذا التعريف وإن كان بسيطا الا انه يدل دلالة

---

(٤١٣) . ينظر: العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي عبد الواحد حسن الشيخ: ١٠، ١٥، ١٦.

(٤١٤) . ينظر: مقاييس البلاغة بين الادباء والعلماء: ٦١٨.

(٤١٥) . الايضاح: ١/ ٥٠.

(٤١٦) . ينظر: تاريخ البلاغة العربية:٣٠٦ .

(٤١٧) . الايضاح: ٤/ ١٦.

(٤١٨) . ينظر: فن التشبيه، علي الجندي: ٣٥.

www.manaraa.com

واضحة على التشبيه اكثر مما يدل كلام السكاكي عليه[٤١٩]، بينما لم يستفد المحدثون من تعريف عبد القاهر الجرجاني للتشبيه، فقد عرفه بقوله هو:(ان تثبت لهذا معنى من معاني ذاك او حكما من احكامه، كأثباتك للرجل شجاعة الاسد، وللحجة حكم النور في انك تفصل بها بين الحق والباطل، كما يفصل بالنور بين الاشياء)[٤٢٠]، فقد ذكر الأستاذ الدكتور بدوي طبانة معلقا على تعريف الجرجاني، بقوله:(وهذا التعريف يبين وظيفة التشبيه وعمله اكثر مما يدل على حقيقته وحده)[٤٢١].

ووافقه الرأي الدكتور احمد عبد السيد الصاوي بقوله:(ومن الملحوظ ان هذا التعريف يبين وظيفة التشبيه وعمله اكثر مما يدل على حقيقته وحده)[٤٢٢].

لكن الدكتور عبده عبد العزيز قلقيله يقف بجانب الجرجاني ويصف كلامه عن التشبيه بانه تعريف جيد له؛ اذ ان الجرجاني لم ينص فيه على الاداة ، لكن الاداة ركن من اركان التشبيه، وليست طرفا فيه، وهي لهذا تذكر او تقدر، وتقديرها افضل من ذكرها بلاغة[٤٢٣]، وقد حصر القزويني دراسته للتشبيه في(أركانه وهي: طرفاه ووجهه واداته وفي الغرض منه، وفي أقسامه[٤٢٤]، وهو لا يختلف عن تقسيم السكاكي له وان كان اكثر لباقة منه في العرض والتحليل[٤٢٥]. وقد تحدث القزويني عن التشبيه بتفصيل، وتأثر بعبد القاهر الجرجاني والزمخشري وسار على طريقة السكاكي وبحث قضايا التشبيه بحثا واسعا، حيث تأثر به كل من جاء بعده، وسار على طريقته[٤٢٦]، الا ان تقسيمات القزويني للتشبيه كانت عقلية جافة، لم تتعمق الاثر النفسي للتشبيه القرآني[٤٢٧] في رأي د. يوسف ابو العدوس.

المهم في الأمر إن طريقة القزويني في التأليف البلاغي ليست متابعة لبلاغة الزمخشري أو السكاكي أو غيره ممن سبقه؛ بل يمكن تلمس أثره البلاغي في كثير من

---

[٤١٩] . ينظر: البلاغة عند السكاكي: ٣١١.

[٤٢٠] . أسرار البلاغة: ٧٨ ـ ٧٩ .

[٤٢١] . ينظر: علم البيان:٤٣.

[٤٢٢] . ينظر: فنّ الاستعارة، احمد عبد السيد الصاوي: ١٩٤.

[٤٢٣] . ينظر: البلاغة الاصطلاحية: ٣٧ .

[٤٢٤] . ينظر: التلخيص: ٢٤٣، والايضاح: ٤/ ٢٩.

[٤٢٥] . ينظر: القزويني وشروح التلخيص:٣٣٢ .

[٤٢٦] .ينظر: التشبيه والاستعارة منظور مستأنف: ٣٨ .

[٤٢٧] . المصدر نفسه: ٣٨ .

www.manaraa.com

المواضع البلاغية، فضلا عن أنه عندما جاء أخذ تعريف السكاكي للتشبيه ولملم أطرافه وضغط حواشيه[٤٢٨]، وعرضه بصورة تبدو ايسر كثيرا مما عرضه السكاكي[٤٢٩]، والذي لم يعرف[٤٣٠] التشبيه اصطلاحا بل قال فيه:(التشبيه مستدع طرفين: مشبها ومشبها به، واشتراكا بينهما من وجه وافتراق من آخر. مثل ان يشتركا حقيقة ويختلفان في الصفة او بالعكس، فالأول كالإنسانين اذا اختلفا طولا وقصرا، والثاني كالطويلين اذا اختلفا حقيقة: انسانا وفرسا.....)[٤٣١]، وهي طريقة في الكلام وصفت أنها معقدة وملتوية، وخالية من المسحة الادبية[٤٣٢].

والدارسون المحدثون للبلاغة مرة ينتقدون طريقة القدماء في التحديد؛ بسبب دخول طريقة المناطقة فيها الذي اطلقوا عليه (المنهج الشكلي)، كما هو في بلاغة السكاكي والقزويني، على الرغم من اعترافهم بدقة ذلك التحديد، وشموليته في اهم مباحث علوم البلاغة الثلاث، كما يرى د. احمد مطلوب مثلا في تعريف القزويني للتشبيه في كتابه (البلاغة والتطبيق)، وكتابه(البلاغة عند القزويني)، و د.علي الجندي في كتابه (فن التشبيه)، في حين انهم يمتدحون (المنهج التحليلي) الذي عرف عن الجرجاني في بحثه للبلاغة، على الرغم من اعترافهم أن دراسة القزويني اشمل من دراسة الجرجاني التي ذكرها بلاغيونا القدماء و أفاضوا فيها, وقد اقتصرت على بعض التعريفات والملاحظات المتعلقة بالتشبيه عند القزويني دون الأخرى رغم أهميتها تجنبا للإسهاب, واقتصرت على ما أثار رأيا عند البلاغيين المحدثين الذين يميلون إلى ضرورة تقليل المصطلحات البلاغية والاكتفاء بأهمها وأدلها على الأساليب العربية[٤٣٣].

فمثلا د. رجاء عيد في كتابه فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ينتقد ظاهرة(الجدل البلاغي) لدى البلاغيين القدماء في معالجة النصوص؛ فيثير مسألة خلطهم وجدلهم البعيد عن معالجة هذه النصوص أو تحليل الصور التشبيهية واضطرابهم في

---

[٤٢٨] : ينظر: البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب: ٢٦٥.

[٤٢٩] . ينظر: المنهج البلاغي عند الجرجاني والقزويني في كتابيهما الاسرار والتلخيص، حيدر حسين عبيد : ١٠١.

[٤٣٠] . مفتاح العلوم: ٥٥٨.

[٤٣١] . ينظر: الايضاح ٤/٥.

[٤٣٢] . ينظر: المنهج البلاغي عند الجرجاني والقزويني في كتابيهما الاسرار والتلخيص: ١٠١.

[٤٣٣] . ينظر: جهود الدكتور أحمد مطلوب في تجديد البلاغة العربية: ٤٩١، مجلة القادسية، كلية الآداب، المجلد(١٦) العدد(٣).

www.manaraa.com

التفرقة بين الصورة التشبيهية والصورة الاستعارية[٤٣٤]، وكان من ضمن انتقاداته، متابعة القزويني للسكاكي في: أن شرط الاستعارة؛ إمكان حمل الكلام على الحقيقة في الظاهر وتناسي التشبيه، ويصوب الدكتور رجاء عيد هذا المفهوم أنه يجعل البناء الاستعاري بعيدا عن سبيله الذي هو لصيق به.

الحقيقة والمجاز

عرف القزويني الحقيقة التي قيدها باللغوية[٤٣٥]، قبل أن يعرف المجاز؛ لأنها الأصل الذي ينطلق منه الانتقال إلى المجاز في الكلام، وهي عنده:(الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب)[٤٣٦]، بينما عرفها السكاكي قبله أنها:(الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأول في الوضع، كاستعمال الاسد في الهيكل المخصوص)[٤٣٧]، واللافت في التعريفين إن تعريف القزويني أكثر وضوحا ودلالة في رأيي المتواضع؛ لأنه وضع فيه حسابا للاصطلاح ولغة التخاطب؛ فمن الواضح أن التفرقة بين الحقيقة والمجاز في اللغة ليست أمرا ميسورا؛ لأن دلالات الالفاظ في اللغة متغيرة، وقد يكون استعمال الكلمة مجازيا ثم يشيع ويصبح مألوفا فيتحول الى استعمال حقيقي، والاقرب الاعتماد على العرف السائد والاستعمال العام للكلمة[٤٣٨]، وتقسم **الحقيقة** على: حقيقة لغوية وعقلية، لكن القزويني لم يجمع الكلام عنهما في موضع واحد فبحث(الحقيقة العقلية) في باب(علم المعاني) وكذلك(المجاز العقلي) بينما بحث (الحقيقة اللغوية) و(المجاز اللغوي) في باب (علم البيان)، ويعد هذا من أهم الاختلافات التي حصلت بين السكاكي والقزويني؛ مردها الى اعتقاد القزويني أن المسمى بالحقيقة والمجاز العقلي هو (الإسناد) لا (الكلام) بعكس السكاكي الذي يرى أن المسمى بهما (الكلام) لا (الإسناد)[٤٣٩]، ويرى صاحب البيان العربي أن لا وجه لما ذهب اليه القزويني من إيراده

---

[٤٣٤] . ينظر: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ٢٩٢.

[٤٣٥] . الايضاح: ٤/٥

[٤٣٦] . المصدر نفسه:٥/ ٤ .

[٤٣٧] . المفتاح: ٥٨٨.

[٤٣٨] . ينظر: في البلاغة العربية، علم البيان، محمد مصطفى هدارة: ٥٠.

[٤٣٩] . ينظر: البلاغة عند السكاكي: ٣٨٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المجاز العقلي في باب علم المعاني بعلة دخوله في تعريف علم المعاني دون تعريف علم البيان[٤٤٠].

الحقيقة اللغوية او اللفظية عند القزويني هي:(الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب، واستعمال القزويني لهذه المصطلحات في التعريف محسوب؛ لأنه اعطى أسبابا لاستعماله الواحدة منها دون غيرها من المصطلحات مثل:

١ . استعماله مصطلح (الكلمة المستعملة) فكان ؛ للاحتراز عما لم يستعمل، لان الكلمة في نظر القزويني حتى لو كانت موضوعة ، ولم تستعمل فلا تسمى حقيقة ولا مجاز[٤٤١].

٢. استعماله، مصطلح، (فيما وضعت له) ؛ للاحتراز عن شيئين:

الاول: (الغلط)، اي ما استعمل في غير ما وضعت له غلطا، نحو: قولك لصاحبك(خذ هذا الكتاب) مشيرا إلى كتاب بين يديك فغلطت فقلت خذ هذا الفرس[٤٤٢]، وقد مثل أحد المحدثين لكلام القزويني هذا باستبدال لفظة (الفرس) بلفظة (المسطرة)؛ سعيا لإحياء التراث بصورة تتوافق وروح العصر والقارئ[٤٤٣].

الثاني: (المجاز) الذي لم يستعمل فيما وضع له لا في اصطلاح التخاطب ولا في غيره كالأسد المستعمل في الرجل الشجاع[٤٤٤]؛ علل احتراز القزويني هذا أحد المحدثين أن الاستعارة، وإن كانت موضوعة فوضعها تأويلي لا تحقيقي أي يحتاج الى قرينة، والمفهوم من اطلاق الوضع التحقيقي وهو ما كانت الدلالة فيه بنفسه لا بقرينة[٤٤٥].

٣. قوله:(اصطلاح به التخاطب)؛ احترازا منه في التعريف عن القسم الآخر من المجاز المستعمل فيما وضع له في اصطلاح آخر غير الاصطلاح الذي وقع فيه التخاطب، كلفظ (الصلاة) يستعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازا[٤٤٦]، وكالزكاة إذا استعملها الشرعي في النماء؛ فإنها تكون مجازا؛ ولكونها لفظا استعمل في غير ما

---

[٤٤٠] . ينظر: البيان العربي: ٢٨٧.

[٤٤١] . ينظر: الايضاح: ٥/٥.

[٤٤٢] . ينظر: المصدر نفسه: ٥/٥

[٤٤٣] . ينظر: علوم البلاغة، البيان المعاني والبديع: ٢٠٨.

[٤٤٤] . ينظر: الايضاح: ٥/٥ .

[٤٤٥] . ينظر: علوم البلاغة، البيان المعاني البديع: ٢٠٩.

[٤٤٦] . ينظر: الايضاح: ٦/٥.

www.manaraa.com

وضع له في اصطلاح الشرع وهو الجزء المخصوص الذي يؤخذ من المال ويعطى للسائل والمحروم؛ وان كان مستعملا فيما وضع له في اصطلاح اللغة فلولا هذا القيد لتناول تعريف الحقيقة هذا المجاز[٤٤٧].

وأما الحقيقة العقلية فهي:(إسناد الفعل او ما في معناه الى صاحبه الحقيقي عند المتكلم في الظاهر)[٤٤٨].والمراد من (الإسناد): النسبة الحاصلة من ضمّ الفعل لما هو له، سواء كانت النسبة انشائية او خبرية، والمراد من الفعل: لفظ الفعل الاصطلاحي. والمراد من قوله:(او ما في معناه) اسناد لفظ دال على معنى الفعل كالمصدر واسم الفاعل، واسم المفعول....، نحو قوله تعالى: چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ [٤٤٩]، فكل من الفعل(ينزل) و(يعلم) مسند الى فاعله الحقيقي وهو الله[٤٥٠].

المجاز

خالف القزويني السكاكي في تقسيمه للمجاز، وقسمه على: مجاز مفرد ومجاز مركب [٤٥١]. وعرّف المجاز المفرد: بانه الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم ارادته[٤٥٢]. ويتحفظ القزويني في صياغته لتعريف المجاز في اختيار المصطلحات؛ اذ علل استعماله لبعض الكلمات دون غيرها لاعتباراتٍ، هي:

١. قوله عن المجاز المفرد بانه:(الكلمة المستعملة)؛ احترازا منه عما لم يستعمل؛ لان الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى مجازا كما لا تسمى حقيقة[٤٥٣]، اي انه: استعمال الكلمة في غير ما وضعت له مع قرينة تدل على عدم ارادة معناها الاصلي، ويرى د. تمام حسان: بان القضية ليست قضية "وضع" ولا "أصل"، وانما يعود الامر الى المعنى المعجمي السائد في عصر ما. وهذا المعنى المعجمي هو العلاقة العرفية بين اللفظ والشيء، وهي عرفية لان المجتمع يعرفها ويتعارف عليها، فهي جزء من وعيه

---

[٤٤٧] . ينظر: علوم البلاغة، البيان المعاني البديع : ٢٠٩ .

[٤٤٨] . ينظر: أساليب البيان في القرآن: ٣٨ ، وعلوم البلاغة: ٢٠٩ .

[٤٤٩] . لقمان: ٣٤

[٤٥٠] . ينظر: اساليب البيان في القرآن: ٣٨٠ .

[٤٥١] . الايضاح: ٥/ ١٢ .

[٤٥٢] . الإيضاح: ١٢/٥ .

[٤٥٣] . الايضاح: ٥/ ١٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المشترك[٤٥٤]. ويبقى بعد ذلك ان نعرف ان المجاز ينتمي الى ظاهرة "النقل" التي تعدّ جزءا مهما من طاقة اللغة ومن وسائلها التعبيرية، وظاهرة النقل هذه ذات تطبيقات نحوية ومعجمية ـ فأما النحو فقد اعترف النحاة بها في كلامهم عن الاعلام المنقولة، وفي نقل التمييز عن الفاعل او المفعول، وفي الفاعل او الحال يسد مسد الخبر، وفي " يا" النداء تقوم مقام " ادعو" ، لكنّ الأمر أوسع مما فطن النحاة اليه[٤٥٥]، أما في المعجم فالنقل وسيلة المجاز بل إن لفظ "المجاز" نفسه مصدر ميمي معناه "الانتقال"[٤٥٦]، و يرى النقاد المحدثون الاعتماد على الانطباع الذي تتركه الكلمة في النفس من الاحساس بالدهشة ازاءها فضلا عن الاعتماد على العرف السائد والاستعمال العام للكلمة، فكأن (المجاز) في (علم الدلالة الحديث) نوع من التغيير الدلالي فهو لا يتسم بالثبات، بل يرتبط بالمكان والزمان[٤٥٧].

٢ـ قوله (في اصطلاح به التخاطب)احترازا منه لإدخال نحو لفظ(الصلاة) اذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازا، فانه وان كان مستعملا فيما وضع له في الجملة؛ فليس فيما وضع له في الاصطلاح الذي به وقع التخاطب[٤٥٨]، اي أن لفظ(الصلاة) يمكن أن يكون حقيقة شرعية، ويمكن ان تكون مجازا شرعيا.

٣. قوله:(على وجه يصح) احترازا منه عن الغلط اللساني[٤٥٩].

٤. قوله: (مع قرينة عدم ارادته)؛ اخراجا منه للكناية عن المجاز[٤٦٠] .

ومما لا يخفى ان القزويني قد نظم بحث (المجاز)، مستفيدا من آراء من سبقه مع ما جادت به افكاره، فأخرجه لنا بهذه الصورة بعد ان كان مجرد عنوان في كتب المتقدمين في بدايته كـ(مجاز القرآن) لأبي عبيدة، اذ لم يعنِ به (المجاز) بالمعنى الاصطلاحي البلاغي؛ إذ تنبه ابن تيمية لذلك في كتاب (الايمان) فقال:(اول من عرف انه تكلم

---

[٤٥٤] . ينظر: مقالات في اللغة والادب: ١٦٨ .

[٤٥٥] . ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان: ٢٢٣، ومقالات في اللغة والادب: ١٦٨ .

[٤٥٦] . ينظر: المصدر نفسه.

[٤٥٧] . ينظر: في البلاغة العربية: ٥٠.

[٤٥٨] . ينظر: الايضاح: ١٣/٥.

[٤٥٩] . ينظر: المصدر نفسه: ١٣/٥.

[٤٦٠] . ينظر: المصدر نفسه: ١٣/٥.

www.manaraa.com

بالمجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه؛ ولكنه لم يعنِ بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية)[٤٦١].

قسم القزويني المجاز على: لغوي وشرعي وعرفي[٤٦٢]، مثل تقسيمه للحقيقة على: لغوية وشرعية وعرفية خاصة او عامة، وقسم المجاز المفرد الى: مجاز مرسل، واستعارة. ويعلق د. تمام حسان في ضوء كلام القزويني على المجاز بقوله: بما ان المجاز مصدر ميمي معناه الانتقال، فالسؤال الان عن ماهية هذا الانتقال؛ اذ لم يوضح البلاغيون ماهية النقل في المجاز، وانما اكتفوا بالإشارة الى "العلاقة" و"القرينة"، دون إيضاح لطبيعة العلاقة من الناحية النظرية[٤٦٣].

اما علاقات المجاز المرسل فعنده: الجزئية، والكلية، والسببية، والمسببية، وتسمية الشيء باسم ما كان عليه، وتسمية الشيء باسم ما يؤول اليه، والمحلية، والحالية، والالية[٤٦٤]، لكن هذا التعريف وهذه التقسيمات لم تغب عن نظر المحدثين؛ اذ يعدون كل علاقة من العلاقات السابقة لا ارتباط بينها وبين العرف؛ لأن الذي ينشؤها هو المتكلم او الكاتب، ولولا القرينة بالنسبة لبعضها لأصبح المعنى في بطن الشاعر[٤٦٥].

الاستعارة

حظيت الاستعارة باهتمام الفلاسفة، والمناطقة، والبلاغيين، والنقاد على اختلاف مشاربهم لذلك ظهرت تصنيفات وتقسيمات متعددة لها، تعكس في جلها التوجهات المعرفية التي يستند اليها هؤلاء العلماء في بحثهم الاستعارة، وقد أوصلها بعضهم الى سبعة وثلاثين قسما[٤٦٦]؛ لذلك مرّ تعريف الاستعارة بصور متعددة منذ الجاحظ، وحتى وصل الى مرحلة البلاغة في عهد الشيخ الجرجاني، الذي عرفها أنها:(أن تريد تشبيه الشيء

---

[٤٦١] . في البلاغة العربية: ٥٠.

[٤٦٢] . الايضاح: مج ٢/ ١٤ .

[٤٦٣] . ينظر: مقالات في اللغة والادب:١٦٩ .

[٤٦٤] . الايضاح: ٣/ ٢٥ ـ ٣٤ .

[٤٦٥] . ينظر: مقالات في اللغة والادب: ١٦٩ .

[٤٦٦] . ينظر: التشبيه والاستعارة منظور مستأنف، يوسف ابو العدوس: ١٣٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالشيء، وتظهره وتجيء الى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه)[٤٦٧]، ثم مرت بمراحل أخرى بعد الجرجاني، مرورا بالرازي حتى وصلت الى السكاكي، وكان قد عرفها بقوله:(هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الاخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به)[٤٦٨]، الى ان انتهت الى القزويني، وقد تابع السكاكي في اخراجه للاستعارة من البديع وادخالها في علم البيان، وهذا ما يميل اليه الدكتور محمد مندور معللا ذلك بقوله:(الاستعارة امر اصيل في الشعر، بل نكاد نقول انها خيوط نسجه وهي منه كالنحو من اللغة[٤٦٩].

عرف القزويني الاستعارة، بقوله: (ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له)[٤٧٠]، وهي اما حسية او عقلية. والملاحظ على تعريف القزويني انه شرح لتعريف عبد القاهر الجرجاني، وكذلك تعريف السكاكي، و يضيف القزويني قيدا في تعريف الاستعارة، ذلك انها تقيد بالتحقيقية لتحقق معناها حسا او عقلا[٤٧١].

أما الحسّي[٤٧٢] عند القزويني فكقولك: رأيت أسدا وأنت تريد رجلا شجاعا، وعليه قول الشاعر زهير:

لدى أسدٍ شاكي السلاح مقذّفٍ له لبدٌ، أظفاره لم تقلمِ[٤٧٣]

ويتبع القزويني بعد هذا الشاهد بقوله:(ومن لطيف هذا الضرب ما يقع التشبيه فيه بالحركات)[٤٧٤]، وكقول أبي دلامة يصف بغلته:

أرى الشهباء تعجنُ إذ غدونا برجليها وتخبز باليمينِ[٤٧٥]

---

[٤٦٧] . دلائل الاعجاز: ٦٧.

[٤٦٨] . المفتاح: ٥٩٩.

[٤٦٩] . ينظر: النقد المنهجي عند العرب ، محمد مندور: ٥١، والمنهج البلاغي عند الجرجاني والقزويني: ١٥٥.

[٤٧٠] . الايضاح: ٥/ ٣٧.

[٤٧١] . ينظر: مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، أحمد عبد السيد الصاوي: ١٦٩.

[٤٧٢] . الايضاح: ٣٨/٥.

[٤٧٣] . ينظر: ديوان زهير بن ابي سلمى: ٢٤٣، شرح المعلقات السبع للزوزني: ١٤٨.

[٤٧٤] . الايضاح: ٢٨/٥.

[٤٧٥] . ينظر: ربيع الابرار للزمخشري: ٤٩٥/١، وفيها نسبه الى عباد بن شبل الصنعاني، وتخبز مكان تعجن، واليدين مكان اليمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما العقلي[٤٧٦]: فكقولك:(أبديت نورا) وأنت تريد حجة، فإن الحجة مما يدرك بالعقل من غير وساطة حس، اذا المفهوم من الالفاظ وهو الذي ينور القلب ويكشف عن الحق لا الالفاظ انفسها، وعليه قوله عز وجل:چ ٹ ٹ ٹ ڤ چ[٤٧٧].

وكلام القزويني في الاستعارة الحسية والعقلية، فيه ملمحا أسلوبيا سأشير اليه في فصل (الملامح الاسلوبية في بلاغة القزويني).

جزم القزويني أن الاستعارة مجاز لغوي لا عقلي، بدليل كونها موضوعة للمشبه به، لا للمشبه، ولا لأمر منهما كـ(الاسد) فانه موضوع للسبع المخصوص، لا للرجل الشجاع، ولا للشجاع مطلقا، لأنه لو كان موضوعا لاحدهما لكان استعماله في الرجل من جهة التحقيق، لا من جهة التشبيه، وايضا لو كان موضوعا للشجاع مطلقا لكان وصفا لا اسم جنس[٤٧٨]، لكن د. أحمد مطلوب في كتابه:(القزويني وشروح التلخيص)، يعلق على رأي القزويني هذا بانه يتابع السكاكي في ذلك، منكرا أن يكون له او لأستاذه ان يروا غير هذا؛ لان السكاكي انكر المجاز العقلي، ونظمه في سلك الاستعارة بالكناية، وليس عنده الا المجاز اللغوي، وبحث القزويني العقلي في الاسناد، ولم يدخله في علم البيان، ولم يبق الا المجاز اللغوي فعد الاستعارة منه[٤٧٩].

وبعد حلقة نقاش[٤٨٠] دارت عبر تلك المسافات الزمنية، بين القزويني والسكاكي والشيخ عبد القاهر الجرجاني وآخرين في كتاب(الايضاح)، حول مسألة كون الاستعارة مجازا لغويا على رأي القزويني، أم مجازا عقليا كما عند الجرجاني، الذي تردد عنده بين كونها مجازا لغويا تارة وبين كونها مجازا عقليا تارة أخرى[٤٨١]، فمال في كتابه (دلائل الاعجاز) إلى أنها مجاز عقلي أو هي اقرب اليه؛ لأنها ليست(نقل اسم عن شيء الى شيء ولكنها ادعاء معنى الاسم لشيء)[٤٨٢]، ونصره في (الاسرار) بانه: لغوي[٤٨٣]؛ مما يدل على اضطراب في رأيه. لا يرى د. احمد مطلوب في تلك التعليلات التي جاء بها

---

[٤٧٦] . ينظر: الايضاح: ٥/ ٤٠.

[٤٧٧] . الفاتحة: ٦.

[٤٧٨] . ينظر: الايضاح: ٥/٥١، ٥٢.

[٤٧٩] . ينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٣٨٢.

[٤٨٠] . ينظر: الايضاح: ٥/ ٥١. ٥٩.

[٤٨١] . المفتاح: ٦٠٢.

[٤٨٢] . دلائل الاعجاز: ٣٣٥.

[٤٨٣] . ينظر: نهاية الايجاز: ٨٤.، وينظر: فنون بلاغية: ١٢٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القزويني ، ومناقشته لآراء الذين سبقوه فيها، فائدة في فهم الاستعارة، وتذوقها، وانه كان عليهما. القزويني والسكاكي . ان يبتعدا عن هذا التمحّل والإغراق في التأويل؛ لان الاستعارة في رأيه سواء اكانت مجازا لغويا ام عقليا فإنها تورث الكلام حسنا وجمالا، وتضفي على الادب خيالا وصورا رائعة[٤٨٤]؛ إلا أن صاحب كتاب (القزويني وشروح التلخيص) لم ينصف القزويني، في بعض اعتراضه على تفصيلاته في الاستعارة؛ ولم يصرح أن ما ذكره بعد هذا الاعتراض، في أن حقيقة كون الاديب لا يقع في ورطة الكذب إن استعمل الاستعارة؛ إذا فارقته من وجهين:

الاول . بناء الدعوى فيها على التأويل.

والثاني . نصب القرينة على ان المراد بها خلاف ظاهرها[٤٨٥]، هي احدى آراء القزويني نفسه، والتي تقع ضمن ما وصفه الدكتور أحمد مطلوب، بتمحلات القزويني في تحليلاته للاستعارة، علما ان القزويني قد افرد لها محلا في بحثه للاستعارة[٤٨٦]. فكيف يصف الدكتور احمد مطلوب مثل هذا بالتمحّل، الذي لا فائدة منه في فهم الاستعارة . من وجهة نظره . ثم يستخدمه ليدعم دعواه في ان الاديب لا يقع في صورة الكاذب، حين يستعمل فنّ الاستعارة في أدبه؛ إذا توفر ما نقله القزويني من وجهين في عدم تحقق الكذب في الاستعارة ، وان النتيجة انهما يمنحان القوة في التعبير والتأثير العظيم كما يقول الدكتور مطلوب[٤٨٧]؟!. فليس فيما نقله القزويني من تحليلات وتفصيلات في باب الاستعارة، أي اغراق أو تمحّل كما وصفه د. أحمد مطلوب؛ لأسبابٍ منها:

اولا. إن في منهج القزويني في باب (الاستعارة)، ونحوه الى التفصيل والتحليل في مادتها الاصطلاحية، ما يعطينا انعكاسا ايجابيا في قبالة ما شاع عن قطاعات التأليف في النقد العربي، كقطاع التأليف البلاغي، من سيطرة الانطباع والعفوية في مجالات التأليف العربي[٤٨٨].

ثانيا- لو نظرنا الى هذه التحليلات والتفصيلات في بلاغة القزويني بنظرة واعية ومنفتحة، وبعيدة عن تلك الرؤية السلبية لبلاغة المتكلمين والمناطقة ؛ لادركنا ان بحث

---

[٤٨٤] . ينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٣٨٤.

[٤٨٥] . ينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٣٨٤.

[٤٨٦] . ينظر: الايضاح: ٥/ ٥٨.

[٤٨٧] . ينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٣٨٤.

[٤٨٨] . ينظر: من آفاق الفكر البلاغي: ٨١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستعارة عند القزويني يمكن ان يكون، نقطة انطلاق لدراسات بلاغية حديثة حول فن الاستعارة ومفهومها، ومن منظور يختلف عن طبيعة البحث في الاستعارة التي لم تتجاوز تعريفاتها الاصطلاحية عند القدماء وآراء بعض المحدثين فيها، ومن هذه الدراسات، دراسة اعتمدت، اربعة مداخل للاستعارة:(المدخل النحوي، والمدخل الفلسفي، والمدخل الانثربولوجي، ثم المدخل الجشتالي)، وتميز في هذه الدراسة مبحث(المدخل النحوي للاستعارة)، والتي بينت اهتمام الدارسين بالاستعارة باعتماد التركيب النحوي الذي تصنف الاستعارة بحسبه، لدى معظم الدارسين المحدثين الى: الاستعارة في الاسماء، والاستعارة في الافعال، واستعارة في الحروف[٤٨٩].

ولو سألت ما العلاقة بين مثل هذه التصنيفات، وبين التحليلات والتفصيلات التي جاء بها القزويني في باب الاستعارة؟ فجوابي: ان بحث القزويني الذي اتهم بانه تمحل واغراق ولا فائدة فيه في بحث الاستعارة، هو في الحقيقة: قواعد اصولية لفن الاستعارة، التي يستند اليها الباحث البلاغي المحدث، في دراسته لفن كهذا. فالمحدث حين يحاول فهم الاستعارة بمقتضى التركيب النحوي والدلالي مثلا، فانه يعرفها اولا أنها: (اختيار معجمي تقترن بمقتضاه كلمتان في مركب لفظي(COLLOCATION) اقترانا دلاليا ينطوي على تعارض او عدم انسجام منطقي. يتولد عنه بالضرورة مفارقة دلالية من مفاجئة للمتلقي بمخالفتها الاختيار المنطقي للتوقع، ويتمثل جوهر المفارقة الدلالية في نقل الخواص(FEATURE TRANSFER) من أحد عنصري المركب اللفظي الى العنصر الاخر... ويتخذ المركب اللفظي(COLLOCATION)، في التركيب اللغوي شكل مركب نحوي (COLLIGATION) وبذلك يكون مركبا نحويا قابلا للتحليل[٤٩٠]، وهذا (التعارض) أو(عدم الانسجام المنطقي) الذي تقوم على أساسه الاستعارة من مدخل تركيبي او نحوي، لا يكتمل فيه عنصر المفاجأة للمتلقي اذا جاء وفق الاختيار(المنطقي) للاستعارة، الذي بحثه البلاغيون مثل القزويني، في بحث الاستعارة؛ لذلك من الغبن ان نصف البحث المفصل في احوال المستعار والمستعار منه، والعلاقة بينهما، وبالأخص، ما حام حوله تعريف القزويني للاستعارة (بما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له)[٤٩١]، إغراقا

---

[٤٨٩] . ينظر: التشبيه والاستعارة منظور مستأنف: ١٣٩.

[٤٩٠] .ينظر: التشبيه والاستعارة منظور مستأنف: ١٣٩، وينظر: في النصّ الادبي: دراسة اسلوبية احصائية: ١٨٧.

[٤٩١] . الايضاح: ٥/ ٣٧.

www.manaraa.com

وتمحلا بحق الاستعارة؛ فكيف للباحث البلاغي عموما والناقد الادبي خصوصا، ان يدرك تلك المفارقات التي يحدثها المبدع في النص، باستعماله فنّ الاستعارة ومن منظور مستأنف، اذا لم يكن متفقها بأصول الاستعارة التي انتهى البحث فيها عند القزويني!!. ذلك الفقه الذي استنتج منه الجاحظ :(للعرب اقدام على الكلام ثقة بفهم أصحابهم عنهم، وتابعه فيه الثعالبي في (فقه اللغة)، وطورها ابن جني وأحكم الربط بينها وبين الانحراف عن النمط المألوف، في حديثه عن(شجاعة العربية) التي يندرج كثير من مظاهرها ضمن المجاز)[٤٩٢]، والدارس الموضوعي . كما وصفه أحد المنصفين للبلاغة القديمة . يمكنه من خلال هذه الاسس النظرية لبحث المجاز في الدراسات العربية القديمة، القول إنها تكاد تتلاقى وأسس الدراسة الحديثة في مبحث الدلالة[٤٩٣]، فضلا عن كون التحديد عند أصحاب الاتجاه البلاغي . في رأي احد المحدثين . لم يكن وليد نزعة الى الجمود والعقم كما اشيع عنه كثيرا، بقدر ما كان صادرا عن رغبة واعية في الوصول الى أسس موضوعية يحتكم اليها الناقد في تعامله مع النص الادبي[٤٩٤]. وهذا ما يجعل عملية النقد خالصة وبريئة من سيطرة الانطباع والمعايير الاخلاقية، والنفسية التي يسعى مجددوا البلاغة إلى استبدالها بالقواعد البلاغية القديمة.

لم يفتِ الباحثين اهتمام الخطيب القزويني بقرينة الاستعارة، وقد عرض لها بالتفصيل، وهي التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، وهي عنده إما أمر واحد او أكثر او معانٍ ملتئمة، مع التمثيل لكل نوع[٤٩٥]، ويقسم القزويني الاستعارة باعتبار الطرفين الى وفاقية، وعنادية؛ فالوفاقية هي ما أمكن الجمع بين طرفيها، كما في قوله تعالى چ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ چ[٤٩٦]، اي ضالا فهديناه، والهداية والحياة لا شكّ في جواز اجتماعهما في شيء واحد[٤٩٧]، والعنادية: وهي ما لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد، وفي آن واحد،

---

[٤٩٢] . ينظر: البلاغة والاسلوبية: ٧٣، و نظرية اللغة في النقد العربي، عبد الحكيم راضي: ٢٣٤

[٤٩٣] . ينظر: المصدر نفسه: ٧٣.

[٤٩٤] . ينظر: من آفاق الفكر البلاغي: ١١٣.

[٤٩٥] . ينظر: الايضاح: ٥/ ٦٠، وتاريخ البلاغة العربية: ٣٠٧ .

[٤٩٦] . الأنعام: ١٢٢

[٤٩٧] . الايضاح: ج ٥/ ٦٥ .

www.manaraa.com

ومنها التهكمية والملحية، وهما ما استعمل في ضده او نقيضه كقوله تعالى: چ □ □ □ چ)[٤٩٨].

وتقسم الاستعارة عند القزويني بحسب الجامع (الوجه) الى قسمين:

الاول . اما ان يكون الوجه داخلا في مفهوم الطرفين نحو قوله تعالى چ گ گ ں ں چ [٤٩٩]، فان القطع موضوع لإزالة الاتصال بين الاجسام التي بعضها يتصل ببعض، فالجامع بينهما ازالة الاجتماع التي هي داخلة في مفهومها، وهي في القطع أشد[٥٠٠].

والثاني . ما يكون الجامع فيه غير داخل في مفهوم الطرفين كقولك رأيت شمسا وتريد انسانا يتهلهل وجهه[٥٠١]. وتنقسم ايضا بحسب الجامع ايضا الى (عامية)، وهي المبتذلة؛ لظهور الجامع فيها[٥٠٢] و(خاصية) وهي الغريبة[٥٠٣].

قسم القزويني الاستعارة، بحسب اللفظ على (اصلية وتبعية) وتختص الاولى باسم الجنس، والثانية بالأفعال والصفات المشتقة منها والحروف[٥٠٤]، كما قسمها بحسب الطرفين والجامع على ستة اقسام[٥٠٥]، سأعرض عن ذكرها؛ لأنها لا تمثل محورا يخصّ بحثي في مصطلحات البلاغة عند القزويني، علما أن احد الباحثين في بلاغة القزويني يبدو له أن هذه الاقسام الستة إن كانت ذات جدوى ففي دراسة (التشبيه) لا في(الاستعارة)، إذ إن هذه الاقسام كأنها تحيل الاستعارة تشبيها، فتجعلنا ننظر في طرفيه ثم ننتقل الى معرفة الجامع، والاولى . في رأي هذا الباحث . أن نبدأ من الجامع ثم ننطلق في تحليل (الاستعارة)[٥٠٦]. واقتراحه هذا نقد لمنهج القزويني في بحثه اقسام الاستعارة بحسب طرفيها والجامع، لكنه في الوقت نفسه، يصرح بما تفرد به القزويني بتقسيم الاستعارة بحسب

---

(٤٩٨) . ينظر: مفهوم الاستعارة: ١٧٢ .

(٤٩٩) . الأعراف: ١٦٨

(٥٠٠) . الايضاح: ج٥/ ٦٧ . ٦٨ ،وينظر: مفهوم الاستعارة: ١٧٢ .

(٥٠١) .الايضاح: ج٥/ ٦٩ .

(٥٠٢) . ينظر: المنهج البلاغي عند الجرجاني والقزويني: ١٠٨.

(٥٠٣) . ينظر: المصدر نفسه: ١٠٨.

(٥٠٤) . ينظر: الايضاح: ٥/ ٨٢.

(٥٠٥) . ينظر: الايضاح: ٥/ ٧٦.

(٥٠٦) . ينظر: المنهج البلاغي عند الجرجاني والقزويني: ١٦٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخارج على ثلاثة اقسام (مطلقة، ومجردة ومرشحة)[٥٠٧]؛ لأنه علل بلاغة الترشيح؛ لاشتماله على تحقيق المبالغة، والذي مبناه تناسي التشبيه، على الرغم من أنه وجد أن عبد القاهر الجرجاني، قد درس مسألة تناسي التشبيه، مع بحثه التخييل ولكن بغير تعليل[٥٠٨]. وهو ما قام به القزويني.

المجاز المركب

عرفه القزويني، أنه:(اللفظ المركب، المستعمل فيما شبه بمعناه الاصلي تشبيه التمثيل للمبالغة)[٥٠٩]، كما كتب الوليد بن يزيد لما بويع الى مروان بن محمد وقد بلغه انه متوقف في البيعة له:(أما بعد فإني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، فاذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على ايهما شئت والسلام)[٥١٠]، يقال للمتردد في الأمر: إني اراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، وهذا النوع يسميه القزويني(التمثيل على الاستعارة)، وهو ما عرف فيما بعد باسم (الاستعارة التمثيلية) [٥١١]، ويتابع أحد المحدثين رأي القزويني، بأنه متى فشا استعمال هذا الضرب من الاستعارة؛ سمي(مثلا)، ولهذا لا تغير الامثال[٥١٢].

الاستعارة بالكناية

عقد القزويني فصلا خاصا للاستعارة المكنية والاستعارة التخييلية، فعرف الاستعارة بالكناية بقوله:(قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه، ويدل عليه بان يثبت للمشبه امر مختص بالمشبه به من غير ان يكون هناك امر ثابت حسا او عقلا اجري عليه اسم ذلك الامر فيسمى التشبيه استعارة بالكناية او مكنيا عنها، واثبات ذلك الامر للمشبه استعارة تخييلية)[٥١٣]، وعلل الدكتور أحمد مطلوب سبب افرادهما عند القزويني في فصل خاص؛ الى أنهما عنده أمران معنويان غير داخلين في تعريف المجاز، فالمجاز لفظ مستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة، والمجاز من عوارض الالفاظ ، وهما عند القزويني ليسا بلفظين؛ لان احدهما التشبيه

---

[٥٠٧] . الايضاح: ٥/ ٩٩.

[٥٠٨] . ينظر: المنهج البلاغي عند عبد القاهر والقزويني: ١٦٣ ، ١٦٤.

[٥٠٩] . الايضاح: ج٥/ ١٠٧ .

[٥١٠]. الايضاح: ٥/ ١٠٩، وينظر في هذا الكلام: سر الفصاحة:٢٢٢.

[٥١١] . ينظر: تاريخ البلاغة العربية: ٣٠٨ .

[٥١٢] . ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، احمد مطلوب: ٢١٩.

[٥١٣]. الايضاح: ١٢٣/٥، ١٢٤.

www.manaraa.com

المضمر والآخر اثبات لوازم المشبه به للمشبه[٥١٤]، ويمكن الانتهاء الى أن القزويني يعد الاستعارة ثلاثة انواع: التصريحية، والمكنية، والتخييلية، لكن لفظ الاستعارة يطلق عليها بطريق الاشتراك اللفظي[٥١٥]، وبذلك يكون بعضها داخلا في تعريف المجاز وبعضها غير داخل فيه.

الاستعارة التخييلية

ذكر الدكتور أحمد مطلوب أن اختلافا وقع بين القوم في الاستعارة التخييلية؛ فذهب عبد القاهر والزمخشري والقزويني الى انها اثبات لازم المشبه به للمشبه، ورأى السكاكي أنها اسم لازم المشبه. والاستعارة التخييلية عند القزويني حقيقة، ولفظ الأظفار في قول الشاعر:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفعُ[٥١٦]

مستعمل في معناه الحقيقي وليس مجازا أصلا، وإنما التجوز في إثباتها وكان للقزويني نظر في تفسير السكاكي للاستعارة التخييلية في البيت السابق بما استعمل في صورة وهمية محضة قدرت مشابهة لصورة محققة في معناه: كلفظ الاظفار في قول الهذلي؛ ووصفه القزويني بانه تفسير بعيد لما فيه من التعسف[٥١٨]، وقد اورد نقاطا اوضح فيها ردوده على السكاكي في انكار ادعاء السبعية للمنية في قول الشاعر[٥١٩].

الكناية

عرف القزويني الكناية بانها:(لفظ اريد لازم معناه، مع جواز ارادة معناه حينئذٍ)[٥٢٠]، وهي عنده وساطة بين الحقيقة والمجاز، بعكس السكاكي الذي رأى انها حقيقة[٥٢١]، وفرق القزويني بين الكناية والمجاز، من جهة ارادة المعنى الحقيقي مع ارادة لازمه، والمجاز ينافي ذلك، ورفض القزويني الاساس الذي استند اليه السكاكي في التفريق

---

[٥١٤]. ينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٣٩٣.

[٥١٥] . ينظر: تعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي على الايضاح: هامش:٥/ ١٢٣.

[٥١٦] . البيت لأبي ذؤيب الهذلي، ينظر: شرح أشعار الهذليين:١/٤-٤٠، صنعة أبي سعيد الحسن السكري، حققه عبد الستار فراج.

[٥١٧] . ينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٣٩٧.

[٥١٨] . ينظر: الايضاح: ٥/ ١٤١.

[٥١٩] . ينظر: المصدر نفسه: ٥/ ١٤٤.

[٥٢٠] . المصدر نفسه: ٥/ ١٥٨.

[٥٢١] . ينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٤١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بينهما، في ان مبنى الكناية على الانتقال من اللازم للملزوم، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللازم[٥٢٢].

قسم القزويني الكناية على ثلاثة اقسام: الكناية المطلوب بها غير صفة ولا نسبة، والكناية المطلوب بها صفة، ومنها:(القريبة والبعيدة)، والكناية المطلوب بها نسبة[٥٢٣]، وجعلها في درجات متفاوتة، بين التعريض، والتلويح، والرمز، والايماء، والاشارة[٥٢٤].

تفاوتت وجهات نظر المحدثين حول تقسيمات القزويني للكناية ودرجاتها، فوصفها الدكتور احمد مطلوب، بانها ليست بذات فائدة كبيرة[٥٢٥]؛ وعلل انعدام الفائدة منها؛ على اعتبارها لونا من ألوان الخيال، ووسيلة من وسائل التعبير[٥٢٦]، ووصف الاستاذ امين الخولي، تعليلات القزويني والقدماء للبلاغة والمجاز والكناية، أنها لا تخرج عن الاحكام القضائية، وانهم يعودون الى الاستدلال والتلازم والانفكاك[٥٢٧]، وبالمقابل، يرى الدكتور رجاء عيد في دراسته لفلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، امكانية وجود فائدة في موازاة كثرة تلك التقسيمات، وهي اننا نستطيع ان نجد في الامثلة التي يذكرها البلاغيون . وهم يتوارثونها واحدا بعد آخر . اكثر من اثبات صفة بواسطة دليل، او انها كناية عن موصوف، او كناية عن نسبة، كما يذكر السكاكي ومن وليه[٥٢٨]، و يدرك الدكتور محمد بركات ابو حمدي، اهمية معرفة المصطلح البلاغي؛ بانه حلقة اولى تؤدي إلى أخرى، ومن ثمّ هي بعث الحركة النفسية واللذة والمتعة من خلال استعمال هذا التشكيل البلاغي دون غيره، فضلا عن ان المصطلحات البلاغية لها وظيفة في تقديم الفنون الادبية المستحدثة، مثل القصة والرواية؛ لما تحمله هذه المصطلحات من قيمة نفسية، ولحظات فكرية [٥٢٩]، ولعل في رأي الدكتور شكري المبخوت، في ان انطلاق القزويني من كتابي الجرجاني، ومن كتاب السكاكي، استعادة على وجه من الوجوه لجملة من القضايا التي تتصل بالاستدلال بالمعنى على المعنى وبالملازمات بين المعاني. ردا على اتهام الاستاذ

---

[٥٢٢] . ينظر: الايضاح: ٥/ ١٥٩، ١٦٠.

[٥٢٣] . ينظر: الايضاح: ٥/ ١٦٢.

[٥٢٤] . ينظر: المصدر نفسه: ٥/ ١٧٥.

[٥٢٥] . ينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٤١٩.

[٥٢٦] . ينظر: المصدر نفسه: ٤١٥.

[٥٢٧] . ينظر: مناهج تجديد، امين الخولي: ١٩٨.

[٥٢٨] . ينظر: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ٤٢٢.

[٥٢٩] . ينظر: فصول في البلاغة: ١٩٨.

www.manaraa.com

الخولي لتعليلات السكاكي والقزويني، بأنها لا تخرج عن الأحكام القضائية، وأنهما يستعملان الاستدلال والتلازم والانفكاك؛ لإدراكه أهمية تمكن البلاغيين، من تحليل البنية اللزومية لوجوه البيان؛ حين استقام تصورهم للدلالة العقلية، وتوسيعهم للزوم حتى يشمل اللزوم غير البين واللزوم العرفي، وهو تحليل قائم على النظر في مختلف العلاقات الممكنة بين الملزوم واللازم، وما بينهما من وسائط. ولهذه العلاقات المختلفة دور في تجسيد موضوع علم البيان، بعدّه علما يبحث في مراتب وضوح الدلالة على المعنى[٥٣٠]، وانا أوافقه في انه يمكن انطلاقا من مفهوم البنية اللزومية، تعميق التحليل؛ لاستيعاب ما يطرح اليوم من قضايا بلاغية حديثة من قبيل تصنيف الوجوه البلاغية او تحليل اصناف من الخطاب والبحث في (نحوها)،و(تداوليتها)، ومن قبيل قوانين الخطاب وحكمه، والتحليل الاستدلالي للأقوال[٥٣١].

٣. علم البديع

مصطلح البديع أطلقه بعض البلاغيين على جميع علوم البلاغة لما في مباحثه من الروعة والابداع[٥٣٢]، ووصف أحد المحدثين، بحث القزويني في البديع أنه أحسن من بحث السكاكي[٥٣٣]، فقد رأينا كيف أمات صاحب المفتاح هذا الفن واحاله جملا لا روح فيها وعبارات لا توحي بشيء[٥٣٤]، والسكاكي كان اول من سمى البحوث التي تخص البديع (محسنات)[٥٣٥]، وهي عنده (وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار اليها لقصد تحسين الكلام)[٥٣٦]، ولم يسمها بديعا، وجعلها قسمين قسم راجع الى المعنى، وقسم راجع الى اللفظ[٥٣٧]؛ اما اول من اطلق مصطلح البديع على تلك المحسنات فهو بدر الدين بن

---

[٥٣٠] . ينظر: الاستدلال البلاغي، د. شكري المبخوت: ١١٧.

[٥٣١] . ينظر: الاستدلال البلاغي:١١٧.

[٥٣٢] . ينظر: بغية الايضاح ، عبد المتعال الصعيدي: ٣. ٢٤ .

[٥٣٣] . ينظر: البلاغة عند السكاكي: ٣٨٢ .

[٥٣٤] . ينظر: البلاغة عند السكاكي: ٣٨٢.

[٥٣٥] . ينظر: البلاغة العربية، احمد مطلوب: ٧٤.

[٥٣٦] . المفتاح: ٦٦٠.

[٥٣٧] . ينظر: المفتاح: ٦٦٠.

www.manaraa.com

مالك، وعرفه بـ(معرفة توابع الفصاحة)[٥٣٨]، أمّا القزويني فقد جعل البديع الفنّ الثالث من فنون البلاغة، وبذلك يكون اول من بنى البلاغة على ثلاثة فنون[٥٣٩].

لم يقف القزويني عند تقسيمات السكاكي لما أسماه بالمحسنات، التي بلغت عنده العشرين نوعا، وانما زادها الى ثلاثين نوعا من البديع المعنوي، ومن اللفظي سبعة انواع، وذكر في اثنائها أمورا ملحقة بها تصلح ان تكون أنواعا اخرى[٥٤٠]، كما انه خالفه في بعض هذه الانواع، فالإيهام مثلا عند السكاكي سماه القزويني(التورية)[٥٤١]، وقد توسع الخطيب في بحثه واكثر من الامثلة وقسمها تقسيما ليس فيه تكلف واسراف في الصنعة، حتى ان بعض الباحثين المحدثين في البلاغة وفنونها المختلفة أثنوا على القزويني في هذا المضمار، فقال الاستاذ علي الجندي متحدثا عن الجناس:(وبمقارنة ما كتب عن الجناس وانعام النظر فيما ورد منه في الشعر يتبين ان تقسيم الخطيب احمد هذه التقسيمات جميعا وابعدها عن الاسراف)[٥٤٢]، ويبدو ان ما جاء به القزويني هو المعتمد حتى الان في دراستنا للبديع[٥٤٣].

والبديع عند القزويني:(هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة)[٥٤٤].

وهذه الوجوه ضربان: ضرب يرجع الى المعنى، وضرب يرجع الى اللفظ، ويبدو انه قدم الكلام عن المحسنات المعنوية قبل اللفظية؛ ربما لاعتقاده بان المعنى هو المقصود الاصلي، واللفظ تابع وقالب له[٥٤٥]، وفنون البديع المعنوي كما وردت عند القزويني هي: المطابقة، ومراعاة النظير، والارصاد، والمشاكلة، والمزاوجة، والعكس، والرجوع، والتورية، والاستخدام، واللف والنشر، والجمع، والتفريق، والتقسيم، والجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق والتقسيم، والتجريد، والمبالغة، المذهب الكلامي، وحسن التعليل، والتفريع، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتأكيد الذم بما يشبه المدح، الاستتباع،

---

[٥٣٨] . ينظر: المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك: ٧٥.

[٥٣٩] . ينظر: المصدر نفسه: ١١٥، والصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي: ١٨٣.

[٥٤٠] . ينظر: فن البديع، محمد عبد القادر حسين:٤٣ .

[٥٤١] . ينظر: تاريخ البلاغة العربية: ٣٠٩ .

[٥٤٢] . البلاغة عند السكاكي. ٣٨٢ و فن الجناس، علي الجندي: ٦١ .

[٥٤٣] . ينظر: فن البديع:٤٣ .

[٥٤٤] . الايضاح: ج٦/ ٤ .

[٥٤٥] . ينظر: فن البديع: ٤٤ .

www.manaraa.com

والتوجيه، والهزل الذي يراد به الجد، وتجاهل العارف، والقول بالموجب، والاطراد، ويبدو ان التحسين كما يبدو في علم البديع الذي ورثناه عن السكاكي، ينبني على محورين[٥٤٦]، وكل محور منهما يضم طائفة من العلاقات. فالمحور الاول محور العلاقات الوفاقية؛ والثاني محور العلاقات العنادية[٥٤٧]، وتضم العلاقات الوفاقية عددا من المحسنات التي تسعى الى التجانس، كالمشاكلة والمزاوجة والارصاد ومراعاة النظير والقول بالموجب والاستطراد والاستتباع وحسن التعليل ورد العجز على الصدر والتشطير والتصريع والجناس والموازنة والتشريع والتجريد وتشابه الاطراف ولزوم مالا يلزم والسجع والترتيب والجمع والزيادة والمبالغة. واما العلاقات العنادية فمدارها على التنافر والتخالف، وذلك كالطباق والمقابلة والاستخدام والتورية والعكس والرجوع وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح واللف والنشر المشوش والقلب والتوجيه ....[٥٤٨].

أمّا فنون البديع اللفظي فذكر السكاكي منها ستة انواع زادها القزويني إلى سبعة هي: الجناس، ورد العجز على الصدر، والسجع، والقلب والموازنة، والتشريع، ولزوم ما لا يلزم[٥٤٩].

ثمّ قام القزويني بختام الكلام عن البديع بفصلين نقديين، وهما فصل السرقات الشعرية وما يتصل بها، وجعل السرقات نوعين: ظاهر وغير ظاهر[٥٥٠]، بناءً على كون الكلام متفقا عليه في الغرض على العموم، فلا يكون سرقة؛ لتقرره في العقول والعادات[٥٥١]، وكون الكلام مما لا ينال إلا بفكر ولا يصل اليه كل أحد ، وهو ما أسماه القزويني بـ(الاختصاص والسبق) ولا يعدّ سرقة ايضا.

والثاني للمواضع التي ينبغي للمتكلم في نظره ان يتأنق فيها حتى تكون أعذب لفظا واحسن سبكا واصح معنى، وهي الابتداء، لأنه اول ما يقرع السمع، والتخلص مما شبب الكلام به من نسيب او غيره الى المقصود، مع رعاية الملائمة بينهما، والانتهاء، لأنه اخر

---

[٥٤٦] . ينظر: الاصول، تمام حسان: ٣٨٠.

[٥٤٧] . ينظر: مقالات في اللغة والادب: ١٧٢ .

[٥٤٨] . ينظر: مقالات في اللغة والادب:١٧٢ ـ ١٧٣ .

[٥٤٩] . ينظر: تاريخ البلاغة العربية: ٣١٠ .

[٥٥٠] . ينظر: الايضاح: ٦/ ١٢١.

[٥٥١] . ينظر: الايضاح: ٦/١٢٠.

www.manaraa.com

ما يعيه السامع ويرتسم في النفس.[٥٥٢]. ووصف عمل القزويني هذا، الذي انفرد فيه عن السكاكي، بانه التفاتة حسنة منه تشير الى ما رزقه من إرهاف حسيّ وتذوق للأدب وأساليبه[٥٥٣].

المبحث الأول

استدراكات المحدثين على الخطيب

في علمي البيان والبديع

توطئة

كان ولما يزل علم البيان يحتل مكانة مميزة في مختلف الدراسات على اختلاف اتجاهاتها، فقد سار البحث البياني في الزمن وتناقلته أقلام العلماء والادباء والنقاد على حسب تصورهم معناه[٥٥٤]، وبسبب صلة البيان في البداية بالفنّ الأدبي الذي نزل به الكتاب العزيز صارت نواحيه لا تكاد تحصر؛ لصلته باللغة، والنحو، والمنطق؛ ونتيجة لذلك ظهرت دراسات اختلفت تبعا لتلك النواحي من المعرفة؛ فالدافع في بداية الأمر كان دينيا ثم تدرجت به المراحل ليشمل جميع فنون الادب.

انتهى البيان الى تعريفه بالعلم الذي يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه[٥٥٥]، وهو تعريف القزويني، وهو بهذا

---

[٥٥٢] . ينظر: تاريخ البلاغة العربية: ٣١٠ .

[٥٥٣] . ينظر: البلاغة عند السكاكي: ٣٨٣.

[٥٥٤] . ينظر: البيان العربي: ٢٨ .

[٥٥٥] .ينظر: الايضاح:٤/ ٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المفهوم الذي حده به علماء البيان يختلف عن (علم المعاني) الذي يبحث في بناء الجمل وتنسيق أجزائها تنسيقا يطابق مقتضى حال الكلام ، كما يختلف عن (علم البديع) الذي يبحث في وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة[٥٥٦]، وبالمعطيات التي توفرها العلوم الثلاثة مع بعضها يمكن تحديد مميزات النص الادبي ومدى بلاغته، بحسب ما جاء عن العلماء في تقسيم البلاغة الى هذه العلوم الثلاثة، الا ان علم (البيان) في الوقت المعاصر أصبح منظورا اليه بصورة مختلفة، وظهرت دراسات منها من عدت (علم البيان) الاساس في بلاغة العرب، بل هو البلاغة بعينها، ولا حاجة بنا الى الاحتكام الى تفصيلات احوال المسند والمسند اليه في علم المعاني، ودراسة الاسس السليمة التي تتماز بها لغة القرآن كالمجاز والتشبيه والاستعارة، والكناية والرمز والتعريض، بوصفها اركانا اذا فقدها النص لم يعد نصا بلاغيا يعتد به[٥٥٧]،ومنها من فهم ان طرح البلاغيين لتعريفات محددة للبيان والمعاني والبديع ليس منطلقا من فهم انفصالي، وانهم لم يعتقدوا في قيام كل علم بذاته، واستقلاله عن سواه، بل ان حركتهم الادراكية كانت بوعي عميق بوحدة هذه المباحث، فبين المعاني عموم وخصوص، فالمعاني كالمفرد، والبيان كالمركب[٥٥٨]، وما زالت الدراسات تنحى مناحٍ مختلفة في النظر الى علوم البلاغة كل حسب توجهه

([٥٥٦]) . ينظر: علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان:١١.

([٥٥٧]) . ينظر: أصول البيان العربي، رؤية بلاغية معاصرة:٣٠.

([٥٥٨]) . ينظر: البلاغة العربية قراءة اخرى: ١٣٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتأثره الفكري، وقد درست مجموعة من استدراكات المحدثين على القزويني في مسائل البيان، علّي أطلع على ما ينفعني في دراستي هذه.

استدراكات المحدثين على القزويني في علم البيان

الاستدراك الاول

في تعريف التشبيه

عرف القزويني التشبيه بأنه الدلالة على مشاركة امر لآخر في معنى[٥٥٩]، وعنده المراد بالتشبيه هنا، والمصطلح عليه في علم البيان، ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية، ولا التجريد[٥٦٠]، واستدرك الدكتور بسيوني عبد الفتاح علي هذا التعريف بأن القزويني قد قيّد هذا التعريف بكون الدلالة ليست على وجه الاستعارة التحقيقية ولا المكنية ولا التجريد ... ورأى أنه لا عبرة بهذا القيد[٥٦١]؛ لان الاستعارتين التحقيقية نحو: رأيت بحرا في المسجد، والمكنية نحو: لعبت بنا يد الزمان، مبنيتان على تناسي التشبيه والمبالغة في تجاهله حتى كأنه لم يكن، ويرى ايضا أن قولنا في التعريف:(بإحدى ادوات التشبيه) مخرج لهاتين الاستعارتين ويخرج ايضا نحو قولنا:(جاءني محمد وعلي)، (وقاتل

---

(٥٥٩) . ينظر: الايضاح: ج٤ / ١٦ .

(٥٦٠) . ينظر: الايضاح: ٤/ ١٩.

(٥٦١) . ينظر: علم البيان، دراسة تحليلية لعلم البيان: ١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زيد عمرا) وغير ذلك من الصيغ الدالة على مشاركة أمر لآخر في معنى ولكن بطرق اخرى وليس عن طريق ادوات التشبيه ، واما التجريد فهو ان ينتزع من امر ذي صفة امرا اخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه نحو: (لي من فلان صديق حميم) وقولنا:(لئن سألت فلانا لتسألن به البحر)، (لقيت من زيد اسدا)[٥٦٢] ، فرأي المستدرك ان خروجه من التشبيه ليس على الاطلاق بل اذا لم يكن على وجه ينبئ بالتشبيه كما في المثالين الثاني والثالث فهو داخل فيه ولا يمكن اخراجه منه، ويبدو هنا أن الدكتور عبد الفتاح يستدرك ايضا على السعد التفتازاني، في شرحه تلخيص المفتاح المطول[٥٦٣] والذي سبقه بالاعتراض على تعريف الخطيب للتشبيه، لكن ليس فيما يخص اقتراح بسيوني بعدم التقييد، بل كان استدراك التفتازاني باقتراح زيادة في التعريف مع وجود التقييد؛ لأنه يرى أنه ناقص، وغير وافٍ بالمراد، واعاد تعريف القزويني له بقوله:(هو الدلالة على مشاركة امر لأخر في معنى، لا على وجه الاستعارة التحقيقية، ولا الاستعارة بالكناية والتجريد, وينبغي أن يزاد فيه قولنا: بالكاف ونحوه لفظا او تقديرا ليخرج نحو: (قاتل زيد عمرا)، و(جاءني زيد وعمرو)...) [٥٦٤].

ويظهر أن السعد حين استدرك على تعريف القزويني للتشبيه قد لاقى اعتراضات؛ اذ لم يوافق علماء البلاغة على نقده وأيدوا الخطيب؛ لأن

---

[٥٦٢] . ينظر: علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، بسيونى عبد الفتاح: ١٧.

(٥٦٣) . ينظر: استدراكات السعد على الخطيب في المطول: ١٨٥ .

(٥٦٤) . شرح تلخيص المفتاح المطول: ٣١١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قولنا:(جاءني زيد وعمرو) يدل صراحة على ثبوت المجيء لكل واحد منهما ، ويلزم من ذلك مشاركة احدهما للآخر في المجيء؛ فالمتكلم ان لم يقصد به هذا المعنى اللازم، لم يدل به المخاطب على مشاركة امر لأمر في معنى ، فلا يندرج في التفسير المذكور بناءً على ما ذكره السعد من معنى الدلالة، فانه لا يتصور إلا فيما قصده المتكلم ، وان قصد به، لم يضر اندراجه فيه؛ لأنه بمعنى:(شارك زيد عمرا في المجيء او تشاركا فيه)؛ فيكون تشبيها لغةً[٥٦٥]،

هناك فريق آخر يرى أن ارادة التشبيه في الامثلة المذكورة، لا يعد تشبيها، بل انها تدل على التشابه، وفرق بين التشبيه والتشابه[٥٦٦]، والتشبيه كما عرفه د.يوسف ابو العدوس، هو: إلحاق المشبه بالمشبه به في ابرز صفاته الظاهرة ويكون المشبه به اقوى واشهر من المشبه[٥٦٧]، وقد عرف التشابه على انه: التساوي بين شيئين اشتركا في صفة، دون ان تكون لاحداهما زيادة عن الاخرى، ولذلك يشترط فيه ان يكون الفعل الدال على التشابه لازما، ليؤكد التسوية بين الامرين... ويؤدي التشابه بلفظ تشابه

([٥٦٥]) . ينظر: حاشية السيد على المطول:٣١٠، ٣١١ ، ينظر: استدراكات السعد: ١٨٥، ١٨٦.

([٥٦٦]) . ينظر: المنهاج الواضح، حامد عوني: ٩٤ .

([٥٦٧]) . ينظر: التشبيه والاستعارة منظور مستأنف، يوسف ابو العدوس: ٧٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتماثل وتشاكل وتساوى وتضارع، وكذلك قولك في امرين: كلاهما سواء، ولا يؤدى بما كان له فاعل ومفعول به مثل شابه وساوى[٥٦٨].

وبهذا نقف أمام ثلاثة آراء، تصدت لتعريف التشبيه هي: رأي القزويني، الذي يرى بان التشبيه اصطلاحا، هو: الدلالة على مشاركة امر لآخر في معنى، ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية، نحو: رأيت بحرا في المسجد، ولا الاستعارة بالكناية، نحو: لعبت بنا يد الزمان، ولا التجريد، نحو: لقيت من زيد اسدا واشار الى انه المصطلح عليه في علم البيان. ورأي للدكتور يوسف ابو العدوس يرى عدم التقييد في تعريف التشبيه، بكونه لا على وجه الاستعارة التحقيقية، ولا المكنية، ولا التجريد؛ لان الاوليتين مبنيتان على تناسي التشبيه اساسا، فلا داعي الى استثنائهما من التعريف من الاساس، ولا يرى في التجريد تشبيها وهو رأي بسيوني، ورأي يقترح بقاء التعريف مع اضافة قولنا:(بالكاف ونحوه) اليه، حتى لا يعد قولنا مثل:(قاتل زيد عمرا)، ونحوها تشبيها وهو رأي التفتازاني، ورأي آخر يرى أن لا ضير في أن نعد قولنا:(جاءني زيد وعمرو)، تشبيها اذا كان في نية المتكلم قصد التشبيه، على انه تشبيه لغوي وهو رأي السيد الشريف في حاشيته على المطول، وفريق اعترض على كون قولنا:(جاءني زيد وعمرو)، وقولنا:(قاتل زيد عمرا) من التشبيه، بل هي من التشابه وأوجدوا فرقا بينهما، والباحث يرجح التعريف الذي جاء بمنظور مستأنف من أحد المحدثين على تعريف التشبيه، والذي عرفه بـ: الحاق المشبه بالمشبه به

([٥٦٨]) . ينظر: المصدر نفسه: ٧٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في ابرز صفاته الظاهرة، ويكون المشبه به اقوى واشهر من المشبه[٥٦٩]؛ لأن (المشاركة بين امرين) التي قال بها البعض بما فيهم القزويني ليست فيصلا في تحديد التشبيه، وهي غير (التشابه) الذي يكون في الصفات لذا ينبغي التمييز بينهما، فلو قلنا:(علي كالأسد) فذلك يعني التشابه في الصفات، لكن لو قلنا: (جاء علي وعمرو) فذلك يعني ان زيدا وعلي تشاركا في (فعل المجيء)، وليس بالصفة القارة في كل من الطرفين، كما في صفة(القوة) في الاسد، وهي غالبة فيه، والتي شبهنا بها (علي) في الشجاعة. وهنا حتى لو قرر العلماء الذين اعترضوا على نظر التفتازاني في تعريف القزويني للتشبيه، ان (ثبوت المجيء) لزيد وعمر يخولهما ان يكونا متشاركين مع بعضهما في صفة المجيء اذا نوي وجود التشبيه، وهي صفة ناتجة عن (فعل يمكن تغيره وتجدده، بما في الافعال من صفة التغير، بعكس الاسماء)، كما اسلفت هذا يختلف عن الصفة التي قرّت في شيء وقويت فيه حتى امكن تشبيه شيء اقل منها بالقوة بها بوساطة اداة تشبيه معينة.

([٥٦٩]) .ينظر: التشبيه والاستعارة منظور مستأنف: ٧٨.

www.manaraa.com

الاستدراك الثاني

في وجه الشبه الحسي

أوضح القزويني بأن وجه الشبه هو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقا أو تخييلا [٥٧٠]، وان التخييل لا يمكن وجوده في المشبه به الا على تأويل كما في قول التنوخي[٥٧١]:

وكأنّ النجوم بين دجاها سننٌ لاح بينهُن ابتداعُ[٥٧٢]

وعليهما قوله تعالى:چ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ چ[٥٧٣]

([٥٧٠]) . الايضاح:٤/٢٢ .

([٥٧١]) وفي اليتيمة انه لأبي طالب الرقي، ١/٢٩٨.

([٥٧٢]) . ينظر: الفرج بعدة الشدة، القاضي التنوخي(ت٣٨٤هـ): ٢/٥٤، وينظر: انوار الربيع في انواع البديع، ابن معصوم المدني: ١/٤٠٠.

([٥٧٣]) . البقرة: ٢٥٧.

www.manaraa.com

أما الدكتور بسيوني عبد الفتاح فقد أوضح أنه يجوز إدراك الحسي من غير الحسي عن طريق التخييل والتأويل، علما ان القزويني قد اوجب انتزاع وجه الشبه الحسي الا من طرفين مفردين[٥٧٤]، ففي قول الشاعر ابن بابك:

وأرض كأخلاق الكرام قطعتها وقد كحل الليل السماك فأبصرا[٥٧٥]

ومن خلال مقارنة شرح البيتين لدى القزويني ولدى الدكتور عبد الفتاح ظهر ان الخطيب القزويني قد عدّ وجه الشبه في البيت السابق، (تخييلي)، بينما عد عبد الفتاح وجه الشبه في نفس البيت(حسيا)[٥٧٦]، وبذلك اوضح لنا ان وجه الشبه المفرد الحسي ينتزع في الغالب من طرفين حسيين وقد ينتزع من طرف عقلي على جهة التأويل والتخييل. ويتحتم ان يكون انتزاعه من طرفين مفردين[٥٧٧]، وبسيوني يرى ان المشبه في البيت حسي وهو الارض والمشبهة به: مفرد عقلي وهو اخلاق الكرام، وقد جمع بينهما الشاعر في وجه شبه حسي وهو: (السعة او الامتداد والانبساط)، ولكن هذا الوجه موجود في المشبه الحسي على جهة التحقيق وموجود في المشبه به العقلي على طريق التخييل والتأويل، على تقدير ان صفة(السعة أو الانبساط) لو كان ممكن ادراكها لأدركت بحاسة البصر، وهي نفسها

---

(٥٧٤) . ينظر: الايضاح:٤/ ٣٤ ، ٣٥ .

(٥٧٥) .ينظر: بغية الايضاح: ٥٨.

(٥٧٦) . ينظر: علم البيان ، دراسة تحليلية لمسائل البيان:٤٩ .

(٥٧٧) . ينظر: المصدر نفسه: ٤٩.

www.manaraa.com

الحاسة التي ادركت المشبه (الارض)، وبهذه العلاقة بين الطرفين وهي علاقة (تشابه حاستي الادراك) بالنتيجة، والتي يمكن ان نسميها (حسية) نستطيع ان نبرر تجويز البسيوني بان وجه الشبه في هذا البيت (حسي)، لا كما عده القزويني (تخييلي) وجوبا؛ لمجرد كون احد طرفي التشبيه عقلي، وكان امتناع ذلك عند القزويني؛ لامتناع ان يدرك بالحس من غير الحسي شيء[٥٧٨]، والباحثة ترجح رأي القزويني لسببين:

الاول . ان اكثر المحدثين يستنكر قضية التأويلات، وتمطيط المعنى بناء على غير ما يمنحه اللفظ من معطيات. وافتراض ادراك صفة السعة والانبساط بالحس، لو كان ممكنا إدراكها كما يمكن إدراك سعة الارض بنفس الحاسة، لا يمنحنا فنية وبلاغة أكثر مما منحه لنا البيت بما فيه من تشبيه وبوجود وجه شبه(تخييلي) كما قال به القزويني[٥٧٩].

الثاني . ان المتأمل للبيت الشعري السابق؛ ليدرك ما فيه من تشبيه ويحاول اكتشاف وجه الشبه فيه، سيمرّ بحالة من الاختبار النفسي في حواسه، بوساطة (العقل)، بمعنى انه لو اراد ادراك وجه الشبه(السعة والانبساط)، لاستشعر تلك الصفة وما تتركه في النفس من راحة تبعا للسعة والانبساط، بوساطة تخيل ذلك الاحساس بوساطة (العقل) الذي يجند الذاكرة لتعرض للحواس صورة الاشياء وما تثيره من انطباعات مخزونة، ونفس الشيء بالنسبة للإحساس بضيق المساحة وما تتركه من اثر في النفس،

([٥٧٨]) . ينظر: الايضاح: ٤/ ٤٤، ومختصر المعاني: ١٩٥ .

([٥٧٩]) ينظر: الايضاح، مج٢/٣٤٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فبدرك بالعقل ايضا، وهذا ما اراده القزويني، بقوله: فان الاخلاق لما كانت توصف بالسعة والضيق تشبيها لها بالأماكن الواسعة والضيقة، تخيل اخلاق الكرام شيئا له سعة، وجعلها اصلا فيها فشبه الارض الواسعة بها[٥٨٠]؛ فاللغة لها علاقة بالتفكير فهي اداة تخدم هدفين: الاتصال الخارجي (مع الناس) والتمثيل الداخلي (الذهني) لأفكارنا[٥٨١]، وهذا التفكير هو ما يمنحه لنا العقل؛ فيجعلنا نتخيل السعة والانبساط والامتداد في الارض كما هو انبساط وسعة أخلاق الكرام.

الاستدراك الثالث

في الاستعارة المكنية

كان من بين ما استدركه الدكتور شوقي ضيف على الخطيب القزويني، إن الخطيب قد ذكر انكار السكاكي للمجاز العقلي، وذهابه الى انه من باب الاستعارة بالكناية[٥٨٢]، وان الخطيب قد حاول هدم رأي

([٥٨٠]) . المصدر نفسه: ٤/ ٣٥.

([٥٨١]) . ينظر: اللغة والتفكير: حسن مرضي حسن: ١١، و٣٦، وفي هذه الصفحات يوضح لنا الدكتور حسن مرضي، وهو دكتوراه في علم اللغويات النفسية، جامعة باث بريطانيا، نظرية(فيجوتسكي) في أن اللغة انعكاس لتفكيرنا الشخصي(الخطاب الداخلي)، التي تلعب دورا اساسيا في تطوره العقلي المرتبط جدليا بالتطور الاجتماعي، واستندت اليه في ترجيح رأي القزويني في ان وجه الشبه في البيت السابق (تخييلي) يدرك بـ(العقل) الذي التفكير الداخلي(الذهني) لأفكارنا.

([٥٨٢]). ينظر: الايضاح:١/٩٨ .

www.manaraa.com

السكاكي بما أورد عليه من اشكالات[٥٨٣]، مردها الى ان ذلك يستلزم ان يكون المراد بالربيع في قولهم:(انبت الربيع البقل) الفاعل الحقيقي وان يكون المراد بعيشة في قوله تعالى چھ ھچ[٥٨٤] ، صاحبها، وان يكون نحو نهاره صائم من اضافة الشيء الى نفسه، وان لا يكون امر فرعون لهامان بالبناء في الآية الكريمة: چ ک ک ک ککچ [٥٨٥]ليس له، وأيضا فإن القول إن مثل (نهاره صائم) لا تصحّ الاضافة في نحو قولهم: فلان نهاره صائم وليله قائم، لأن المراد بالنهار على هذا فلان نفسه واضافة الشيء الى نفسه لا تصح[٥٨٦].

يستدرك الدكتور شوقي ضيف أن الخطيب القزويني كأنما فاته ما ذهب اليه السكاكي (من ان المستعار له في الاستعارة المكنية يراد به المستعار ادعاء)[٥٨٧]، وبعبارة اخرى: لا تدل الكلمة عنده في (المجاز العقلي في مثل بنى الامير المدينة على معناها الحقيقي الاصلي)[٥٨٨].

أي أن الاستعارة المكنية في مذهب السكاكي لفظ المشبه المستعمل في المشبه به ادعاء بقرينة ذكر لازم المشبه به، فعين العناية مثلا نقول فيها، شبهت العناية بحارس ذي عينين وادعينا ان المشبه فرد من افراد

---

(٥٨٣) . ينظر: المصدر نفسه: ١٠٢/١ .

(٥٨٤) . الحاقة: ٢١.

(٥٨٥) . غافر: ٣٦.

(٥٨٦) . ينظر: الايضاح: ١/ ١٠٢.

(٥٨٧) . البلاغة تطور وتاريخ: ٣٣٩ .

(٥٨٨) . البلاغة تطور وتاريخ: ٣٣٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المشبه به، فصار المشبه به فردين: حقيقي وهو الحارس وادعائي وهو العناية المدعى انها حارس، فنستعمل العناية الحقيقية في المشبه به الادعائي(العناية المدعى إنها حارس) والعين قرينة المكنية[٥٨٩]، وكذلك في قولهم: أنبت الربيع البقل، ذكرت كلمة الربيع واريد منها الفاعل المختار، وهو الله تعالى بقرينة نسبة الانبات اليه، وهو من لوازم المشبه به، حيث شبه الربيع بالفاعل الحقيقي وادعى انه فرد من افراده، ثم افرد الربيع بالذكر مرادا به الفاعل الحقيقي، بقرينة نسبة الانبات اليه، لأنه من لوازم الفاعل الحقيقي[٥٩٠].

ان من يتابع ما كتبه الدكتور شوقي ضيف عن بلاغة القزويني في كتابه (البلاغة تطور وتاريخ) يرى انه كان متعجلا في بحثه فيهما وكأنه كان يضع في حسبانه ان القزويني لا يستحق ان يقف عليه وقفة متأنية ومنصفة، فيفرد لكل علم من علوم البلاغة عنده فقرة واضحة وبعنوان مميز، يبحث فيها نقاط الالتقاء والافتراق فيها بين القزويني والسكاكي بصورة محايدة ومتأنية، بدليل انه وضع القزويني الى جانب ضياء الدين بن الاثير، في كتابه(المثل السائر)، وبدر الدين بن مالك وكتابه(المصباح)، والتنوخي محمد بن محمد ومصنفه(القريب في علم البيان)، وابن قيم الجوزية ويحيى بن حمزة العلوي، جميعا تحت عنوان (دراسات جانبية)، معللا تسميتها بذلك أن مصنفيها اما انحرفوا عن طريقة

([٥٨٩]) ، ينظر: تعليق محمد عبد المنعم خفاجي على الايضاح: ١٢٠/٥ .

([٥٩٠]) . ينظر: المفتاح: ١٨٩ ، والمطول: ٦٦ ، واستدراكات السعد على الخطيب: ٧٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السكاكي، وإما ساروا فيها دون ترسمها ترسما دقيقا، وقد يترسمونها ولكن كتابتهم فيها لا تعدو تلخيصات مبسطة دون عناية واسعة بعبد القاهر والزمخشري[٥٩١]، والنتيجة انه ذكر ان القزويني قد دمج القول في (المجاز العقلي) مع الاسناد الخبري، وتقسيمه على:(ابتدائي وطلبي وانكاري)، وانه بهذا القياس كان ينبغي عليه ادخال المجاز اللغوي في احوال المسند والمسند اليه، دون ان يبحث الاسباب التي دعت القزويني لاتباع هذا المنهج، منها اعتقاده ان المجاز العقلي يتعلق بالإسناد والتركيب كما اوضحت في فصل الملامح الاسلوبية في بلاغة القزويني[٥٩٢]، بحسب تحققه بوساطة عملية التركيب، وانه لم يلحق المجاز اللغوي؛ لأنه نظر اليه بصفته: (المفردة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع عدم ارادته)[٥٩٣]، وقد تكون اسبابا علمية، يمكن تفسيرها بحال من الاحوال. واسترسل الدكتور ضيف يسرد ما قرأه في كتاب التلخيص للقزويني، ويطرح اعتراض القزويني على السكاكي دون أن يذكر حجج القزويني كاملة، مثل قوله: ان القزويني حاول ان يهدم رأي السكاكي بما اورده عليه من اشكالات ، مردها الى ان ذلك يستلزم ان يكون المراد بالربيع في قولهم (أنبت الربيع البقل) الفاعل الحقيقي، دون ان يضع في حسبانه ان هناك من تصدى لإبطال مذهب السكاكي، واوضح ان الانبات الحقيقي في قولهم هذا يمتنع قيامه بالقادر الادعائي، وهو الربيع،

---

(٥٩١) . ينظر: البلاغة تطور وتاريخ: ٣١٤.

(٥٩٢) . ينظر: الفصل الثالث من هذه الرسالة، مبحث النصّ.

(٥٩٣) . الايضاح: ٥/ ١٢،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وان السكاكي سيصير سعيه حينئذ في نفي المجاز العقلي ونظمه في سلك الاستعارة بالكناية ضائعا[٥٩٤]، وان يكون نحو قوله تعالى: چھ ہ چ صاحبها دون ان يذكر حجة القزويني في ان المراد بالنهار على هذا فلان نفسه وان اضافة الشيء الى نفسه لا تصح[٥٩٥]، وان لا يكون امر فرعون لهامان بالبناء في الآية الكريمة چ ک ک ک ک چ ليس له، دون ان يبين ان القزويني اوضح ان الامر بالبناء لا يكون لهامان مع ان النداء كان له[٥٩٦]، والامر بعده لشخص آخر، فلا يصح ان يكون النداء لشخص والامر بعده لشخص اخر[٥٩٧]. فالقزويني لو لم يناقش آراء السكاكي في رده عليه، مناقشة علمية اوضحت وجهة نظره؛ كان من الممكن ان نقول انه قد فاته أن السكاكي أراد أن المستعار له في الاستعارة بالكناية يراد به المستعار ادعاء، فهو كان يعلم مذهب السكاكي ولكنه رفضه بأدلّة.

وخلاصة اعتراض القزويني أنه لا يجوز أن نجعل المنية في(انشبت المنية اظفارها) بادعاء السبعية للمنية، كما هو رأي السكاكي، لان الاسناد في هذه الحالة سيكون مجازا عقليا، وهو مردود على السكاكي؛ لأنه نفى المجاز العقلي ونظمه في سلك الاستعارة بالكناية، ونفس الدكتور ضيف

---

(٥٩٤) . ينظر: استدراكات السعد على الخطيب: ٨٢، و: حاشية الفنري على المطول: ٢٠٨

(٥٩٥) . ينظر: الايضاح: ١/ ١٠٢.

(٥٩٦) . ينظر: الايضاح: ١٠٢/١.

(٥٩٧) . ينظر: استدراكات السعد على الخطيب: ٨٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ختم استدراكه على الخطيب القزويني أن السكاكي على كل حال قد أبعد في التأول في هذه المسألة[٥٩٨].

الاستدراك الرابع

في تفريق الخطيب القزويني بين الكناية والمجاز

الكناية لغة: أن تتكلم بالشيء وتريد غيره، يقال كنيت بكذا عن كذا اذا تركت التصريح به، فبابه، كنى يكني كرمى يرمي، وورد كنا يكنو كدعا يدعو[٥٩٩].

يفصل الخطيب القول في الكناية، فيعرفها أنها: لفظ اريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه حينئذٍ[٦٠٠]، كقولك(فلان طويل النجاد)؛ أي طويل القامة و(فلانة نؤوم الضحى) أي مرفهة مخدومة غير محتاجة الى السعي بنفسها في أمر المعاش[٦٠١].

([٥٩٨]) . ينظر: البلاغة تطور وتاريخ: ٣٣٩.

([٥٩٩]) . ينظر: تاج العروس ١٣٥/٢٠(كنى).

([٦٠٠]) .ينظر: الايضاح: ٥/ ١٥٨ .

([٦٠١]) . ينظر: لسان العرب(نجد) ١٤٣/٣، والمصدر نفسه (نوم).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد عرفها د. بسيوني عبد الفتاح: بأن يترك اللفظ الموضوع للمعنى الذي يريد التحدث عنه ويلجأ الى لفظ آخر موضوع لمعنى اخر تابع للمعنى الذي يريده فيعبر به عنه[٦٠٢].

وقد فرق الخطيب بينها وبين المجاز من جهة إرادة المعنى الحقيقي مع إرادة لازم ذلك المعنى الحقيقي كإرادة طول النجاد مع طول قامته[٦٠٣]، فإن المجاز ينافي ذلك، فلا يصح في نحو قولك: في الحمام اسد، ان تريد معنى الاسد من غير تأول؛ لأن المجاز قرينة معاندة لإرادة الحقيقة، وملزوم معاند الشيء معاند لذلك الشيء[٦٠٤]، لكن القزويني يثير اعتراضا على السكاكي، الذي جعل الكناية انتقالا من اللازم الى الملزوم، وجعل المجاز انتقالا من الملزوم الى اللازم[٦٠٥]، واعتراض الخطيب ان اللازم ما لم يكن ملزوما يمتنع ان ينتقل منه الى الملزوم، فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم الى اللازم[٦٠٦]، ورد الدكتور ضيف في مسألة تفريق الخطيب بين الكناية والمجاز من جهة انتقال مبنى الكناية بين اللازم والملزوم، انها مسألة اعتبارية كان ينبغي ان لا يقف عندها الخطيب[٦٠٧]، ويبدو ان التفريق بين الكناية والمجاز قد اتخذ وجوها عدة، ومن المحدثين من فرق

([٦٠٢]) .علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان: ١٩٩ .

([٦٠٣]) . ينظر: الايضاح: هامش:٥/ ١٥٩ .

([٦٠٤]) . المصدر نفسه: ٥/ ١٥٩ ـ ١٦٠ .

([٦٠٥]) . الايضاح: ٥/ ١٦٠ .

([٦٠٦]) .المصدر نفسه: ٥/ ١٦٠ .

([٦٠٧]) . ينظر: البلاغة تطور وتاريخ: ٣٥٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بين الكناية والمجاز من جهة القرينة، اذ يدرس علاقة الكناية التي يسميها(علاقة الردف والتبعية) وهي ان استعمال اللفظ في غير معناه الذي وضع له لا يتم الا عند وجود علاقة تربط المعنيين: المعنى الكنائي الذي استعمل فيه اللفظ، والمعنى الاصلي الذي كني به، كما هو الحال في المجاز[٦٠٨].ثم يبحث الفرق بين الكناية والمجاز، اذ يرى بان اسلوب الكناية يختلف عن اسلوب المجاز في ان اسلوب المجاز يشتمل على قرينة تمنع من ارادة المعنى الاصلي للفظ، فقولنا: (عجبت من الجيفة كيف يطغى) مجاز مرسل علاقته: بحسب ما سيؤول اليه الانسان بعد موته حيث اطلق لفظ (الجيفة) وأريد بها الانسان الحي، والقرينة ان الجيفة يستحيل ان تطغى، وتلك القرينة تمنع ارادة المعنى الاصلي للجيفة.. وكذلك الاستعارة في قوله تعالى چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ چ[٦٠٩] ، وفي قوله تعالى چ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ چ[٦١٠] القرينة فيهما تمنع ارادة المعنى الاصلي للطغيان وتمنع ارادة المعنى الحقيقي للذل، اما القرينة في اسلوب الكناية فإنها لا تمنع ارادة المعنى الاصلي للفظ ففي الشواهد المتقدمة لا تمنع القرينة من ان يعض الظالم المتندم على يديه يوم القيامة في قوله تعالى: چ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ چ[٦١١] وان يقلب صاحب الجنة التي صارت خاوية كفيه حال ندمه ... الا اذا عرض عارض خارجي يمنع ارادة

([٦٠٨]) . ينظر: علم البيان: ٢٠٠ .

([٦٠٩]) . الحاقة: ١١.

([٦١٠]) . الإسراء: ٢٤.

([٦١١]) . الفرقان: ٢٧.

www.manaraa.com

المعنى الاصلي في الكناية فعندئذ يمتنع ارادته بسبب هذا العارض [٦١٢]، كما في قوله تعالى چ ذ ذ ث ثڎ ڎ ٹ ٹ ڈ چ[٦١٣] وذلك على القول بان الكاف اصلية وان الآية تفيد نفي المثلية عن الله عز وجل بطريقة الكناية، اذ نفى مثل المثل يستلزم نفي المثل، ويمتنع في الآية ارادة المعنى الاصلي، وهذا الامتناع ليس بسبب القرينة، بل بسبب عارض خارجي وهو افادة ثبوت المثل لله عز وجل وذلك محال.. ويجوز جعل الكاف صلة زائدة فلا يكون في الآية كناية حينئذٍ[٦١٤]، والسؤال المطروح في هذا الاستدراك: هل تعدّ قضية الانتقال من اللازم الى الملزوم في الكناية، والانتقال من الملزوم الى اللازم في المجاز، مسألة اعتبارية فعلا؟، وماذا كان يعني بالاعتبارية؟ هل كان يعني بها (القياسية)[٦١٥]، وأن القزويني كان عليه أن يتابع، ويقيس على ما جاء به السكاكي فيما يخص الفرق بين الكناية والمجاز؟، أم إنه كان يعني بالاعتبارية، الاتعاظ، والتأمل بما مضى لأخذ العبرة (consideration)، واذا كانت بهذا المعنى لم يعترض الدكتور ضيف، ويقترح على الخطيب أن يتخطاها، واللازم والملزوم مصطلحان نحن بأمسّ الحاجة الى معرفتهما بصورة اوضح، بوساطة الاطلاع على اقوال القدماء ورأي المحدثين فيها، أم إنها مسألة معقدة يحاول المحدث ان يتخطاها؛ لأنها مسألة رياضية تتعلق بالمنطق

([٦١٢]) . ينظر: علم البيان: ٢٠١ .

([٦١٣]) . الشورى: ١١.

([٦١٤]) . ينظر: علم البيان: ٢٠٢ .

([٦١٥]) . ينظر: معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي: ٣٤٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والفلسفة، وذلك من أهم الاسباب التي جعلت بعض الدارسين المحدثين يدعون الى تجديد البلاغة وتقليص بعض مصطلحاتها.

ويبدو أن الخطيب حين اعترض على تفريق السكاكي بين الكناية والمجاز[٦١٦]، وهو ان الكناية هي الانتقال من اللازم الى الملزوم، والمجاز بالعكس، فاعتراضه يعني ان اللازم اما مساو للملزوم او اعم منه، والانتقال في الكناية من اللازم الاعم الى الملزوم الاخص غير صحيح، ولو افترضنا مثال: زيد طويل النجاد، فعلى أساس كلام الخطيب وباعتبار كون(طويل النجاد) هو(اللازم)، وكون(طويل القامة)هو (الملزوم)، والكناية هنا انتقال من معنى(طول النجاد)، وهو (الاعم)، الى معنى (طول القامة) وهو(الاخصّ)،غير صحيح بناءً على تفريق السكاكي من وجهة نظر الخطيب. لماذا؟ لان قولنا فلان طويل النجاد اي طويل القامة، وفلانة نؤوم الضحى اي مرهفة مخدومة غير محتاجة الى السعي بنفسها في اصلاح المهمات، وذلك ان وقت الضحى وقت سعي النساء العربيات في امر المعاش، وكفاية اسبابه.... وعليه لا يمتنع ان يراد مع ذلك طول النجاد والنوم في الضحى من غير تأويل[٦١٧]،فالمعنى هنا حقيقي، وهنا تنتفي علاقة الاعم والاخص، والملزوم هنا مساو للازم، اما في المجاز فالانتقال من الاسد، وهو الملزوم الى الشجاعة وهي اللازم على رأي السكاكي، فالمجاز اصبح هنا انتقال معنى شجاعة الاسد الى معنى شجاعة زيد

([٦١٦]) . الايضاح:٥/ ١٦٠ .

([٦١٧]) . ينظر: المصدر نفسه: ١٥٨/٥ .

www.manaraa.com

مجازا، في شرط التحقق عند السكاكي، ورد الخطيب بان المجاز احيانا قد يكون انتقالا من اللازم الى الملزوم وليس كما قال السكاكي، نحو: امطرت السماء نباتا، ولا يشترط اللزوم بين الطرفين في المجاز[٦١٨]؛ فالقزويني يقول إن هذا الشرط اي اللزوم لو قيل من خواص الكناية بين الطرفين دون المجاز لاندفع اعتراضه هذا[٦١٩].

وعليه نستطيع القول إنّ الكناية عند القزويني، وساطة بين الحقيقة والمجاز، اما عند السكاكي فهي حقيقة لاستعمال اللفظ في معناه، وان اريد به لازم ذلك المعنى[٦٢٠]، وقد علل المتأخرون مذهب القزويني بأن (الكناية: اخراجها بناءً على انها واسطة لا حقيقة ولا مجاز، اما انها ليست حقيقة؛ فلانها اللفظ المستعمل فيما وضع له، والكناية ليست كذلك . واما انها ليست مجازا فلأنه اشترط فيه القرينة المانعة عن ارادة الحقيقة؛ والكناية ليست كذلك. ولهذا اخرجها من تعريف المجاز)[٦٢١]؛ فالخوض اذن في هذه المسألة ليس اعتباريا؛ لان للقزويني والمحدثين وجهة نظر فيها، ومسألة التفريق بين الكناية والمجاز مسألة مهمة والا لمَ سمي المجاز مجازا، والاستعارة استعارة، لولا ذلك الفرق في الانتقال بين اللازم والملزوم.

([٦١٨]) . ينظر: تعليق محمد عبد المنعم خفاجي على الايضاح: ١٦١/٥ .

([٦١٩]) . ينظر: الايضاح:٥/ ١٦١ .

([٦٢٠]) . ينظر: اساليب البيان في القرآن: ٧٢٤ .

([٦٢١]) . حاشية الدسوقي،(شروح التلخيص): ٤/ ٢٦، وينظر: اساليب البيان في القرآن: ٧٢٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الاستدراكات التي وردت على الخطيب القزويني في علم البديع

لا تكمن أهمية (البديع) في تعريف هذا العلم، أو معرفة تاريخ تأسيسه، او الى أين انتهى ؟ فليس هناك اختلاف في ان معنى البديع يدور حول التحسين والتزيين في اللفظ والمعنى[٦٢٢]، وان ابن المعتز اول من قام بجهد علمي جاد في تأسيس علم البديع، ووضع المصطلحات العلمية لفنونه، في كتابه البديع[٦٢٣]، بغض النظر عن دعوة بعض الباحثين في النظر الى اولية ابن المعتز في الاختراع والتأليف في (البديع) بحذر شديد[٦٢٤]، بقدر اهمية النظر في كونه مقصورا على العرب، ومن اجله فاقت لغتهم كل لغة[٦٢٥]، على حد قول الجاحظ، وهي قضية تتعلق بالدراسات البلاغية المقارنة، التي لم نرَ لها بصمة واضحة فيما عدا الترجمات القليلة لكتب البلاغة الغربية، وهل ان البديع علم يقصد به

([٦٢٢]) . ينظر: في البلاغة العربية، علم البديع، محمود احمد حسن المراغي: ١١.

([٦٢٣]) . ينظر: المصدر نفسه: ١١.

([٦٢٤]) . ينظر: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ٤٤٤.

([٦٢٥]) . ينظر: البيان والتبيين: ٤/ ٥٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الزخرفة لذاتها؟، أم ان له اثرا في أداء المعاني[٦٢٦], وما دامت غاية البلاغة في نظر المحدثين ليست وقفا على تغذية الفكر وحده، بل وتهذيب قوى نفسية اخرى كقوة الانفعال وقوة الارادة، وفي نظرهم ايضا، ان الدراسة النظرية ضاقت عن العناية بها[٦٢٧]، فهل يعدّ البديع في نظرهم علما ذا اهمية، خصوصا وانهم اقترحوا اعتماد خطة لدراسة البلاغة دراسة اسلوبية تسندها دراسة الفنون وعلم النفس والدراسات الجمالية، كما فعل امين الخولي[٦٢٨]، واحمد الشايب الذي يرى ان الادب، نثره ونظمه ينحل الى اربعة عناصر رئيسة: العاطفة والفكرة والخيال، والعبارة ويرى أنّ وسيلة القوة الفكرية والاقناع التي تهدف اليها البلاغة، هو الصورة، التي تختصر علم البيان وقسما من البديع[٦٢٩]، ام انهم يضعون هذا العلم في مصاف المباحث البلاغية التي يسعون الى تقليصها من البلاغة العربية، وفق الخطط المقترحة لدراسة البلاغة؟.

يكفي أن نشير الى انه اصبح للبديع افق جديد من منظور الدراسات البلاغية الحديثة كاللسانيات النصية، وهو فاعليته في (ربط اجزاء النص) بعد ان كان منظور اليه كمجرد وسيلة (تحسين) في اللفظ او المعنى[٦٣٠],

---

([٦٢٦]) . ينظر: البديع بين أبي الاصبع العدواني المصري والخطيب القزويني، عواطف صالح بن سالم الحربي: ٢١.

([٦٢٧]) . ينظر: الفكر البلاغي الحديث، مصطفى الجويني: ٣٨.

([٦٢٨]) . ينظر: المصدر نفسه.

([٦٢٩]) . ينظر: الاسلوب، احمد الشايب: ١٠، ١١، و: الفكر البلاغي الحديث: ٣٨.

([٦٣٠]) . ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد: ٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فضلا عن أن علم البديع هذا اصبح يعالج بكثير من الدراسات التي ترتبط بتحليل النص دلاليا، وصوتيا، وجماليا، مثل(التوازي) الذي صار إطارا عمليا نستطيع من خلال معطياته ان نتلمس صلة المعطيات التي يمنحها لنا النصّ بما فيه من دلالة، صوتية ،وجمالية، بوساطة فنون البديع[٦٣١]، وهي فنون كانت تقوم على أساس الاعتقاد الراسخ أنها مجرد زينة طارئة وزخرف بهدف التحسين والتنميق، وبفضل دوران عجلة البحث والدراسة فيها اصبحت ينظر اليها، بوصفها ركنا مهما في بناء العمل الفني، بوصفه كلا متكاملا، وبوصف الفعالية الايقاعية لهذه الظواهر ليست بسيطة او عرضية[٦٣٢].

أمّا ما جاء به الخطيب القزويني فهو المعتمد حتى الان في دراسة البديع، دون نظر الى ذلك السيل الجاف الذي اتى به من قبله من الوان البديع، ومن جاء بعده من اصحاب البديعيات، التي وصلت على أيدي اصحابها الى اكثر من مائتي نوع[٦٣٣]، ولعل منهج القزويني في تيسير درسه البلاغي القائم على تهذيب المسائل وترتيب المادة البلاغية وتنظيمها وايراد الشواهد وشرحها وتعريف المصطلحات بالتعاريف الواضحة الموجزة والتعبير عنها بأسلوب واضح من غير تكلف ولا وعورة، هو ما يجعله في مقدمة المناهج التي اتجهت الى تيسير البلاغة وتبسيطها عند القدماء ولعل

([٦٣١]) . ينظر: البديع والتوازي،عبد الواحد حسن الشيخ: ٣٠.

([٦٣٢]) . ينظر: الاسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي: ٢٨٩.

([٦٣٣]) . ينظر: فن البديع، عبد القادر حسين: ٤٣.

www.manaraa.com

هذا هو الذي جعل الدارسين من بعده يهتمون به اشد الاهتمام ، ويعدونه مرجعهم الاساس في إحراز فنون البلاغة[٦٣٤].

وخلاصة القول في البديع، بين الخطيب القزويني والدراسات البلاغية الحديثة، إن الخطيب القزويني لم يقصد فصل البديع عن البلاغة، التي جزم الدكتور احمد مطلوب على انه جعلها محصورة في المعاني والبيان[٦٣٥]؛ استنادا الى قول القزويني:(ان البلاغة في الكلام مرجعها الى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، والى تمييز الكلام الفصيح من غيره، والثاني . اعني التمييز منه ما يتبين في علم متن اللغة او التصريف، او النحو، وهو يدرك بالحس، وهو ما عدا التعقيد المعنوي، وما يحترز به عن الاول . أعني الخطأ . وهو علم المعاني، وما يحترز به عن الثاني . اعني التعقيد المعنوي . هو علم البيان، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته، هو علم البديع)[٦٣٦]، فالباحث برؤيته المتواضعة لا يرى في نصّ القزويني ما يوحي بانه فصل البديع عن البلاغة فصلا تاما؛ فمن ناحية القرائن اللفظية، هو استعمل (الواو) للربط بين علوم البلاغة: المعاني، والبيان، والبديع، ولو انه استعمل(اما) مثلا قبل ذكره الكلام عن البديع؛ لاحتمل ان يكون هناك مجال للفصل. ومن ناحية القرائن الحالية التي استوحيتها من كلام

([٦٣٤]) . ينظر: تيسير البلاغة في كتب التراث: ٥٩.

([٦٣٥]) . ينظر: فنون بلاغية، احمد مطلوب: ٢٠٧.

([٦٣٦]) . الايضاح: ١/ ٥٠.

www.manaraa.com

القزويني نفسه، انه لو أراد ما تقدم لما اشار بعد نصّه هذا الى ان:(كثير من الناس يسمي الجميع علم البيان، وبعضهم يسمي الاول علم المعاني، والثاني والثالث علم البيان، والثلاثة علم البديع)[٦٣٧] ،فالقزويني جعل البديع الفن الثالث من فنون البلاغة، وبذلك يكون اول من بنى البلاغة على ثلاثة فنون[٦٣٨]، ولو كان ينوي الفصل، واقتصار البلاغة على علمي المعاني والبيان؛ لما استعمل القزويني كلمة (الجميع)، كما انه قال في آخر البحث في علم البديع:(هذا ما تيسر بإذن الله تعالى جمعه وتحريره من اصول (الفن الثالث) ...)[٦٣٩]، وبه يكتمل مثلث علوم البلاغة في المعاني والبيان والبديع[٦٤٠]، لذلك يكون من الاجحاف ان نطلق على القزويني احكاما لا تنبيء الا عن جفاف اصحابها في النظر الى المادة البلاغية، لا جفاف القزويني من جهة، والى سريان مرض الاتكاء على احكام سابقة دون التمحيص في مدى صحتها لو خطأها ، وبثها في أثناء البحوث التي ستكون مرجعا لباحث آخر يتلقفها ويكرر المنهج وهكذا دواليك، حتى تسري المعلومة الواهمة في أثناء الدراسات، من جهة أخرى.

([٦٣٧]) . الايضاح: ١/ ٥١.

([٦٣٨]) . ينظر: المنهج البلاغي عند الجرجاني والقزويني في كتابيهما الاسرار والتلخيص: ١١٥، وينظر: الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي: ١٨٣.

([٦٣٩]) . الايضاح: ١١٨/٦.

([٦٤٠]) . ينظر: في البلاغة العربية، علم البديع، محمود احمد حسن المراغي: ٥.

www.manaraa.com

الاستدراك الاول

استدراك د. شفيع السيد في التحول في معنى البديع وتشقيق الظواهر

يعترض الدكتور شفيع السيد على التحول الذي حصل في معنى (البديع) وتخصيصه على يد السكاكي ومدرسته، وصيرورتها اسما لفرع من فروع الدراسات البلاغية، ويعترض على اقصاء الاستعارة من البديع كما كان عند ابن المعتز ، واقتصار المعنى الاصطلاحي عند السكاكي والخطيب (على وجوه تحسين الكلام) التي تكون إما لفظية او معنوية[٦٤١]، وفي ضوء تعريف القزويني لعلم البديع:(علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة)[٦٤٢] يستدرك عليه بأنه بهذا التعريف قد أكد صراحة عزل الظواهر الأسلوبية بعضها عن بعض، واصبح دور(علم البديع) بمقتضاه دورا هامشيا أشبه بالتلوين الخارجي الذي لا تأثير له على جوهر المعنى[٦٤٣]، وكأن عملية التعبير اللغوي في مجال الفن او حتى في غير الفن عملية متمايزة العناصر، يمكن

([٦٤١]) . ينظر: البحث البلاغي عند العرب، تأصيل وتقييم، د. شفيع السيد:٢١٨ .

([٦٤٢]) . الايضاح: ٦ / ٤.

([٦٤٣]) . ينظر البحث البلاغي عند العرب: ٢١٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التحكم في عنصر منها دون الاخر، مضيفا أن المتأخرين قد خلعوا على هذه العملية المعقدة بطبيعتها صورة من الواقع الخارجي، وعاملوها على هذا الاساس، وما أبعد الفرق بينهما[٦٤٤].

مما يبدو من رأي الدكتور شفيع السيّد أنه يعترض على تقسيم البلاغة الى العلوم الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع، وان حق الاستعارة ان تكون داخلة ضمن مباحث البديع، لا مفصولة عنه، مما يعني انه ينظر الى البديع على انه لا يقتصر فقط على (وجوه تحسين الكلام)، كما اراد السكاكي، حتى انه يرى في هذا الاقصاء جنايته على مسار الدرس البلاغي[٦٤٥].

وفي هذا الاستدراك وقع تناقض في كلام الدكتور شفيع السيّد؛ لأنه في البداية قال إن ابن المعتز حين استعمل كلمة (البديع) عنوانا لكتابه، لم يكن يقصد بها المعنى الذي تطورت اليه عند البلاغيين، منذ عصر السكاكي واتباعه، وانما كان يقصد به دلالتها المعجمية بمعنى الشيء الطريف او الجديد الذي لم يسبق اليه[٦٤٦]، بمعنى انه لم يجعل الاستعارة ضمن علم بعينه من علوم البلاغة، خصوصا وان الكثير من الناس كان يسمي الجميع علم البيان، وبعضهم يسمي الأول علم المعاني، والثاني

([٦٤٤]) . ينظر: البحث البلاغي عند العرب: ٢١٨.

([٦٤٥]) . ينظر: المصدر نفسه: ٢١٩.

([٦٤٦]) . المصدر نفسه: ٢١٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والثالث علم البيان، والثلاثة علم البديع[٦٤٧]، وهذا ما لم يفت القزويني الاشارة اليه في الايضاح. ثم يعترض على طريقة السكاكي والقزويني في اقصاء الاستعارة من (البديع) ، كما كان عند ابن المعتز، وكلامه نفسه دل على التناقض الذي وقع فيه، والذي اشرت اليه آنفا. لكن الدكتور شفيع السيد، اراد ان يصل الى فكرة وهي ان البديع لا يقتصر على (وجوه التحسين في الكلام)، بل هو علم يتداخل في علم المعاني ، كما يتداخل في علم البيان، وله تأثير على جوهر المعنى[٦٤٨] بحسب الغرض من الاستعارة، والتي اختلف البلاغيون فيها منذ القدم، وفي العلاقة بين المستعار والمستعار له، ونسبة التناسب بينهما[٦٤٩]؛ سواء اكانت الاستعارة مجازا علاقته المشابهة كما عند الخطيب القزويني ، او مجاز علاقته التشبيه بقصد المبالغة كما عند الجرجاني والسكاكي والسبكي[٦٥٠]، وكأنه يتوافق مع الدكتور رجاء عيد حين رأى بأن التعبير الاستعاري ليس مجرد استخلاص لصفات مشتركة بين طرفيه، فقد يكون صورة لمشاعر صاحب التعبير تجاه الاشياء وموقفه نحوها، ويتضح ذلك في المنحى الاستعاري الذي يتواءم مع هذه المشاعر[٦٥١]، وبذلك يكونان متفقين على الاعتراض على ظاهرة التشقيق، والانفصال بين الظواهر البلاغية.

([٦٤٧]) . ينظر: الايضاح: ١/ ٥١.

([٦٤٨]) . ينظر: البحث البلاغي عند العرب: ٢١٨.

([٦٤٩]) . ينظر: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ٣٣٩. ٣٤٦.

([٦٥٠]) . ينظر: الايضاح: ٥/ هامش: ٣٧.

([٦٥١]) . ينظر: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ٣٣٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستدراك الثاني

استدراكات الدكتور احمد مطلوب على الخطيب في كتابه القزويني وشروح التلخيص في(علم البديع)

بحث الدكتور احمد مطلوب علم البديع عند الخطيب القزويني ودرسه دراسة مستفيضة، في كتابه(القزويني وشروح التلخيص)، ولقد استدرك عليه في عدة مواطن منها:

١. ان الخطيب القزويني لم يقدم جديدا في هذا الفن البلاغي، وكل ما فعله هو توزيع موضوعاته على المحسنات المعنوية واللفظية، وبذلك اوقف هذا الفن البديع، وجعله هياكل لا تغني ولا تفيد في دراسة الادب ونقده، لكن الدكتور أحمد مطلوب يستدرك على رأيه هذا بقوله: لكن الباحث ـ مع ذلك ـ يستفيد كثيرا من مصطلحات البديع عنده؛ لأنها الصورة الاخيرة التي وقفت عندها كما يستفيد من بعض التقسيمات والامثلة التي عرضها، وهي استفادة لا بأس بها[٦٥٢].

ولي على هذا الاستدراك استدراك؛ لأن فيه شيئا من التناقض؛ فليس كل ما قام به الخطيب هو توزيع موضوعات البديع على المحسنات اللفظية والمعنوية، واساسا من اتجه نحو ذلك هو السكاكي، استنادا الى كلام د.

([٦٥٢]) . ينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٤٣٢ ، ٤٣٣ .

www.manaraa.com

احمد مطلوب نفسه في كتابه(البلاغة عند السكاكي)، ففي صفحة (٢٩٢) منه ذكر، د. أحمد مطلوب ان جهود السكاكي في البديع كانت ترتيبا لمسائله وفصله عن المعاني والبيان، وتقسيمه الى: ما يتعلق بالمعنى، والى ما يرجع الى اللفظ او الى: محسنات معنوية، ومحسنات لفظية. واشار الى ان تقسيم السكاكي هذا لم يكن في الواقع الا تمحلا واغراقا في التقسيم، فليس للمحسن او البديع معنى ما لم يقصد فيه الى معنى خاص وغرض معين[٦٥٣]، وهذا ما لم يتابع فيه الخطيب السكاكي فيما يخص البديع؛ فقد رتب مسائله، ووزع موضوعاته كل بحسب الغرض منه والقصد، ووفق ذلك قسم البديع على قسمين، كما هو معروف، والدليل الثاني على التناقض في كلام د. أحمد مطلوب في استدراكه هذا، انه قال في نفس كتابه:(البلاغة عند السكاكي)،صفحة(٣٢٣) ان السكاكي لم يحدد معنى هذه المحسنات او البديع، كما حدد المصطلحات الاخرى، او كما حدده الخطيب القزويني من بعده، وبهذا لا يكون في رأيي ان يستحق القزويني ان يوصف بانه اوقف هذا الفن البديع، وجعله هياكل لا تغني ولا تفيد في دراسة الادب، بل استحق ان يقال عنه: بانه هو من قام برعاية بذرة استقلال علم البديع على يد ابن مالك(٦٨٦هـ)، حتى كبرت وتشعبت واينعت، واتت اكلها[٦٥٤].

([٦٥٣]) . ينظر: البلاغة عند السكاكي: ٢٩٢.

([٦٥٤]) . ينظر: البديع بين ابي الاصبع العدواني المصري والخطيب القزويني: ١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢. لم يستطع الخطيب القزويني أن يوضح قيمة فنّ التقسيم وهو أحد فنون المحسنات المعنوية، او أن يشير الى أهميته في الكلام[٦٥٥]، وربما كان السبب في انتقاده للخطيب في هذا هو عدم تكلم الخطيب عن فساد التقسيم، مثل ما ذكره قدامة بن جعفر في باب فساد التقسيم كـ(التكرار) كقول هذيل الاشجعي:

فما برحت تومي إليّ بطرفها وتومض أحيانا اذا خصمها غفل[٦٥٦]

ودخول أحد القسمين في الآخر كقول احدهم:

أبادر إهلاك مستهلك لما لي او عبث العابث[٦٥٧]

أو أن يكون القسمان مما يجوز دخول احدهما في الاخر كقول ابي عدي القرشي:

غير ما ان اكون نلت نوالا من نداها عفوا ولا مهنيا[٦٥٨].

أو أن يترك بعض الاقسام مما يحتمل الواجب تركه، كقول جرير في بني حنيفة:

([٦٥٥]) . ينظر: القزويني وشروح التلخيص:: ٤٣٥ .

([٦٥٦]). ينظر: سر الفصاحة: ١٨، وينظر: البصائر والذخائر: ١١٦٠، نقد الشعر: ٧٥.

([٦٥٧]) . ينظر: نقد الشعر: ٧٥.

([٦٥٨]) . ينظر: نقد الشعر: ٧٦.

www.manaraa.com

صارت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها[٦٥٩].

كما أشار هو الى ذلك في موضع اخر من كتابه (القزويني وشروح التلخيص)[٦٦٠]، او ربما؛ لأنه يعد فن التقسيم من المذاهب غير العربية في النقد حتى وان كان الشعراء وغيرهم يستعملونه في أساليبهم، فضلا عن كونه احد مباحث المنطق كما أشار هو الى ذلك في بداية حديثه عن التقسيم[٦٦١]، ولا أخال القزويني يتعمد اعتماد الادوات المنطقية؛ ما لم يستدع البحث منه ذلك.

٣. ان تقسيم الخطيب القزويني للجناس لا بأس به وبمقارنة ما كتب عن الجناس وإمعان النظر فيما ورد منه في الكلام يتبين إن تقسيم القزويني احسن هذه التقسيمات وابعدها عن الاسراف، ولهذا يمكن ان نعدها اصول الجناس[٦٦٢].

٤. يشير الدكتور احمد مطلوب الى ان الخطيب القزويني لم يذكر ضربا او نوعا آخر من انواع الجناس الذي ذكره علماء البديع المتأخرون، وهو الجناس المعنوي، كما اشار الى ان ابن حجة الحموي قد تكلم عليه فيما بعد، يقول:(المعنوي طرفة من طرف الادب عزيز الوجود، ولم يذكره

---

(٦٥٩) . ديوان جرير: ٤٥٨.

(٦٦٠) . ينظر: القزويني وشروح التلخيص:: ٤٣٥ .

(٦٦١) . المصدر نفسه: ٤٣٣ .

(٦٦٢) . المصدر نفسه: ٤٤٠ .

www.manaraa.com

الشيخ جلال الدين القزويني في التلخيص ولا في الايضاح)[٦٦٣]، والجناس المعنوي، ضربان: تجنيس اضمار، وتجنيس اشارة، والمعنوي المضمر هو ان يضمر الناظم ركني التجنيس ويأتي في الظاهر بما يرادف المضمر للدلالة عليه، فان تعذر المراد اتى فيه بلفظ فيه كناية لطيفة تدل على المضمر بالمعنى كقول ابي بكر بن عبدون، وقد اصطبح بخمرة ترك بعضها الى الليل فصارت خلا:

ألا في سبيل اللهو كأس مدامة أتتنا بطعم عهده غير ثابت

حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة وأمست كجسم الشنفري بعد ثابت[٦٦٤]

والضرب الثاني من المعنوي: جناس الاشارة والكناية، وسبب وروده في النظم ان الشاعر يعقد المجانسة في بيته بين الركنين في الجناس فلا يوافقه الوزن على ابرازهما فيضمر الواحد، ويعدل بقوته الى مرادف فيه كناية لطيفة تدل عليه، وهذا لا يتفق في الكلام المنثور[٦٦٥].

وعقب الدكتور أحمد مطلوب في ان هذا لا تعلق له فيما نحن فيه، واستدرك للقزويني في انه اهمله لهذا السبب، ولم يشرْ إليه مع ان فخر الدين الرازي ومعاصره الشهاب محمود ذكرا تجنيس الاشارة[٦٦٦]، وحقيقة الامر ان عدم ذكر الخطيب للجناس المعنوي كان عن قصد؛ فعندما

([٦٦٣]) . خزانة الادب: ٤١ ، وينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٤٤١ .

([٦٦٤]) . ينظر: نصرة الثائر، الصفدي: ١٣/١.

([٦٦٥]) .ينظر: خزانة الادب: ٤١وما بعدها، وينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٤٤٢ .

([٦٦٦]) . ينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٤٤٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

راجعت (المحسنات اللفظية) التي ورد فيها كلام القزويني عن (الجناس)، وجدت انه بدا بذكر(الجناس بين اللفظين)، الذي عرفه بانه:(تشابههما في اللفظ)[٦٦٧]، ثم بعد ان ذكر انواعه التي بلغت سبعة ، انهى الباب بقوله:(انتهت المحسنات اللفظية)، وكان قد تقدمها البحث في (المحسنات المعنوية)، مما يعني انه هو من يرى ان ذكر(الجناس المعنوي) لا تعلق فيما نحن فيه . اي القول في المحسنات اللفظية . بدليل متابعته لكلام الشيخ عبد القاهر الجرجاني، في ان اصل الحسن في (القسم اللفظي) هو ان تكون الالفاظ تابعة للمعاني، فان المعاني اذا ارسلت على سجيتها ، وتركت وما تريد، طلبت الالفاظ، ولم تكتس الا ما يليق بها، وكأن القزويني لا يرى في (الجناس المعنوي) ما يهم ذكره لما فيه من تكلف، على حساب المعنى، والدليل على ذلك قوله:(قد يقع في كلام بعض المتأخرين ما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع الى ما له اسم في البديع على ان ينسى انه تكلم ليفهم ويقول ليبين، ويخيل اليه انه اذا جمع عدة من اقسام البديع في بيت فلا ضير ان يقع ما عناه في عمياء، وان يوقع السامع طلبه في خبط عشواء)[٦٦٨] ، ويبدو انه عدّ . ما خلا ما ذكره . من المحسنات اللفظية والمعنوية، مثل (الجناس المعنوي) الذي عرف المضمر منه أن:(يضمر الناظم ركني التجنيس ويأتي في الظاهر بما يرادف المضمر بلفظ فيه كناية لطيفة تدل على المضمر بالمعنى، افراط بقصد التكثير، وكلا نوعي

([٦٦٧]) . ينظر: الايضاح: ٦/ ٩٠.

([٦٦٨]) . المصدر نفسه: ٦/ ١١٦. ١١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجناس المعنوي(الجناس المضمر وجناس الاشارة والكناية) التي لم يذكرها القزويني هو ما يشبه نوعا من التلاعب بالألفاظ، لا يتفق ورأي الجرجاني بانه لا يستحسن تجانس اللفظتين الا اذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا)[٦٦٩].فليس من الحميد ان يضمر ركني الجناس او احدهما، وقد علم ان الجناس اساسا من المحسنات اللفظية، وفق ما قسمه القزويني.

٥. يستدرك الدكتور أحمد مطلوب على القزويني بانه قد اتجه اتجاها لا يحمد عليه وهو إخراجه البديع عن البلاغة، ولم يوافق الخطيب في رأيه بان: البديع ملحق بها يؤتى به للزينة وتحسين الكلام، وعده أمرا غير صحيح؛ واستدرك عليه بقوله:(بل المعنى هو الذي يتطلبه ، وقد يجيء فن بديعي وحده في الكلام فيزينه، ويجعل له تأثيرا عظيما وقد انتبه العلماء لأهمية فنون البديع واعتبروها كفنون البلاغة والنقد الاخرى، لها قيمتها واثرها في التعبير، وان ما ذكره القزويني منها ضروري ولا يمكن الاستغناء عنه، اما ما ذكره المتأخرون فمعظمه مما لا قيمة له، لان البديع ليس حلية يؤتى بها قسرا، وقد جرد القزويني كتابه منها ولم يأت الا بما فيه النفع وله اهمية في التعبير)[٦٧٠]؛ لكن الدكتور أحمد مطلوب بعد ان اعترض على اخراج البديع عن البلاغة وفصله عنها من قبل الخطيب القزويني، عاد ليستدرك على نفسه بان لفصل البديع عن المعاني والبيان وجعله ذيلا له

([٦٦٩]) : ينظر: أسرار البلاغة: ٧.

([٦٧٠]) . القزويني وشروح التلخيص: ٤٤٤ .

www.manaraa.com

كما فعل القزويني اثر في اتجاه الادباء في عصر القزويني وما بعده الى البديع ودراسته دراسة عميقة واسعة، كما في (بديع القرآن) و(تحرير التحبير) لابن ابي الاصبع المصري، وما تلاها من بديعيات مثل بديعية صفي الدين الحلي (ت٧٥٠هـ) وهي مائة وخمسة وأربعين بيتا من بحر البسيط وروي الميم مطلعها:

إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم واقرَ السلام على عرب بذي سلمٍ[٦٧١]

وضمن كل بيت منها محسنا من محسنات البديع[٦٧٢]. وقضية إخراج القزويني البديع من البلاغة او فصله عنها قضية وقع فيها لغط كثير ، وقد أشرت إليها في بحثي هذا[٦٧٣].

٦. وقف الدكتور مطلوب موقف المؤيد للقزويني حين أدخل الثاني المقابلة في المطابقة[٦٧٤]. على الرغم من تفريق الدكتور أحمد مطلوب بين المطابقة والمقابلة من وجهين:

الاول . ان المطابقة لا تكون الا بالجمع بين ضدين، والمقابلة تكون غالبا بين اربعة اضداد، ضدين في صدر الكلام، وضدين في عجزه.

([٦٧١]) . ينظر: شرح الكافية البديعية، صفي الدين الحلي: ٥٧,

([٦٧٢]) . ينظر: القزويني وشروح التلخيص:: ٤٤٥ .

([٦٧٣]) . ينظر القزويني في الدراسات البلاغية الحديثة: ٥٩ . ٦٠، ٧٢.

([٦٧٤]) . ينظر: الايضاح: ٦/ ١٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثاني . ان المطابقة لا تكون الا بالأضداد، والمقابلة بالأضداد وغير الاضداد، ولكن بالأضداد أعلى رتبة، واعظم موقعا، الا ان د. احمد مطلوب يعد هذا الاختلاف اختلافا شكليا بين الفنين، واي فرق بين الجمع بين ضدين او اكثر[٦٧٥]، وعد الدكتور مطلوب ابن حجة الحموي ومن قبله ابن ابي الاصبع بانهما كانا مولعين بالتقسيمات وتفريع الفن الواحد الى فروع عدة[٦٧٦] لأجل التباهي بإيجاد فنون بلاغية او بديعية جديدة ، لذلك عد القزويني اسلم نظرا، واصوب رأيا، لأنه لم يرد أن يفرع الفن الواحد الى فنون، تقليلا للمصطلحات والاقسام التي لا قيمة لها في البلاغة و النقد[٦٧٧].

٨. انتقد ابن حجة، القزويني في التورية في انه لم يفصل الكلام فيها، ولم يعرض انواعها التي عاشت في كلام المتأخرين، يقول:(واما صاحب التلخيص فانه قال مشيرا الى البديع: ومنه التورية وتسمى الايهام ايضا، وهي ان يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد وهي ضربان: مجردة ومرشحة، ولم يزد على ذلك)[٦٧٨]، لكن الدكتور استدرك عليه بقوله:(وهذا القول صحيح بالنسبة لما ذكره القزويني في التلخيص، ولكن فيه بعدا عن

([٦٧٥]) . ينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٤٥١ .

([٦٧٦]) . ينظر: خزانة الادب: ٥٧ .

([٦٧٧]) . ينظر: القزويني وشروح التلخيص.: ٤٥١ .

([٦٧٨]) . خزانة الادب: ٢٤٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحقيقة)[٦٧٩] بالنسبة لما جاء في الايضاح فقد تكلم عليها وذكر امثلة كثيرة[٦٨٠].

الاستدراك الثالث

استدراك د. جميل عبد المجيد في تعريف علم البديع

في كتاب (البديع بين البلاغة واللسانيات النصية) للدكتور: جميل عبد المجيد، قام هذا الباحث بمناقشة هذا الفن في فصل أسماه:(الدرس البديعي من الخطيب القزويني وحتى القرن العشرين)، نظر فيه لتفاصيل ما جاء به الخطيب القزويني ابتداءً من التعريف وحتى التقسيمات، مستخلصا منها نتائج قد خفيت على بعض الباحثين وقد وجدنا انه استدرك كثيرا على الخطيب القزويني وكان من استدراكاته فيما يخص تعريف القزويني للبديع، ذلك العلم الذي يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة وهو ضربان معنوي ولفظي)[٦٨١]؛ اذ يرى د. جميل عبد إن غير باحث[٦٨٢] قد جعلوا البديع ذيلا لعلمي المعاني والبيان، ويحصر وظيفته في التحسين والتزيين، وهنا يستدرك بقوله:(ففي هذا غفلة عن الوظيفة الفنية التي قد يسهم البديع في تحقيقها، وهي وظيفة من اخص خصائص الكلام الادبي، ألا وهي وظيفة (الادبية)، كما قد يسهم البديع في اكساب

([٦٧٩]) . ينظر: القزويني وشروح التلخيص: ٤٥٢ .

([٦٨٠]) . ينظر: الايضاح: ٦/٤١.٣٨.

([٦٨١]) . ينظر: الايضاح:٦/ ٤.

([٦٨٢]) . ينظر: الاصول دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، تمام حسان: ٣٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكلام صفة (النصية)، اذ قد يكون لنا ان نفهم من تعريف القزويني للبديع، ان الكلام متى تحقق فيه البديع، فقد تحققت فيه البلاغة كل البلاغة؛ لان البديع لا يعتد به ما لم يتحقق شرطا المطابقة ووضوح الدلالة)[٦٨٣]؛ وهذا بالفعل ما يجب ان يفهم من تعريف الخطيب القزويني للبديع، وبالتحديد في قوله(بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة) وكأنه يقول: ان لا وجود للمحسنات اللفظية والمعنوي ما لم يوجد مطابقة او(تحقق شروط علم المعاني)، وما لم يوجد وضوح الدلالة، او(ما يتحقق بعلم البيان)، ولا وجود للبلاغة من الاصل. وبهذا لن يكون علم البديع مجرد ذيل لعلمي البلاغة المعاني والبديع، بل مكملا لها وقد يأتي بوظائف اكبر من المتوقع كما يريد هذا الباحث ان يصل اليه في كتابه . فهو يرى بان الخطيب القزويني قد تبلور على يديه التحديد والتخصيص في التعامل مع مصطلح(البديع)، فكان هذا من اهم انجازاته؛ حيث حدد للبديع مفهوما يميزه عن مفهومي علم المعاني والبديع[٦٨٤].

([٦٨٣]) . البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد:٣٢.

([٦٨٤]) . ينظر: . البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد:٣٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستدراك الرابع

استدراك د. جميل عبد المجيد في تذييل البديع

أشار الدكتور جميل عبد المجيد الى أن بعض الباحثين قد ذهبوا الى تحميل القزويني مسؤولية تذييل البديع، وحصره في التحسين، فيستدرك عليهم بقوله:(ولست أوافقهم على ذلك؛ لان القزويني في صنيعه هذا كان تابعا للسكاكي، كما كان تابعا له في تقسيم البديع الى معنوي ولفظي)[٦٨٥]، راجعا الى قول السكاكي ـ بعدما تناول علمي المعاني والبيان:(واذ تقرر ان البلاغة بمرجعيها، وان الفصاحة بنوعيها؛ مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين، فها هنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار اليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا ان نشير الى الاعرف منها، وهي قسمان: قسم يرجع الى المعنى، وقسم يرجع الى اللفظ)[٦٨٦]، وبهذا يظهر لنا رأي من آراء الفئة التي نظرت لبلاغة القزويني بعين التحليل الجاد، بعيدا عن تلك الآراء التي تناقلتها الاقلام بشكل مبتسر وتقليدي بعيدا عن البحث والدراسة.

([٦٨٥]) . البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد:٣٤ .

([٦٨٦]) مفتاح العلوم: ٤٢٣.

www.manaraa.com

الاستدراك الخامس

استدراك د. جميل عبد المجيد في منهج القزويني

يرى د. جميل عبد المجيد ان القزويني قد اهمل فنونا بديعية على جانب من الاهمية ــ وخصوصا من منظور بحثه في علاقة البديع بين البلاغة واللسانيات النصية ـ مثل: التكرار، والترديد، والتجزئة، والتشطير، والتفسير[٦٨٧]، وهو يرى بان التحديد والتخصيص وان كان له فضل في تهذيب فنون البديع، التي قد وصلت الى ما يربو على التسعين عند أسامة بن منقذ، وما يربو على المائة والعشرين عند أبي الاصبع المصري واصحاب البديعيات الا ان هذا التهذيب قد بلغ مداه عند الخطيب القزويني[٦٨٨]، وخصوصا في جانب إهماله للفنون التي ذكرها الباحث آنفا.

ويستدرك د. جميل عبد المجيد على الخطيب ايضا انه قد عد من (الاصول) ما هو اولى ـ في رأيه ـ بإلحاقه بعلم البيان وهو التورية،

([٦٨٧]) . ينظر: البديع بين البلاغة واللسانيات النصية:٣٤ .

([٦٨٨]) . ينظر: البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد:٣٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والاستخدام، والتوجيه، وكذلك بعض اضرب التجريد عنده[٦٨٩]، وهو ما كان(نحو قولهم: لئن سألت فلانا لتسألن به البحر)[٦٩٠].

كما يستدرك مقترحا على الخطيب القزويني ان يلحق فنّ(التشريع) بعلم (العروض) والتي عدها القزويني من (الاصول)[٦٩١].

ويبدو أن الدكتور عبد المجيد يرى في ان هناك ما هو اولى باستبعاده من دائرة البحث البلاغي عامة، وهو (القلب)؛ لأنه يرى بأنه ضرب من اللعب والالغاز[٦٩٢]، وهنا ينهي هذا الباحث رحلته في فنّ البديع لدى القزويني بين كونه مادحا له مرة ومستدركا عليه مرارا، وبهذا يكون احد الذين اولو هذه الشخصية البلاغية حقها من البحث والدراسة.

([٦٨٩]) . ينظر: البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد:٣٤.

([٦٩٠]) . الايضاح: ٦ /٥٤ .

([٦٩١]) . ينظر: البديع بين البلاغة واللسانيات النصية: ٣٤ .

([٦٩٢]) . ينظر: المصدر نفسه: ٣٤ .

www.manaraa.com

الاستدراك السادس

استدراك د. الشحات محمد ابو ستيت في المطابقة

من المحسنات المعنوية التي درسها الخطيب القزويني فنّ(المطابقة), ويسمى الطباق والتضاد ايضا وهو:(الجمع بين المتضادين، اي معنيين متقابلين في الجملة)[٦٩٣]. وكان الخطيب قد اورد مثالا شعريا في فاسد ما يلحق بالطباق، وهو قول ابي الطيب:

لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها سرورَ محبٍ أو إساءَة مجرمِ[٦٩٤]

وعلق على البيت بان المبغض هو ضدّ المحب، والمجرم قد لا يكون مبغضا، وله وجه بعيد، فحكم على قول المتنبي بأنه من الطباق الفاسد، لكن هناك من له رأي مخالف لرأي القزويني، وهو السبكي الذي فسر هذا الوجه بأن بين الاجرام والبغض تلازما ادعائيا، كأنه يشير الى ان المجرم

([٦٩٣]) .الايضاح: ٦ / ٦.

([٦٩٤]) . ديوانه: ٣٤/١.

www.manaraa.com

لا يكون الا مبغضا له، لمنافاة حاله حال المجرم[٦٩٥]، ومثل هذا كلمة (إساءة) فإنها ليست ضد السرور ولكن يوجد بينها وبين الحزن الذي هو ضد السرور تلازم.

أما من المحدثين فيرى الدكتور الشحات محمد ابو ستيت، ان المطابقة في بيت ابي الطيب على الوجه الذي قال به السبكي، لا غبار عليها، خصوصا انهم يعتدون بوجود وجه من التقابل ولو كان بتأول، ويستدرك هذا الباحث على الخطيب القزويني بقوله: ومما ينبغي اللفت اليه ان هذا البيت يعدّ مثالا للمقابلة حسب تعريف الخطيب لها، وفي جعله من الطباق نظر، وان كان قد عد المقابلة نوعا من الطباق[٦٩٦]. كما انه يؤيد جعل المقابلة لونا مستقلا يختلف عن الطباق؛ وبهذا فأنه يستدرك على القزويني الذي خالف الجمهور فأدخلها في الطباق وجعلها قسما منه[٦٩٧]، وبتواضع كبير امام رأي القزويني في عده هذا البيت من فاسد الطباق؛ وان (المجرم) لا يشترط ان يكون مبغضا، ارجح رأي السبكي، من المتأخرين، والدكتور شحات محمد ابو ستيت من المحدثين، ولكن من وجهة نظر فنية؛ فليس المحتمل من ابي الطيب انه اراد غير (المجرم) الذي يعني اسم الفاعل الذي يقوم بفعل (الاساءة) التي تعد جرما في حقيقة الامر، وكما نعلم فان المتنبي كان يشكو من عقدة الاضطهاد والشعور بالنقمة على

([٦٩٥]) . ينظر: عروس الافراح: ٤ / ٢٩٥ ، ودراسات منهجية في علم البديع، د. الشحات محمد ابو ستيت: ٤٧ .

([٦٩٦]) . ينظر: دراسات منهجية في علم البديع: ٤٨ .

([٦٩٧]) . ينظر: دراسات منهجية في علم البديع: ٥٣ .

www.manaraa.com

مجتمعه، ولم يكن يتوقع منه الا الاجرام بحقه، بوساطة الاساءة اليه، والا فمن وجهة نظر القزويني لو تعمدت تقمص تعليله للبيت وفساده في الطباق، من وجهة نظر منطقية، تعتمد مثل أدوات السلب والايجاب، فلست اشك في حكمه على فساد البيت من وجهة نظر منطقية.

الاستدراك السابع

استدراك د. الشحات في التورية

قسم الخطيب القزويني التورية على ضربين: مجردة ومرشحة[٦٩٨]، وقد عد التورية في لفظ الغزالة في قول القاضي الإمام ابي الفضل بن عياض في صيفية باردة:

كأن كانون أهدى من ملابسه لشهر تموز انواعا من الحلل

أو الغزالة من طول المدى خرفت فما تفرق بين الجدي والحمل[٦٩٩]

من قبيل المرشحة، حيث ذكر بعدها ما يلائم المعنى القريب وهو: الجدي والحمل[٧٠٠]؛ فالشاهد هنا في الغزالة فالمراد منها المعنى البعيد وهو (الشمس) وقد قرن بها ما يلائم المعنى القريب الذي ليس بمراد وهو الحيوان المعروف بذكر الخرافة وكذا ذكر الجدي والحمل، وفي الجدي والحمل

([٦٩٨]) .ينظر: الايضاح: ٦ / ٣٨ .

([٦٩٩]) . ينظر: أنوار الربيع في انواع البديع: ٣٥٨/١.

([٧٠٠]) .ينظر: الايضاح: ٦ / ٤٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ايضا تورية ولكنها مجردة، وقيل كل من التوريتين ترشيح للآخر، والاولى ترشيحها واقع بعدها والثانية ترشيحها قبلها[٧٠١].

امّا ما استدرك على الخطيب في خصوص هذا البيت، هو ان في عد الخطيب التورية في لفظ (الغزالة) من قبيل (المرشحة) نظر[٧٠٢]؛ لان شرط الترشيح ان تكون دلالته على المعنى القريب صريحة لا تحتمل الاشتراك، والجدي والحمل مشتركان بين الحيوانين المعروفين والبرجين الفلكيين، فدلالتهما غير صريحة، وعلى هذا فليسا من قبيل الترشيح[٧٠٣]. واستنادا الى ما تقدم من تعليق على هذا النوع من التورية، فلست ارى في لفظ(الغزالة) ما يبتعد في الدلالة عن الجدي والحمل ، خصوصا وان القزويني، جاء بالبيت شاهدا على التورية المرشحة التي قرن بها ما يلائم المورى به بعدها[٧٠٤]، يعني ارادة تورية (الشمس)، وترشيحه بقرنه بما يلائم هذه اللفظة وهما من جنسها، فحتى وان كان يطلق على لفظتي(الجدي والحمل) على حيوانين، فانهما يطلقان على النجمين الفلكيين ايضا، وهما مقترنان بلفظة (الشمس)، وقد أتيا بعدها للدلالة عليها.

---

(٧٠١) . ينظر: هامش الايضاح: ٦ / ٤٠ .

(٧٠٢) . ينظر: دراسات منهجية في علم البديع: ١٣٠.

(٧٠٣) . ينظر: المصدر نفسه:١٣٠ ، خزانة الادب: ٢/ ٢٤٤.

(٧٠٤) . ينظر: الايضاح: ٦/ ٣٩ . ٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستدراك الثامن

استدراك د. علي الجندي في الجناس

في كتاب (فنّ الجناس) درس الدكتور علي الجندي فن الجناس، تسميته واشتقاقه، وتعريفه، وبحث اصالة هذا الفن وقيمته، بين الطبع والصنعة، ثم درس اقسامه: الجناس التام، والمحرف، والناقص، وجناس القلب، وجناس الاشتقاق، والمضارع، واللاحق، وجناس التصحيف، والجناس المعنوي، والوانا اخرى من الجناس زيادة على الانواع الاخرى. وبعد استقراء الكتاب وجدت ان للدكتور عليّ استدراكا واحدا على الخطيب القزويني، وهو: في اقسام الجناس، فبعد ان ذكر تقسيمات البلاغيين القدماء له، اشار الى ان القزويني قد ذكر: الجناس التام والمحرف، والناقص، وما يشمل المضارع واللاحق والقلب. وانه قد الحق بالجناس: الاشتقاق وشبهه كما فعل السكاكي. واضاف د.علي الجندي مستدركا على الخطيب القزويني بعد ان علل ذلك الاختلاف في تقسيم الجناس عند العلماء؛ بسبب الزيادة في بعض الانواع عند نفر من العلماء كالمشوش، والمصحف، والمعنوي. او الى عد بعض الفروع اصلا بذاته كالمركب والمفلق، فبعض العلماء جعلهما من اقسام التام: وبعضهم عدهما قسمين مستقلين. او الى التنويع في التسمية، الى انه بعد المقارنة بما كتب عن

www.manaraa.com

الجناس وانعام النظر فيما ورد منه في الشعر، تبين لنا ان تقسيم القزويني احمد هذه التقسيمات جميعا وابعدها عن الاسراف؛ فالأنواع التي ذكرها كثيرة الورود قوية الصلة بالطبع[٧٠٥].

واخيرا حين حاولت استطلاع ما جاء عن الدكتور امين الخولي الذي دعى الى اتجاه جديد في دراسة البلاغة العربية، تلك الدعوة التي تردد صداها في كثير من كتب البلاغة الحديثة[٧٠٦] وكتاب (فنّ القول) للدكتور امين الخولي الذي يدعو فيه الى بلاغة جديدة، يؤكد فيه ضرورة التجديد من اجل الحياة، ويرى عدم تقديس الماضي واهمية بحثه بدقة وعمق لمعرفة الاصول وملامح التغيير[٧٠٧]. ويعده الدكتور صلاح فضل من المشاريع الكبرى التي لم تحقق نتائجها في حياتنا الفكرية والثقافية حتى اليوم[٧٠٨]، وهو كتاب رأيت انه من الضروري ان اطلع عليه عسى ان افيد منه فيما يخص القزويني، او ان استنبط منه اي شيء حول بلاغته، فوجدت انه لم يذكر الخطيب القزويني واشار الى ان متن التلخيص، وما كتب عليه من شروح وحواشٍ، كشرحي سعد الدين التفتازاني المطول والمختصر، وكتاب الايضاح، هي أساس الدرس البلاغي عند من وصفهم بالمحافظين[٧٠٩]، والملاحظ انه لم يرجع للإيضاح، او التلخيص، واكتفى

([٧٠٥]) . ينظر: فن الجناس، بلاغة ـ ادب ـ نقد، علي الجندي: ٦١.

([٧٠٦]) . ينظر: البيان العربي، بدوي طبانة، والبلاغة عند السكاكي.

([٧٠٧]) . ينظر: تقديم الدكتور. محمود فهمي حجازي:٤.

([٧٠٨]) . ينظر: تقديم الدكتور صلاح فضل للكتاب: ٥.

([٧٠٩]) . ينظر: فن القول، امين الخولي:٧٧.

www.manaraa.com

بالرجوع لبعض الشروح التي جاءت على التلخيص، وقد اشار هو الى ذلك[٧١٠]، وبالتالي لم يستدرك على الخطيب القزويني بالخصوص، ثم وصف امين الخولي الصورة الناتجة عن هذه الاصول: بانها صورة لا تتجلى واضحة القسمات[٧١١]، وانها صورة تشعر بأنها صورة وجه معروق، بادي العظام، شاحب، يسير الحظ من الحيوية والنضرة!، اذا ما قورنت بالبلاغة عند الغربيين[٧١٢].

القرآن الكريم.

الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٥٣م.

أساس البلاغة: الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م.

اساليب البيان في القرآن، السيد جعفر الحسيني، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، ط١، ٢٠٠٩م.

أساليب البيان في النحو العربي، دراسة دلالية من خلال القرآن، خديجة الصبان، ط١، ١٤١٤هـ. ١٩٩٤م.

استدراكات السعد على الخطيب في المطول، دراسة بلاغية تحليلية، د. احمد هنداوي هلال، مكتبة وهبة، ٢٠٠١م.

الاستدلال البلاغي، د. شكري المبخوت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، الطبعة ٢، ٢٠١٠م.

أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، ط١ مطبعة المدني جدّة ١٩٩١م

الاسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ابتسام احمد حمدان، دار القلم العربي . حلب ط،١٤١٨. ١٩٩٧ م.

الاسلوب، احمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، د.ت.

---

(٧١٠) . ينظر: فن القول: ٩٣.

(٧١١) . ينظر: فن القول: ٧٨.

(٧١٢) . ينظر: فن القول: ٨٥.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الاسلوبية والاسلوب، عبد السلام المسدّي، ط٣، الدار العربية للكتاب.
الاسلوب والنحو، دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الاسلوبية ببعض الظواهر النحوية، محمد عبد الله جبر:٧، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع.
أصول البيان العربي، رؤية بلاغية معاصرة، د. محمد حسين علي الصغير، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م.
الاصول، دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د. تمام حسان، ط٤، عالم الكتب، القاهرة (٢٠٠٤م).
اعجاز القرآن، الباقلاني، تح: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٠م.
الاقصى القريب: التنوخي: مصر مطبعة السعادة ، ١٣٢٧ هـ
أمالي القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، ١٩٢٦م، ط٢.
أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني، تح: شاكر هادي شكر، ١٩٦٣م.
الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق وتنقيح: د. عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل . بيروت.
بحار الأنوار، . للمجلسي، مطبعة الآداب النجف الاشرف، ١٩٧٥م.
البحث البلاغي عند العرب، احمد مطلوب، منشورات دار الجاحظ، بغداد. د.ت.
البحث البلاغي عند العرب، تأصيل وتقييم، د. شفيع السيد، دار الفكر العربي، د. ط، د. ت.
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف الامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، حققه وعلق عليه، محمد حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق، ط١ ٢٠٠٦.
البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
البديع والتوازي،عبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، مصر، ١٩٩٩م.
البلاغة العربية قراءة اخرى، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر. لونجمان:ط١ ،١٩٩٧ م.
البلاغة والنقد ، المصطلح والنشأة والتجديد، محمد كريم الكواز مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة الاولى،٢٠٠٦م.

www.manaraa.com

البرهان في وجوه البيان، إسحاق بن وهب الكاتب ، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، ١٩٦٧م.
البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، تح: د. وداد القاضي، دار صادر بيروت، ط١، د.ت.
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت (د.ت).

بغية الايضاح لتلخيص المفتاح لعلوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، د.ت، د.ط، المكتبة الوقفية.
بلاغتنا بين الجمالية والوظيفية، محمد بركات حمدي: ٧، دار وائل للنشر ، ط١، ٢٠٠٤م.
البلاغة الاصطلاحية، عبدة عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٩٢م.
بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، توفيق الفيل، مكتبة الآداب، ميدان الاوبرا، القاهرة.
البلاغة تطور وتاريخ، الدكتور شوقي ضيف، ط٩، دار المعارف، د.ت.
البلاغة العربية، اسسها وعلومها وفنونها، وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف تليد، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

البلاغة العالية، علم المعاني، عبد المتعال الصعيدي، قدم له وراجعه، د. عبد القادر حسين، ط٢، ١٩٩١م.
البلاغة العربية، مقدمات وتطبيقات، بن عيسى باطاهر، مكتبة المدينة، ط١، د. ت.

البلاغة عند السكاكي ، د . أحمد مطلوب ، مكتبة النهضة بغداد ، ١٩٦٤ م

البلاغة في ثوبها الجديد، بكري شيخ أمين(علم المعاني)
البلاغة والأسلوبية ، د . محمد عبدا لمطلب ،الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط ١ ، ١٩٩٤ م.
البلاغة والاسلوبية عند السكاكي، محمد صلاح زكي ابو حميدة، ٢٠٠٧م .

www.manaraa.com

البلاغة والاسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليت، ترجمة وتعليق، د. محمد العمري، إفريقيا الشرق، ١٩٩٩م.
البلاغة والفصاحة لغة واصطلاحا، د. محمد جابر فياض، دار المناداة، جدة السعودية، ط١، ١٩٨٩م.
البلاغة والنقد بين التاريخ والفن، مصطفى الصادي الجويني،١٩٧٥م، د. ط.
البنية الاسلوبية في التراكيب النحوية، د. مهدي حمد مصطفى عبد الله ،١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م.
البيان العربي ، د. بدوى طبانة ، دار العودة بيروت، ط ٥ ، ١٩٧٢م.

البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت ٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط٧، ١٩٩٨م.

تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، محبّ الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ) تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت (١٤١٤هـ-١٩٩٤م).

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي، (ت ٤٦٣هـ)، د.ت، د. ط.
تاريخ البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية بيروت، ١٩٧٠م.

تاريخ علوم البلاغة، والتعريف برجالها، للأستاذ احمد المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٩٥٠.

تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الشروق، الاردن، ط١، ١٩٩٣م.
التبيان في تفسير القران، للشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قيصر العاملي، آداب النجف الاشرف.

تجريد البناني على مختصر السعد، مطبعة السعادة، ١٣٣٠هـ.

تزيين الاسواق في أخبار العشاق، داود الانطاكي(ت ١٠٠٨هـ)، دار الوراق.

التركيب اللغوي للأدب، د. لطفي عبد البديع، دار المريخ للنشر بالرياض، ١٩٨٩م .

www.manaraa.com

التشبيه والاستعارة منظور مستأنف، يوسف ابو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط٢ ، ٢٠١٠ م.
التصور اللغوي عند الاصوليين، السيد احمد عبد الغفار: ٢. ٣، ط١، دار المعرفة الجامعية، مصر ، ١٩٨١م.
التفتازاني وآراؤه البلاغية، ضياء الدين القالش، دار النوادر، ط١، ٢٠١٠م.

التفكير البلاغي عند العرب، اسسه وتطوره الى القرن السادس، مشروع قراءة، حمادي صمود، الكتاب الجديد، ٢٠١١م، ط٣.
تلخيص المفتاح، الخطيب القزويني، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.

تهذيب اللغة: الأزهري، أبو منصور محمد بن احمد (ت٣٧٠هـ)، إشراف محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

تيسير البلاغة في كتب التراث، بن عيسى باطاهر، د. ت، د. ط.
جمالية الخبر والانشاء، دراسة بلاغية جمالية نقدية، د. حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٥.
جمهرة البلاغة ، الدكتور أحمد مطلوب ، د.ت ، د. ط.
جواهر البلاغة، السيد احمد الهاشمي: ٣٢٤ ، تح وشرح: الدكتور محمد التونجي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ط٤ ، ٢٠٠٨ م.

حاشية الدسوقي،(شروح التلخيص)، دار الارشاد الاسلامي، بيروت لبنان، د.ت.

حاشية الفنري على المطول، مطبعة شركة الصحافة العثمانية، اسطنبول، ١٣٠٩هـ.

حاشية السعد على شرح العضد لمختصر المنتهى الاصولي، بولاق،ط١، ١٣١٦هـ.

حاشية عبد الحكيم السيالكوتي على المطول، مطبعة مدرسة والدة عباس الاول، ١٣٢٤هـ.

الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت ٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام هارون، ط عيسى البابي الحلبي.

www.manaraa.com

حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز دراسة في المجاز الاسلوبي واللغوي، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٦.
-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

خصائص التراكيب، د. محمد ابو موسى: ٦٤ ، مكتبة وهبة بالقاهرة،ط٣ ،١٩٨٠م.

دائرة المعارف الاسلامية(الطبعة العربية)، د.ت ، د. ط.
دراسة المعنى عند الاصوليين، د. طاهر سليمان حمودة: ٣، الدار الجامعية، مصر.
دراسات منهجية في علم البديع، د. الشحات أحمد ابو ستيت، جامعة أم القرى، د١، ٢٠١٠م.
الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لأبن حجر العسقلاني، تح: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦م.
الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع للسبكي، د.ت ، د. ط.
دلائل الاعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، ط٣، ١٩٩٢م.
دلالات التراكيب، الدكتور محمد أبو موسى، مكتبة وهبة ط١، ١٣٩٩هـ.
دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، ميجان الرويلي ، وسعد البازعي، ط٣، ٢٠٠٢م.
ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، تح: محمد عبده عزام، دار المعارف، ط٣.
ديوان امريء القيس، دار المعارف ، مصر، ط٢١ ١٩٦٤م،
ديوان جرير بن عطية اليربوعي، تح: د. نعمان محمد امين طه، جامعة ام القرى، د. ط.
ديوان الحماسة بشرح التبريزي، دار القلم بيروت، د.ت.
ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر، بيروت (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م).
ديوان العباس بن الأحنف، شرح و تحقيق: عاتكة الخزرجي، ١٣٧١هـ . ١٩٥٤م.
ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، تحقيق د. عزة حسن، دار الشرق بيروت (د.ت).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ديوان الفرزدق، عنى بجمعه والتعليق عليه، عبد الله الصاوي ، د.ت، د. ط.
ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.
ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، دار الجيل بيروت، د.ت.
ربيع الابرار ونصوص الاخبار، للزمخشري ، طبع في مؤسسة الاعظمي للمطبوعات، ١٤١٢هـ.

زهر الآداب وثمر الالباب لأبي اسحق الحصري القيرواني، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم الدكتور زكي مبارك، المكتبة التجارية الكبرى. د.ت.

سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تح: النبوي عبد الواحد شعلان، دار قباء بالقاهرة، ٢٠٠٣م.

شذرات الذهب بأخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تح: محمود الارناؤوط، دار ابن كثير دمشق، ط١، ١٩٩٢م.

شرح أشعار الهذليين، صنعة أبي سعيد الحسن السكري، حققه عبد الستار فراج، مكتبة دار العروبة.
شرح البديعية المسماة: بالفتح المبين في مدح الامين، عائشة الباعونية(ت ٩٢٢هـ)، تقديم وتحقيق: د. رضا رجب، ط٢، ٢٠١٠م.
شرح المعلقات السبع: الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن احمد (ت٤٨٦هـ)، ط٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر (١٣٧٩هـ-١٩٥٩م).

شرح الكافية البديعية، في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين الحلي، تح: الدكتور نسيب نشاوي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.

الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٧هـ) تحقيق احمد عبد الغفور عطار، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).

-صحيح البخاري: أبي عبد الله بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، مطبوعات محمد علي صُبيح، مصر (د.ت).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

-صحيح مسلم، ابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي، د. محمد بركات حمدي ابو علي، الناشر: دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.

الضرورة الشعرية، دراسة لغوية نقدية، د. محمد عبد الوهاب محمد علي العدواني، الموصل مطبعة التعليم العالي، ١٩٩٠م.

عروس الافراح : بهاء الدين السبكي، القاهرة ، عيسى الحلبي ، ١٩٣٧ م.

العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي(دراسة تطبيقية)، عبد الواحد حسن الشيخ.

علم الاسلوب، مبادؤه وإجراءاته، د. صلاح فضل، دار الشروق، ط١، ١٩٩٨م.

علم البيان دراسة تحليلية لعلم البيان، د. بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.

علم اللغة العام (الاصوات)، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م.

علم اللغة العام: فرديناند سوسير، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز، افاق عربية، ١٩٨٥م.

علم المعاني، دراسة نقدية وبلاغية لمسائل علم المعاني، الدكتور بسيوني عبد الفتاح ، مؤسسة المختار ، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق، تح: النبوي عبد الواحد شعران، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

علوم البلاغة، احمد مصطفى المراغي: ١٦، ط١، ٢٠٠٤، المكتبة المصرية . صيدا . بيروت.

العين: الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت١٧٥هـ) تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي مطابع الرسالة، الكويت (١٩٨٠)، ودار الحرية للطباعة، بغداد (١٩٨١م).

الفرج بعدة الشدة، القاضي التنوخي(ت٣٨٤هـ)، مكتبة الخانجي ط١٩٩٤،٢م.

فصول في البلاغة: محمد بركات حمدي ابو علي، الجامعة الاردنية، الآداب، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٣م.

www.manaraa.com

الفكر البلاغي الحديث، مصطفى الصاوي الجويني، دار المعرفة الجامعية، ط١، ١٩٩٩م.
فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عيد، منشأة معارف الاسكندرية، ط٢، د.ت.
فن الاستعارة، احمد عبد السيد الصاوي ، مطبعة الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٩ م.
فن البديع، عبد القادر حسين، دار الشروق، ١٩٨٣م.
فن الجناس، بلاغة ـ ادب ـ نقد، علي الجندي، دار الفكر العربي، ١٩٥٤م.
فن القول، امين الخولي، قدم له، أ.د صلاح فضل، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٦م.
فنون بلاغية، احمد مطلوب، دار البحوث العلمية، ١٩٧٥م.
في البلاغة العربية، علم البديع، محمود احمد حسن المراغي، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان.
في البلاغة العربية، علم البيان، د. محمد مصطفى هدارة، دار العلوم العربية، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٩م.
في فلسفة البلاغة العربية (علم المعاني)،د. حلمي علي مرزوق، د. حلمي علي مرزوق، ١٩٩٩م.
القاموس المحيط والقابوس الوسيط: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة (١٣١٧هـ-١٩٥٢م).

قبض الريح، لإبراهيم عبد القادر المازني، المطبعة المصرية، ١٩٢٧م.
قدامة بن جعفر والنقد الادبي، د. بدوي طبانة، مكتبة الانجلو المصرية، د. ط.

القزويني وشروح التلخيص، الدكتور أحمد مطلوب، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط١، ١٩٦٧م.
الكافي، لمحمد بن يعقوب اسحق الكليني، تح، محمد صالح المازندراني، ١٩٧٨م.

كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، وأبو الفضل أبراهيم ، ط٢ ، القاهرة ١٩٧١ م.
كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، وزارة الثقافة والارشاد القومي، تح: لطفي عبد البديع، القاهرة ١٩٦٣م.

www.manaraa.com

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، ط١، منشورات البلاغة، مطبعة القدس، قم، إيران (١٤١٣هـ).

لسان العرب: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت (١٣٧٤هـ-١٩٥٥م).

-اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان، ط٤، عالم الكتب، القاهرة (٢٠٠٤م).

اللغة والتفكير: حسن مرضي حسن، دار الفكر للطباعة و للنشر، ١٩٩٤م.

المثل السائر. لابن الأثير ، تح: احمد الحوفي، نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الاجازة والمنع، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة بالقاهرة، ط٣ ، ٢٠٠٤ .

المجازات النبوية، الشريف الرضي(٤٠٦هـ)، تح: طه الزيني، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.

مختصر المعاني، السعد التفتازاني، دار الارشاد الاسلامي، بيروت، د.ت.

مدخل الى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

المزهر في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ) تحقيق محمد احمد جاد المولى ورفيقيه، دار الفكر للطباعة، بيروت (د.ت).

مسند الإمام احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، رقّم أحاديثه محمد عبد السلام عبد الشافي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

المصباح في علم المعاني والبيان والبديع ، بدر الدين بن مالك، ط١، القاهرة،١٣٤١ هـ.

www.manaraa.com

المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك تح: الدكتور حسني عبد الجليل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي، المكتبة العلمية، د.ت.

المصطلح البلاغي في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي ت ٩٦٣هـ، محمد الخلايلة، عالم الكتب الحديث ط١، ٢٠٠٦م.

المطول في شرح تلخيص المفتاح، للتفتازاني، استانبول، ١٣٣٠هـ. د. ط.

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للعباسي، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب ، بيروت ١٩٤٧م.

المعجم الاصولي، لمحمد صنقور البحراني، دار احياء التراث العربي، قم المقدسة.

معجم البلاغة العربية ، نقد ونقض ، عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩١م.

معجم الشعراء للمرزباني ت ٣٨٤هـ، تصحيح وتعليق الاستاذ الدكتور : كرنكو، ط٢، ١٩٨٢م.

معجم لغة الفقهاء، عربي . انجليزي، محمد قلعجي، جامعة الملك سعود، الرياض، دار النفائس.

معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣م.

المعجم المفصل في علوم البلاغة ، البديع والبيان والمعاني، د. انعام فوال عكاوي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، ط١..

مفتاح السعادة، لطاشكبري زاده ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

مفتاح العلوم، طبعة الحلبي . القاهرة ١٩٣٧ م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت حدود ٤٢٥هـ) تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط١، دار القلم، بيروت (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، احمد عبد السيد الصاوي، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٨ م.

مقالات في اللغة والادب، الدكتور تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة (٢٠٠٦م).

المقدمة ،ابن خلدون، تح: د. علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

مقاييس البلاغة بين الادباء والعلماء، د، حامد صالح خلف الربيعي، جامعة ام القرى،١٩٩٦م.

مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس ت ٣٩٥هـ، تح عبد السلام هارون، مكتب الاعلام الاسلامي.

من افاق الفكر البلاغي عند العرب، د. عبد الحكيم راضي، ط١، ٢٠٠٦م.

من مباحث البلاغة والنقد بين ابن الاثير والعلوي، دراسة في التأثير والتأثر وتجاوزات الفهم، نزيه عبد الحميد فراج: ٢٨٥، ط١، ١٩٩٧.

مناهج بلاغية ،أحمد مطلوب ،ط١ وكالة المطبوعات الجامعية ،الكويت ،١٩٧٣ ،ص ٢٥٥ .

المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني والقزويني في كتابيهما الاسرار والتلخيص، دراسة مقارنة، حيدر حسين عبيد: ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ،أمين الخولي ،ط١ ،دار المعرفة القاهرة ١٩٦١ م .

المنطق ، للعلامة محمد رضا المظفر، انتشارات اسماعيليان.

المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني المكتبة الازهرية للتراث، د. ط، د.ت.

مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي، دار الارشاد الاسلامي، بيروت، د.ت.

الموطأ، الامام مالك بن انس، صححه ورقم أحاديثه، محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١٩٨٥م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نصرة الثائر على المثل السائر، تأليف الصلاح الصفدي، تح: محمد علي سلطاني، المكتبة الاسلامية الجبيلية، ١٩٦٩م.
النص والاسلوبية بين النظرية والتطبيق، دراسة، عدنان بن ذريل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م. .
نظرية اللغة في النقد العربي، د. عبد الحكيم راضي، ط١، ٢٠٠٦م.
النقد التطبيقي والموازنات ، د. محمد الصادق عفيفي مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط.
نقد الشعر، مطبعة الجوائب قسطنطينة، ط١، ١٣٠٢هـ
النقد المنهجي عند العرب، ومنهج البحث في الادب واللغة، د. محمد مندور، دار نهضة مصر، الهيأة العامة للكتاب، ٢٠٠٧م.
نهاية الايجاز في دراية الاعجاز، الرازي، تح: د. بكري شيخ امين، دار العلم للملايين ط١، ١٩٨٥م.
النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ) اعتناء وتصحيح محمد أبو فضل عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).
الهرمنوطيقا ومنطق فهم الدين، الشيخ علي الرباني الكلبايكاني، ترجمة الشيخ داخل الحمداني، مؤسسة السراج للطباعة والنشر، النجف الاشرف.

الرسائل والدوريات

البحث البلاغي عند الاصوليين، اطروحة دكتوراه، حسن هادي محمد، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية.٢٠٠٤م.
البديع بين ابي الاصبع العدواني المصري والخطيب القزويني، عواطف صالح بن سالم الحربي، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى، ٢٠٠٥م.
تأصيل الاسلوبية في الموروث البلاغي والنقدي، كتاب مفتاح العلوم انموذجا، ميس خليل محمد عودة، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية نابلس.٢٠٠٦م.
. جهود الدكتور أحمد مطلوب في تجديد البلاغة العربية ،د. عدنان عبد الكريم، مجلة القادسية، كلية الآداب، المجلد(١٦) العدد(٣).
. القزويني في الدراسات البلاغية الحديثة، د. أحمد مطلوب، مجلة جامعة بغداد، ١٩٦٧م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

www.manaraa.com